AL-THA'LABI

QISAS AL-ANBIYA'

.901
.352
.192

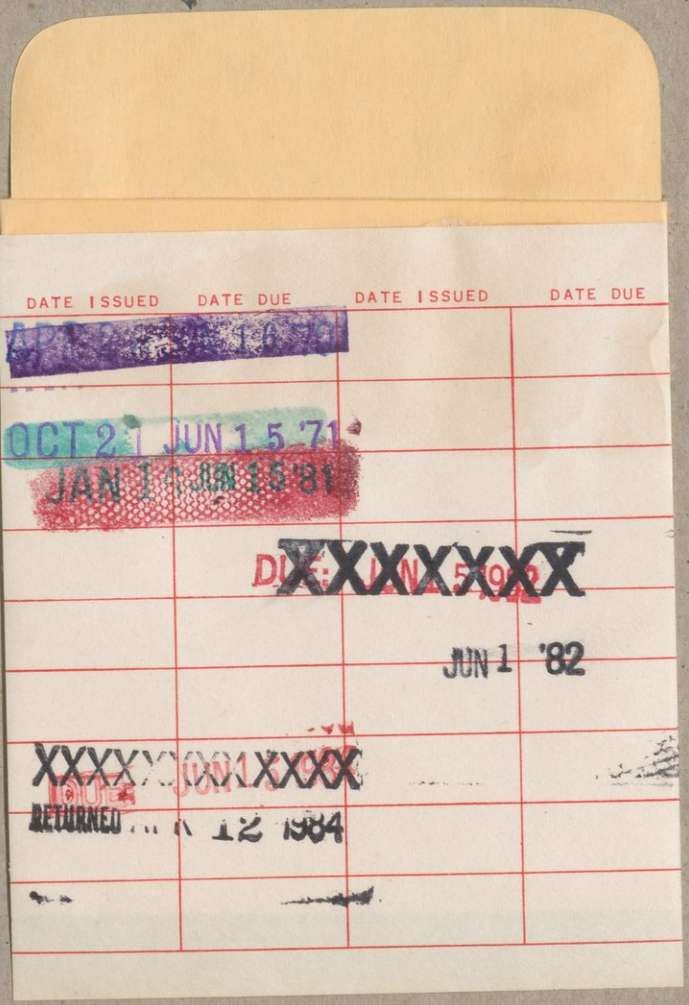
DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE
OCT 2 1
JUN 15 '71
JAN 1
JUN 15 '81
JUN 1 '82
RETURNED
1984

Princeton University Library
32101 080199787
a32101 003279427b

فهرست

(كتاب قصص الانبياء للعلامة ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رضي الله عنه ونفعنا به آمين)

صحيفه	
٢	باب فى ذكر بعض وجوه الحكمة فى تقصيصه تعالي أخبار الماضين على سيد المرسلين
٣	مجلس فى صفة خلق الأرض وفيه سبعة أبواب
	الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها
٤	الباب الثانى فى حدود الارض ومسافتها واطباقها وسكانها
٦	الباب الثالث فى ذكر الايام التى خلق الله تعالى فيها الارض
	الباب الرابع فى ذكر أسمائها وألقابها
	الباب الخامس في ذكر مازين الله به الارض
٧	الباب السادس فى عاقبتها ومالها وآخر حالها
	الباب السابع في وجوه الارض المذكورة فى القرآن
٨	مجلس في ذكر خلق السموات ومايتصل به وفيه سبعة أبواب
	الباب الاول فى بدء خلق السموات
	الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
	الباب الثالث في هيئتها وحدودها
	الباب الرابع فى أسمائها وألقابها
١٠	الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها
	الباب السادس في ذكر مازين الله به السموات
١٢	الباب السابع فى ذكر مالها وآخر حالها
	مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما
١٧	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
	الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة فى خلق الخلق وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
	الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكينونته وصفته
١٩	الباب الثالث فى صفة نفخ الروح فيه
٢٠	الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالي آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه
٢٣	الباب السادس فى حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٨	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الي الارض وحاله فيها بعد اللعنة
	الباب الثامن فى ذكر ماروي في الاخبار فيمن تراءي له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها
٢٩	الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل
٣٢	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٣٣	باب فى الخصائص التى خصه الله بها
	مجلس فى ذكر النبى ادريس عليه السلام
٣٤	قصة هاروت وماروت
٣٦	مجلس فى قصة نوح عليه السلام
٤٠	ذكر خصائص نوح عليه السلام
٤١	مجلس فى قصة هود عليه السلام
٤٥	مجلس فى قصة صالح عليه السلام
٤٩	مجلس فى قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ
	الباب الاول فى مولد ابراهيم عليه السلام
٥٠	الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الي قومه الخ
٥٣	الباب الثالث فى ذكر مولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام ونزول اسماعيل وأمه هاجر الحرام وقصة بئر زمزم
٥٧	الباب الرابع فى القول على بقية قصة بئر زمزم
٥٨	الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة الخ

صحيفه

٦٢ الباب السادس فى ذكر أمر الله تعالي خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده

٦٣ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا ابراهيم بابنه عليهما السلام

٦٥ الباب السابع في هلاك النمروذ بن كنعان وقصة بنائه الصرح

٦٦ الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر

الباب التاسع في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام

الباب العاشر في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام

٦٨ مجلس في ذكر بعض أخبار اسماعيل واسحاق ابنى ابراهيم عليهم السلام

٦٩ مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام

٧٢ مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام وفيه بابان

٧٣ الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام

الباب الثانى فى صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته

٧٤ القول فى القصة

٩٦ مجلس في قصة يوسف بن ميشا بن يوسف

مجلس في ذكر بقية عاد وقصه شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد

١٠٠ مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس

١٠٣ مجلس في قصة أيوب نبى الله عليه السلام

١١٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام

١١١ مجلس فى قصة شعيب عليه السلام

١١٢ مجلس في قصة نجى الله موسى بن عمران

الباب الاول في ذكر نسبه

الباب الثاني في ذكر مولده

١١٦ الباب الثالث في ذكر حلية موسى وهارون عليهما السلام

الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه

صحيفه

من مصر وورودة مدين

١١٧ الباب الخامس فى دخول موسي مدين وتزويج شعيب ابنته اياه

١١٨ الباب السادس في ذكر نعت عصا موسي الخ

١١٩ الباب السابع فى صفة المارب التى كانت له فيها

١٢٠ الباب الثامن في خروج موسى من مدين وتكليم الله اياه فى الطريق وارساله الي فرعون

١٢٣ الباب التاسع فى دخول موسى وهرون على فرعون

١٢٤ الباب العاشر في قصة موسي وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الخ

١٢٦ الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته وأولادهم ومقتلهم

١٢٧ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها

الباب الثالث عشر في بناء الصرح

١٢٨ الباب الرابع عشر فى ذكر الايات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه

١٢٩ باب في صفة تنزيل هذه الايات وتفصيلها الخ

١٣٠ فصل في ماورد من الاخبار في الجراد

١٣٢ الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم

١٣٣ فصل في اسرائه ببنى اسرائيل من مصر الخ

١٣٥ الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح

١٣٨ فصل في نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالي لموسى نبيه الخ

١٤٠ باب في ذكر قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذلهم العجل

صحيفة

١٤٤ باب فى قصة قارون حين عصا ربه الخ
١٤٧ باب فى قصة موسي حين لقي الخضر الخ
١٤٨ فصل فى ذكر جمل من أخبار الخضر
١٤٩ فصل فى بدء أمر الخضر عليه السلام
١٥٦ باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة
١٥٨ باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة الخ
١٥٩ باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الي الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين الخ
١٦٠ فصل فى فضل الشام وأهله
ذكر قصة بلعام بن باعوراء
١٦٣ باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسي ليكونوا كفلاء علي قومهم الخ
فصل فى اخبار عوج بن عنق
١٦٥ باب فى ذكر النعمة التى أنعم الله بها علي بنى اسرائيل في التيه الخ
١٦٦ باب فتح أريحاء ونزول بنى اسرائيل الى الشام
قصة وفاة هرون عليه السلام
١٦٧ ذكر وفاة موسى عليه السلام
١٧٣ مجلس فى ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
ذكر خبر حزقيل عليه السلام
١٧٥ باب فى قصة الياس عليه السلام
١٧٩ قصة اليسع عليه السلام
١٨٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
١٨١ مجلس فى قصة عيلي وشمويل الخ
فصل فى سياق الآيه ومقدمة القصه
١٨٢ القول فى بدء أمر شمويل وصفة نبوته الخ
١٨٣ ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت ومايتعلق به
١٨٤ قصة التابوت وابتداء أمره الى انتهائه

صحيفة

١٨٦ باب في قصه شمويل حين أوحي الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفه نهر الابتلاء
باب فى ذكر داود وخبر جالوت
١٨٨ ذكر بقية قصه طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت
١٩٥ مجلس في خلافة داود عليه السلام الخ
باب فى ذكر نسبه
باب فى ذكر صفته وحليته
باب فى ذكر ماخص الله تعالي به نبيه داود
١٩٣ باب فى قصه داود عليه السلام
١٩٨ باب في ذكر خروج ابن داود علي أبيه
باب في قصة أصحاب السبت
١٩٩ باب فى قصه داود وسليمان فى الحرث
٢٠٠ باب فى قصه استخلاف داود ابنه سليمان
٢٠١ باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام
٢٠٢ مجلس فى قصه سليمان عليه السلام
باب في صفته وحليته عليه السلام
باب فى ماخص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك
٢١٠ حديث القبه
٢١١ قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها في الهواء
صفة كرسى سليمان عليه السلام
٢١٢ صفة بنيانه وبدء أمره
٢١٥ باب فى قصة بلقيس ملكه سبأ والهدهد
٢١٧ صفة القصر الذي بنته بلقيس
صفة عرشها
٢٢٣ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجراده وخبر الشيطان الذى كان أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
٢٢٦ باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام
٢٢٧ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به

صحيفة

قصة شعياء عليه السلام
١٣١ قصة أرمياء عليه السلام
٢٣٤ قصه دانيال عليه الصلاة والسلام
٢٣٦ خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٣٨ باب في ذكر الذي مر على قريه الخ
٢٤٠ باب فى ذكر تمام قصه عزير عليه السلام الخ
٢٤١ مجلس فى ذكر غزوة بختنصر العرب وقصه يوحنا وخراب حضور
٢٤٢ مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
باب فى ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة فى القرآن
٢٤٤ مجلس فى قصة بلوقيا
٢٤٩ مجلس فى قصة ذى القرنين
باب فى نسبه ولقبه عليه السلام
باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه
٢٥٠ باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف سيره الي البلاد والآفاق
٢٥٣ باب فى صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به
٢٥٤ باب في دخول ذي القرنين الظلمات يمايلي القطب الشمالي لطلب عين الحياه
٢٥٧ مجلس في قصه زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسي عليهم السلام
نسب زكريا عليه السلام
باب في ذكر مولد مريم عليها السلام
٢٥٩ باب في مولد يحيى بن زكر عليه السلام
٢٦٠ باب في صفته وحليته عليه السلام
فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده
٢٦٢ باب في مقتله عليه السلام
٢٦٣ ذكر مقتل زكريا عليه السلام

صحيفة

٢٦٣ مجلس في مولد عيسى وفى حمل مريم به
٢٦٥ باب في ذكر مولده عليه السلام
٢٦٦ باب في رجوع مريم بابنها عيسى عليه السلام بعد ولادتها اياه الي جماعة قومها من بيت لحم
٢٦٧ باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الي مصر
٢٦٨ باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام
باب في ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام من صباه الي أن نبيء
٢٦٩ باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الي بلادهما بعد موت هردوس
٢٧٠ باب فى قصة الحواريين عليهم السلام
٢٧١ ذكر خصائص عيسي عليه السلام والمعجزات التى ظهرت علي يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه
٢٧٣ ذكر حديث جامع فى هذا الباب
٢٧٧ نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام
٢٧٨ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام
ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء فى المرة الثانية فى آخر الزمان
٢٧٩ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الي انطاكيه وذلك في أيام ملوك الطوائف
٢٨٠ قصة يونس بن متى عليه السلام
٢٨٣ باب في قصة أصحاب الكهف
٢٩٥ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام
٢٩٩ باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام
٣٠٠ باب فى قصة أصحاب الاخدود
٣٠٢ باب فى قصة أصحاب الفيل وبيان مافيها من الفضل والشرف لسيدنا ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم

al-Thaʿlabī, Abū Isḥāq Aḥmad ibn Ibrāhīm

Qiṣaṣ al-anbiyāʾ

كتاب
قصص الانبياء
(المسمى) بالعرائس

تأليف

الامام العالم العلامة

أبي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

و بهامشه مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين للعلامة اليافعي

نفع الله تعالى به ومتعه في الفردوس مع اهل قربه

﴿ طبع على نفقة ﴾

احمد محمد عيد

« بميدان الازهر الشريف بمصر »

مطبعة العلوم الأدبية

لصاحبها احمد محمد عيد

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذى خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده وهداه الي طريق الايمان وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين اهل العرفان واولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان وانعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتعشت من شراب قربه القلوب والابدان * ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار والبسهم من حلل رضائه الوان فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقى وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان واتوب اليه واستغفره استغفارا يوجب الغفران وأشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له الرحيم الرحمن * وأشهد ان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة بالقرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة فى تقصيصه تعالى اخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة امور أي حكم (الحكمة الاولى) منها انه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيه الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى ان كان من امره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فاخذ يحدث الناس باخبار ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وانكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل انزله الذى يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بمكارم اخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما اخبر الله تعالى عنهم واثنى عليهم ولتنتهى امته عن امور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله بذلك معالى الاخلاق فلما امتثل امر الله تعالى واستعمل ادب الانبياء اثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) انه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك انه لما نظر الى اخبار الامم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم ان الله خصه هو وامته بكرامات لم يخص بها احدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك انه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم

ثم ذكر في غيره وضع تحذيرها ياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الايات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في ابقاء ذكره مثيبا له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس احاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما انفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الدريدي

واتما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعي

(مجلس في صفة خلق الارض) قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فاول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهي قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية * روي ان لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون

سيدنا محمد اصلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من أنس وجان * اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت عن كتاب روض الرياحين في مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم في الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات * وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات * ليزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها لمحاسن تلك السير فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الاخران * وهذا أوان الشروع في ذلك ونسأل الله تعالى ان ينفعنا باوليائه وان يحشرنا في زمرة أهل ولائه (فمنها ما حكي عن سيدي ذي النون المصري رضي الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسنا فيه مال

(RECAP) 2276 .901 .352

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغني الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها أو القيتهم عن ظهرك اجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالي وألقى في الارض رواسى أن تميد بكم يعني لكيلا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فاقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من انت قال انا قاف قال فاخبرنى ما هذه الجبال التي حولك فقال هى عروقى فاذا اراد الله ان يزلزل ارضا أمرنى فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرنى بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما يوصف منها قال ان ورائى ارضا لمسيرة خمسمائة عام من جبال الثاج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثاج والبرد لاحترقت الدنيا من حرجهنم قال زدنى فقال جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالي لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

* (الباب الثانى في حدود الارض ومسافتها واطباقها وسكانها) *

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل ارض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم وافواههم مثل افواه الكلاب وايديهم كايدى الانس وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز واشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة

اخبرنا

فتفتش كل من كان فى المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتي جلس في البحر فقام له الموج على مثل السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يا مولاى ان هؤلاء اتهمونى وانى اقسم عليك ياحبيب قلبي ان تأمر كل دابة من هذا البحران تخرج رأسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد اخرجت رؤسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر فى الموج وصار يمشي ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصرى قال ذو النون فحملنى ذلك على السياحة وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في أمتى ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد بدل الله مكانه واحدا (وحكى عن سيدي ابراهيم الخواص رضي الله تعالي عنه) أنه قال طالبتني نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج

* أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا احمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما انا اردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهلي وخالفتك اذ خالفتك لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني وبحبل من أتصل اذا انقطع حبلك عني واذنوباه واغوثاه يا الله قال منصور فابكاني والله فوضعت فمي على شق الباب وقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا باكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ياهذه ماهذا الميت لك فقالت اليك عني يا عبدالله لاتجدد على أحزاني فقلت اني اريد هذا لوجه الله الكريم لعلك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعظ اهل العراق قالت يامنصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب مايكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا الى وثلث للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذني بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة الخائفين فقلت لنفسي ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم ان في جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدني فقلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بالقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له مافعل الله بك فقال آتاني ثواب اهل بدر وزادني فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب اهل النار كامثال البغال لها اذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون قفارا في كل قفار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شيء وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر الف قلة من السم لو امر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار واعمالهم وارواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه في احد جانبيه سموم وفي الآخر زمهرير وقد احتوشته من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم وروي سلمة بن كهل عن ابي الزرقاء عن عبدالله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء * واما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وباهله ففي الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ

الى بلاد الروم
فخوفت نفسي ان تكفيني
ذلك فصرت على نفسي
الخاطر فلم تلتفت الى ذلك
فخرجت اخترق ديارهم
واجول انظارهم والعناية
تكفيني والرعاية تحفني
لاألقى نصرانيا الا غض
بصره عني وتباعد مني الى
ان اتيت مدينة من المدائن
فرأيت على بابها رجالا
لابسين السلاح وبايديهم
الات الكفاح فلما رأوني
اتوا الي وقالوا الطبيب انت
قلت نعم فقالوا أجب الملك
فحملت اليه فلما رآني قال
انت الطبيب قلت نعم
فقال الملك احملوه اليه
وعرفوه بالشرط قبل
الدخول عليها قال ابراهيم
فاخبروني وقالوا ان للملك
ابنة قد اصابها اعتلال
أشديد وقد أعيا الاطبا
علاجها وما من طبيب
دخل عليها وعالجها ولم ينجها
الا قتله الملك فانظر الى
نفسك قبل الدخول اليها
قال ابراهيم فقلت لاحول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم قلت ان الملك ساقني اليها
فادخلوني عليها فاخذوني
ومضوا بي اليها فلما
وصلت الى باب القصر
اذا هي تنادي من داخل
الباب ادنوا بالطبيب فلي
وله سر عجيب فبينما أنا

قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه و ينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابو اسحق قال شبك بيدي أبو بكر محمد بن احمد القطان قال شبك بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبك بيدي ابراهيم بن يحيي قال شبك بيدي صفوان بن - ليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شبك بيدي عبد الله بن ابي رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر اسمائها والقابها)

(قال) وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى ادیما والثانية بسيطا والثالثة ثيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى (وأما اسماءها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال ام من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال الم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال الم نجعل الارض كفاتا قال خالد بن سعيد كنت امشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكي) ان عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من ارلاد المجوس شاب متطبب يدعى تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف ممتنع في حالة الحياة فاذا مات فلا حركة في دفنه والتسبب الى زيادة تنته وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد اقتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه اخبرنا عن صبي تدعيه امه وحضنته ايها اولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها ان يردوا اليها فافحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيي بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الفصل الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بارعة اشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها باربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد المشاعر وزينها ايضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء باربعة ابراهيم الخليل وموسي الكليم وعيسي الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب واصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها ايضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم ايضا باربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروي) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب ممرعا وقال ادخل فدخلت فاذا ببيت مبسوط مفروش بانواع الفرش و بستر موضوع ومن خلفه انين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقمت من داخل الباب متفكرا واردت ان اسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فامسكت عن السلام فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق ياخواص قال فتعجبت من اجابتها بخبئات الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة البارحة ان يرسل الي وليا من اوليائه يكون على يده الخلاص فنوديت سيحضر عندك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها متى خطر عليك هذا الامر فقالت منذ اربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا حالي رمقوني بالعيون ورموني بالجنون فما دخل على طبيب الا أوحشني ولا زائر الا ادهشني قال ابراهيم فقلت وما لها

صلاة الفجر فلما انفتل من ... ة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يامعاشر المسلمين من افتقد الشمس ... القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل فليستمسك بالقمر ومن ... يارسول الله ما الشمس ... مر وما الزهرة وما الفرقدان فقال انا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان ... باب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بار بعة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد ان حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بار بعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنبات والجمادات

* (الباب السادس فى عاقبتها ومآلها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحوارى لم يعص الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر لزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا كانت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بعضادتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم احدثتم أشياء حتى اعجلتم فهل انتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تتخلى وتلقي ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا لحماه ويا دماه اين انتما يومئذ

* (الباب السابع في وجوه الارض المذكورة فى القرآن) *

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى ارض مكة والوجه الثانى ارض المدينة قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى ارض المدينة وقال تعالى وان ارضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع ارض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أي أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى الامم فى التصاوير أمثالكم في التسخير وقال تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل

الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة وايانه اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما انا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ للملك واخبره بمقالتها فصرث اتردد عليها مدة سبعة ايام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذى ادخلك على وساقك الى هو الذي يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شيء قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشيء كن فيكون فالذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت

لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كاد الاشياء ان تكون سبعا فالسموات سبع والارضون والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف سنة والكواكب سبعة وهي السارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبع ورمي الجمارة سبعة وابواب جهنم سبعة وركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين وايام ملك مصر سبع سنين وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان وكرامة المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع تركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة اشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة اعضاء

(الباب الاول في بدء خلق السموات)

يروى في الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليهم نظرة هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثاني في جواهرها واجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون قال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في ان الله خالق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دياناح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طفطاف والسادسة سهساق والسابعة اسحاقائل واما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا

والرتق

محبها ولحقت بربها وصار بباب المعلى قبرها رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين

(وحكي عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت من بلدي على عادتي الى سياحتي طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما انا متحير اذ انا براهب نصراني قد اقبل علي واعترضني في الطريق ثم قال لي ياراهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام فقال الراهب لابراهيم ياراهب المسلمين ما نحتاج في أمرنا مخبرا وقد مضنا الجوع فهات ما عندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عزوجل وقلت الهي وسيدي ومولاي لا تفضحني بين يدي عدوي وعدوك قال فما اتممت دعائي حتى نزلت لنا مائدة عليها خبز ولحم وتمر وماء فاكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة ايام أخر لم نأكل فيها شيأ فلما اصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له ياراهب النصاري هات ما عندك قال فتوجه الراهب الى الله عزوجل واذا بمائدتين

والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان (وروى) ان الملائكة قالت يارب لوان السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومي قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى (وقد) ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها و بين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها برقيعا و بينها و بين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج و بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو اجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التى تليها الى الضعف وفى السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من سدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقوق ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا ابصارهم ولا يرفعونها الي يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى اموره الى أهل الدنيا رافعون اصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين و يخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة

عليها كما كان على الاولى من الخبز واللحم والتمر والماء قال ابراهيم فلما رايت ذلك قلت للراهب وعزته وجلاله لا آكل من ذلك ما لم تخبرنى فقال الراهب يا ابرهيم لما صحبتك حل نظرك على فعرفت ان الذى عليه نفسي محال وقد ضيعت زمنى في اتباع الضلال فتوسلت الى الله واعتمدت عليه بكرامتك لديه ان لا يفضحني منك فكان ما رايت وقد اقول كما نقول واشهد ان لا إله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكة شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج اقمنا بها اياما قلائل فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلى فلما احس بى اسرع في صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الى وقال يا ابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتى لك وصحبتى معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه اسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب

الى مكان يقال له مرهوتا مسيرة خمسمائه عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وانوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعو اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو ان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع ارضين والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة اشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الاولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عزوجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة اشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي على ضربين منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفي بعض الاخبار) ما يكون من حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان الطير المسرع ثمانين الف عام والعرش بكمي كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة والله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فراده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الاجنحة والقوة وأمره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فاوحى الله تعالى اليه ايها الملك لو طرت الى ان ينفخ في الصور مع اجنحتك وقوتك ما بلغ شأو عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ اعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروي) علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن

ابي

من السندس والاستبرق
فقلت له ألست صاحبي
بالامس قال نعم ففرحت
بذلك فرحا شديدا ثم قلت
له ما فعل الله بك قال يا ابرهيم
أتيته بذنوب كثيرة فمحاها
عني لحسن ظني به وجعلني
كما صحبتك في الدنيا جارك
في الآخرة رضي الله تعالى
عنه ونفعنا به (وروى) ان
غلاما كان لجعفر الصادق
رضي الله عنه صب الماء
على يدي سيده يوما من
الايام فسقط الاناء من يده
في الطشت فطار الماء على
ثوبه فنظر اليه نظرة
منكرة فقال الغلام
يا مولاي والكاظمين
الغيظ قال جعفر كظمت
غيظي فقال الغلام
والعافين عن الناس قال
جعفر عفوت عنك فقال
الغلام والله يحب المحسنين
قال جعفر اذهب فانت حر
لوجه الله تعالى ولك الف
دينار من مالي وهذا من
بعض كراماتهم وحسن
أخلاقهم رضي الله تعالى
عنهم * (وحكي عن بعضهم
رضي الله عنه ونفعنا به) *
قال رأيت بعض المذنبين
في النوم بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال وزنت
حسناتي وسيآتي
فرجحت سيآتي على
حسناتي فصرت متحيرا
فبينا انا كذلك اذ وقعت

أبي المتوكل الناجي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد اخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك ابو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك ان تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله انت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا اعود ما كنت اخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك ان تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك ايضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أليس قد عاهدتني ان لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا اعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني ان لا تعود لا ادعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا قلتهن لم يقربك احد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) ان اول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكائن ما خط في اللوح
فالنفس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (روى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون الف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم بغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك اذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها ان تئط ليس منها موضع اربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع او قائم او قاعد

صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم حملت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت القيته في قبر مسلم فغفر الله لي بذلك وادخلني الجنة فانظر الي كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده (وحكى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) ان ملكا بنى دارا واحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا وهم لا يمنعون أحدا من الدخول حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا واكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فاخبروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت ارضي بعيب واحد فكيف ارضي بعيبين ثم قال أئتوني بهم فاحضروهم بين يديه وسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب الدار

يذكر الله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى صحراء تتجأرون الى الله تعالى

* (الباب السابع في ذكر ما لها وآخرحالها) *

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء احدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء موراً يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبرانها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني دردى الزيت والثاني اخبرانها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار اكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب الآية واحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

* (مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء امرهما ومعادهما) *

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال اخبرني ابو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال انبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وما ذا قال زعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كانهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت اخري غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى اكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ألم تر الي قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الخبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير امرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله ان يطمسها و يحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يري صغرها من شدة ارتفاع السماء و بعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان بدأ الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى ياخذ اجرته ولا يدرى الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء و بقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى في جوف القمر مثل

ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فاين فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فاجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى نسأله تعالى التوبة والمغفرة (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) ونفعنا به قال كان لي أخ في الله تعالى وكان من الاولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب المحيا وكان له زوجة من اهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان في صنعة المراوح والاطباق فكنت اوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته فوجدت عنده ريشا من ريش الطيور العاتية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس على سائر الجنوس العجيبة يشتغل بذلك الريش صنعة المراوح فكنت اتعجب من ذلك فقلت له يا أخي من يأتيك بهذا الريش مع قلة خروجك للجبال والاودية فقال يا اخي ان الله سبحانه وتعالى سخر لي ملكا

الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين من الملائكة من اهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في اقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غلیانها كغلى القدر اذا ما اشتد غلیانها ودلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعني حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعا واولها مغربا الطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا اقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا واولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كانه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تجرى الشمس القمر والخنس في سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله ان يعصمه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه بابي أنت وامي يارسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فالخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك واما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان احببتم ان تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة و بياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى اجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف او ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلي القمر والشمس و يرى العباد آية من الآيات يستتيبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا اراد الله تعالى ان يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهي من كسوفها فاذا اراد الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها او الثلث او الثلثان في الماء و يبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها

من الملائكة يأتيني بذلك في كل جمعة لاجل المعونة على القوت فلما كان في بعض الايام فقدته فمضيت اليه في بعض الاسواق التي كان يبيع فيها المراوح فلم اجده فمضيت الى داره وطرقت الباب فخرجت زوجته وقالت من بالباب فقلت لها فلان اخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو غائب ام ضعيف فقالت ياسيدى انه مقيم الا انه مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها اني احب ان اراه فاني مشتاق اليه فمضت وعادت الى وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته في بيت مبنى له للعبادة وعليه انوار السعادة فلما رآني قام الى واعتنقني وسلم على سلام المحبين ثم جلسنا وتحدثنا ساعة فبينما نحن في الحديث اذا بمائدة وضعت بين ايدينا فيها من جميع الالوان فاكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بقدح من ماء قد وضع بين ايدينا فشربنا منه فما اكلت أحسن من ذلك الطعام ولا احلى من ذلك الماء فعرفت ان ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى

تسببه فتبسم وقال ياأخي
وقع لي حكاية عظيمة
فقلت وماهي فقال
خرجت يوما لبيع المراوح
على عادتي فمضيت الى
اسواق بغداد فلم يفتح على
بشيء ولم يكن عندنا شيء
من القوت فخرجت
ومضيت الى بعض
الحارات حتى انتهيت الى
حارة لبعض الوزراء فبينما
انا مار بها اذا بامراة جالسة
في قصر عال مشيد الاركان
فلما رأتني ارسلت الى
جارية من بعض جواريها
كانها قطعة من جبل فلما
اقبلت على لم تمهلني دون
ان احتملتني فلما شعر
بنفسي الا وانا في وسط
الدار فاحتملتني الجواري
ثانيا الى ذلك القصر فاغشي
علي فلما افقت نظرت الى
سرير من عاج مرصع
باليواقيت مزين بانواع
الذهب والفضة فدهشت
من ذلك واذا بامرأة قد
أقبلت على كأنها من
الحور العين وعليها من
الحلي والحلل مالا أقدر ان
أصفه فلما دنت مني
أغمضت بصري عنها
فقالت مرحبا بك ضيافة
ثلاثة ايام فتحيرت عند
كلامها حيرة شديدة اذ لم
اجد لي مخلصا اتخلص به
منها فقلت لها لا بد من ذلك
فقالت نعم فقلت لها يكون

في الفلك على مقادير ساعات النهار وساعات الليل ليلا كان او نهارا لا يكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من عمر ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا اخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تتجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك و يتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من افق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة اتعجبين من امر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج اصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب من ورائهم ثلاث امم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منشك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين من أحسن منهم فهو من المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكمي ضوأوان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فينحدر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي في الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان اقطار الارض وكنفي السماء ويجاوزان ماشاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناول منها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى

المشرق والى المغرب فاذا نفخ في الصور انقضت ايام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يومئذ عصابة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في اماكنها من اول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي ام قصرت صلاتي ام قمت قبل حيني قال ثم يقول فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي او خففت قراءتي او قمت في اول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في اماكنها اول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلاحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من اهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما ان ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا وضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هما سوداوان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ان يتصارخا هول الدنيا وتذهل الامهات عن اولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم بذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفهما جاء هما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وامي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللا بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

ذلك بعد ان أصعد الى أعلى ذلك القصر وارجع فقالت انا ادلك على بيت الماء لقضاء حاجتك واخدمك بنفسي فقلت لا يمكن ذلك الا ان اتوصل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني الى باب مغلق يتوصل منه الى اعلاه ثم فتحته وقالت امض ولا تغب عني فصعدت مسرعا الى أعلاه ونظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدي لا يخفى عليك تمري الموت ولا معصيتك ثم هان علي الوقوع من أعلى ذلك القصر فالقيت نفسي الى الارض فارسل الله تعالى الى ملكا من الملائكة فاحتملني على جناحه فلم أشعر بنفسي الا وانا على باب داري فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتي فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله ان لا اخرج من بيتي حتى اموت فهذا حديثي يا اخي قال فخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وصار على ذلك الحال حتى مات رحمه الله تعالى ونفعنا به

و(حكى عن الامام ابي

الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي انت وأمي يارسول الله وما التوبة النصوح قال ان يندم العبد على الذنب الذى اصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يردهما عين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان و يغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا ويحرثون فيها الانهار و يغرسون فيها الاشجار و يبنون فيها البنيان واما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة لدن من طلوع الشمس من مغربها الى ان ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداءك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذى نفسى بيده لينفخن في الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد اخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشربه ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين اهل الجنة والنار وقبل ان يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى و يقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ورأبنا في طاعتك وسرعتنا للمضي في امرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدىء واعيد انى معيد كما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا نم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدىء و يعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من امر الشمس والقمر حتى اتيناه فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجدوه من حديثه و بما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى استغفر الله من ذلك مع انى لم اتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب ان تحدثني بما حدثت به اصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشىء من امر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثني به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستغفره في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادني ذلك في ابن عباس رغبة للحديث حفظا والله

القاسم الجنيد رضي الله عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذ سمعت صوتا موزونا يخرج من كبد محزون قال الجنيد فبادرت الي ذلك الصوت حتي أرقمني بغلام كالقمر فلما رآني قال مرحبا بك ياأبا القاسم قال فتعجبت منه عجبا شديدا وقلت له حبيبي ومن اعلمك باسمى ولم ترني قبل ذلك فقال التقت روحي وروحك في الملكوت فاعلمني باسمك الحي الذى لا يموت ثم قال بالله عليك ياجنيد اذا أنا مت فغسلني وكفني في ثيابي هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على هذا الغريب يرحمكم الله قال الجنيد ثم ان الشاب عرق منه الجبين واشتد به الانين ثم قال بالله عليك ياجنيد اذا قضيت حاجتك ورجعت فاقصد بغداد واسأل عن درب الزعفران واسأل عن والدتى وعن ولدى وقل لهما أن الغريب يقرئكما السلام ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالي عليه * قال الجنيد فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم غسلته وكفنته

اعلم

اعلم *(مجالس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)*

(الباب الاول فى ذكر وجوه الحكمة وخلق ادم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولولم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين و يثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل و بعضا بالفضل وخلق المؤمنون خاصة للرحمة قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الضحاك بن مزاحم اي للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (و يروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب ان أشكر (قال) ابو الحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال اوحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسي آمن بمحمد وأمر أمتك أن يأمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولا قد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون *وقال على بن طالب رضى الله عنه ياأيها الناس اتقوا الله فما خلق أمرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا* وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى اي الدارين منقلبى لقد اوقفتني وقفة المحزونين ابدا ما أبقيتني (وقال) ابو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوي والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوي فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فاتى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يامسكين بين الله تعالى و بين ابليس مطروح ساه لاه والله اعلم

(الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فاتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيا فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فاتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها

وطلعت على الرابية كما قال
وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد واذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كانهم البدور فصلينا عليه ودفناه وانصرفت متحسر عليه فلما قضيت حجى رجعت الى بغداد ثم سألت عن ذلك الدرب فارشدت اليه فلما دخلت الدرب نظرت فاذا بصبيان يلعبون في الزقاق فنهض من بينهم غلام صغير السن حسن الوجه فصيح اللسان فقال ياأبا القاسم لعلك جئت تخبرني بموت والدي قال الجنيد فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم على واخذ بيدي واتى الى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها سيما الخير والصلاح فسلمت على وهي باكية العين حزينة القلب ثم قالت ياجنيد ابن مات ولدى وقرة عيني فلعله مات بعرفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بمنى فقلت لها لا فقالت لعله مات بالمزدلفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بالبادية تحت شجرة غيلان فقلت لها نعم قال فصاحت صيحة عظيمة وقالت ياولداه لا الى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم شهقت شهقة فارقت

روحها الدنيا رحمة الله عليها
قال الجنيد فنظر الغلام
الى السماء وقال الهي
وسيدي ومولاي لامع
أبي اخذتني ولامع جدتي
خلقتني اللهم بهما الحقني
ثم شهق شهقة فمات رحمة
الله تعالى عليهم أجمعين
* قال الجنيد فاخذت
في غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله عليهما
والمسلمين (وحكى عن
السري السقطي رحمه الله
تعالى ونفعنا به) قال كنت
جالسا ببيت المقدس سنة
من السنين عند الصخرة
وكان ذلك في ايام العشر
وانا متحسر حزين على
التخلف عن الحج في تلك
السنة وقلت في نفسي ان
الناس قد توجهوا الي مكة
ولم يبق الا ايام قلائل وانا
ههنا مقيم قال السري
فبكيت على فواتي وتخلفي
عن الحج في تلك السنة
فسمعت هاتفا يقول
ياسري لاتبك فان الله
سبحانه وتعالى يبعث لك
من يوصلك الى الحج في
هذه الساعة قال السري
فقلت كيف يكون ذلك
وقد بقي ايام قلائل وانا
مقيم ببيت المقدس بعيد
عن مكة فقال الهاتف ثانيا
لاتخف فان الملك القدير
يسهل عليك المسير قال
السري فسجدت شكرا

شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها
الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم
الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى
فامره ان يجلعها طينا ويخمرها فمجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك
اختلفت اخلاقهم ثم امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها
ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين
وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية
فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في انهار الجنة كلها فلما خرجت من
الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانفضت من خشية الله تعالى فنظر منها مائة الف
قطرة واربعة وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله
على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة
حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها اربعين
سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس
الذي اذا ضربته بيدك صلصل أي صوت ليعلم ان امره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فاذا الطين اليابس
لاينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه
أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم
والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في تفسير اول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل
والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على الوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره
وظهره من بيت المقدس وفخذيه من ارض اليمن وساقيه من ارض مصر وقدميه من ارض الحجاز ويده
اليمنى من ارض المشرق ويده اليسرى من ارض المغرب ثم القاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة
عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال
لامر ما خلقت ثم ضرب به بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من
الملائكة هذا خلق اجوف لايثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا
نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا علي لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله
تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله
تعالى الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر ان جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى
أربعين سنة يمطر عليه مطرا لحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في اولاده وتصير
عاقبتها الى الفرح والراحة * وانشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وايام مكروه كثير البدائه

وانشدني ابن الاعرابي فقال

محسن الزمان كثيرة لاتنقضي * وسروره ياتيك بالفلتات

وانشدني ابو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء يكون اعجب من ذا * لوتفكرت في صروف الزمان

حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالمكيال

(الباب الثالث في صفة نفخ الروح)

قال العلماء فلما اراد الله ان ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى ان قال في الرابعة ادخلي كرها واخرجي كرها فلما امرها الله تعالى بذلك دخلت في فيه فاول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يري آدم بدء خلقه واصله حتى اذا تقابعت عليه الكرامات لايدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه عطس فحين فراغه من عطاسة نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى ان قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك اول ما جرى على لسانه فاجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح [الى صدره وشراسيفه فاخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام *وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على ام رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال اني اذنبت ذنبا فقال من اين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده اذا اصاب احدهم مصيبة اومحنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد و بقيت منه بقية في أنامله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر و يخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليزلني من وكري وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه والبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على اعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من اياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه ادم عليه الصلاة والسلام وجبريل اخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله وطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله و بركاته فقال الله تعالى يا ادم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اسماء ذريته وقال ابن عباس واكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم امر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين واكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة

الله عز وجل ثم جلست ارتقب صدق الهاتف فبينما انا كذلك اذ انا بار بعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كان الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب علية هيبة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفي ارجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من انوارهم نورا قال السري فقمت اليهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين رحمني ربي بهم ورزقني صحبتهم قال السري فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبكى وكبر وصلى صلاة سلبت فؤادي فلما فرغ من صلاته جلس وجلس الثلاثة بين يديه قال السري فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب وعليك السلام ياسري ياصاحب الهاتف الذي هتف بك اليوم وبشرك ان لا يفوتك الحج في هذه السنة قال السري فكدت ان اصعق وامتلا قلبي فرحا وسرورا ثم قلت نعم ياسيدي هتف بي الهاتف قبل ورودكم

دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما امرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه فالقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو أوجد آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة واجلسها عند رأسه فلما هب ادم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا ادم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شيء حي قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الى واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في ان الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا * وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا ادم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت * وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله ان يخلق جارية بعث اليها ملكين اصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع احدهما يده على رأسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى ادم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال اهل التاريخ لما اسكن الله تعالى ادم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها فسارعا بهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى اكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره اصحاب الاخبار ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من احسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها اربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على

ساعة فقال الشاب يا سري كنا قبل ان يهتف بك الهاتف في بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا وعزمنا على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم واتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السري فقلت له ياسيدي وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم وبمعروف الكرخي اخواننا فخرجنا جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السري فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سري لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده والارض ارضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب في يوم واحد فهي تسير بقوتها ام بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهي جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب في يوم واحد فليس

باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له ايها الخلق الكريم من انت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال انا طائر من طيور الجنة اسمى طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من انت ومم بكاؤك فقال له ابليس انا ملك من الملائكة الكرو بيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس ايفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخالدون من تلك الخلائق فقال الطاوس واين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس انا أدلك عليها ان ادخلتني الجنة قال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لنا فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية واخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال اني رأيت بباب الجنة ملكا من الكرو بيين من صفته كيت وكيت فهل لك ان تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها اتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقال له ما يبكيك فقال ابكي عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وانغما لذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد اثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى ان يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روي) محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدي يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهي عنه * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول لقد اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلي اول الدن دردي هذا ابونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه افرارا مني يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة * ويروي ان آدم لما بدت سوأته

ببعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس في ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار ثم قال يا سري عليك بعز الدنيا والآخرة واياك ان تصل الى ذل الدنيا والاخرة فقلت له ياسيدي ارشدني الى عز الدنيا والاخرة يرحمك الله تعالى فقال من اراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن اليها ولا يطمئن قلبه لحبها قال السري فقلت له ياسيدي بالذي خصك بانواره واطلعك على أسراره اين تقصد قال الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه افضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا افارقكم فان فراقكم على أشد من فراق الروح للجسد فقال بسم الله وخرج وخرجت معهم من بيت المقدس فلم نزل نسير حتى قال يا سري هذا وقت الظهر فما تصلي فقلت بلى وعزمت على التيمم بالتراب فقال ان ههنا عين ماء عذب فدل بنا عن الطريق فاذا بعين ماء احلى من الشهد فتوضأت وشربت ثم قلت له والله ياسيدي لقد سلكت هذا

وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفقا يعنى آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين بان سوى ظاهره و باطنه فى الحلاوة والمنفعة واعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك اول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى ان يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر الاية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة * أخبرنى نافل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنوا بعيني راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فاجتثها * سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) المفرقة فرق بينه و بين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب احدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة القى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا امكنها وابليس عدو لهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروي ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا سجنا له ولاولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهما عهد لان هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى انها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن ادميك انت و بناتك في كل شهر مرة كما أدميت

الطريق مرارا عديدة ولم يكن هنا ماء فتبسم وقال الحمد لله على لطفه بعباده قال السري فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب العصر فبانت لنا اعلام الحجاز ولاحت لنا حيطان مكة فقلت هذه ارض الحجاز فقال وصلت الى مكة فاخذنى البكاء ثم قال يا سرى تدخل معنا فقلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين احدهما كهل والاخر شاب فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على السلامة فقلت له يا سيدى من هؤلاء فقال أما الكهل فابراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكوخى قال السرى فسلمت عليهما ثم جلسنا الى ان صلينا صلاة العصر والمغرب والعشا بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقمت معهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم فى المسجد فنمت فلما انتبهت لم أجد منهم أحدا فصرت كالمجنون الهائم وطفت عليهم فى المسجد الحرام وفي مكة وفي منى فلم اجد منهم أحدا فرجعت باكيا حزينا على التخلف عنهم رضي الله عنهم اجمعين وحكى عن عثمان الجرجانى رضى الله) عنه قال خرجت يوما من الكوفة

هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانيه) ثقل الحمل (الثالثه) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليات وكن يحملن سرا و يضعن سرا (الرابعه) نقصان دينها (الخامسه) نقصان عقلها عن أبى سعيد في حديث ذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا ودیننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسه) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعه) تخصيصهم بالعدة (الثامنه) جعلهن تحت أيدى الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار اعندكم (التاسعه) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانيه عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعه عشر) لا تنعقد بهن الجمعه (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن * وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء * اولها عزله من الولاية وكان له ملك الارض ومالك سماء الدنيا وكان خازن الجنه * الثانيه أخرجه من جواره واهبطه الى الارض * الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا * الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه ابلس من رحمة الله تعالى * الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله * السابعه نزع منه المعرفه * الثامنه أغلق عنه باب التوبه * التاسعه جعله مريدا أى خاليا من الخير والرحمه * العاشرة جعله خطيب أهل النار * وعاقب أخيه بخمسه اشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعدان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنه بالشتاء وجعلها عدوة بنى آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفى حال الاحرام * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس منى يعنى الحيات اخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال اخبرنا داود عن محمد عن أبى الاعين المبعدى عن أبى الاحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما هبط ادم الى الارض على جبل سرنديب وذكران ذروته أقرب من ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل ادم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان ادم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دار ليس لى رب سواك ولا رقيب دونك اكل فيها رغدا وأسلك حيث احببت فاهبطتنى الى هذا الجبل وكنت اسمع اصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك واجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتني الي الارض وحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك يا ادم فقال ادم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله ادم

أريد البصره فرأيت فى الطريق امرأة عجوز عليها جبة من صوف وخمار من عشر وهى تمشى وتقول الهى ما ابعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت على السلام وقالت من انت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجانى فقالت حياك الله يا عثمان اين تريد فقلت اريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا اعلمت صاحب الحاجة يوجه بها اليك ولا يتعبك فقلت ليس بينى و بينه تلك المعرفة فقالت وما الذى قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله بئس ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه باقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها اريد منك الدعاء فقالت عانك الله على طاعته وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف اخرجت من جيبى دراهم كانت معى فقسمتها بيني و بينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت يا عثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها انى رجل اصوغ

من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه و بكى اربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره و بطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب ان آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما اراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية واختلفوا فى تلك الكلمات ما هى فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال اي رب ارأيت ان انا تبت واصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبدالله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما اتيته شيأ ابتدعته من تلقاء نفسي او شيء قدرته على قبل ان تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم و بحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قناديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى ارض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى ارض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس ان آدم حج من ارض الهند اربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال واى شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحجك يا آدم فداخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) ابو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الا كاليل ونحات الورقه فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان اصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في اوديتها وكان اصله من الجنة فامتلأ ما هنالك طيبا فمن ثم يأتى بالطيب من الهند واصله من ريح آدم عليه السلام ورجه من ريح الجنة وانزل الله معه الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسي وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى

الى الجبل واحتطب منه حطبا واحمله على رأسي وابيعه فى اسواق المسلمين وانفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال احل ما اكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو صححت معاملة ذى الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحتطاب من رؤس الجبال ثم قالت ياعثمان اريد ان أريك كيف صححت معاملتي مع سيدى وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهممت بشفتيها فاذا يداها مملوءتان دنانير فقالت خذ هذه انت ياعثمان فوالله ما طمع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو احببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عنى فلم ارها نفعنا الله تعالى بها آمين (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه انه قال) كنت ملاحا بنيل مصر اعدى من الجانب الشرقي الي الجانب الغربى فبينما انا يوم من الايام جالس في الزورق اذا انا بشيخ ذى وجه مشرق قد اقبل على وسلم على وقال تحملنى لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمنى لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى

الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى ارض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بارض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب ام من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فاين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شىء من الارض الا فيها ارض الهند وارض السعدى وارض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هي دابة فى البحر قال اجل كانت هذه الدابة بارض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وماسمها فقذفها في البحر وهي اعظم ما تكون من الدواب غلظها الف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر اخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة الف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فامره ان ياخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام وله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوي أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى في جوفك لم تخف منه وان خرج اخرج الداء كله وابرأه فاكله آدم فبرئ (قال) اهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذي الهواء واحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امره ان يذبح كبشا منها فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء اول من غزلت وآدم اول من نسج ولبس الصوف

(عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماتقول في حرفتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال انا رجل حائك قال حرفتك حرفة ابينا آدم عليه السلام وكان اول من نسج ادم وكان جبريل يعلمه وادم تلميذه ثلاثة ايام وان الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فابونا ادم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من ادم ومن لعنكم فقد لعن ادم ومن اذاكم فقد اذي ادم وهو خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون ادم قائدكم الي الجنة

(وعن) أبي امامه الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الا كل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذى اصابك فقال اجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين لحمى وجلدى دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين احمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها واتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان

الجانب الغربى فكان عليه مرقعة وبيده عصا وركوة فلما نزل قال اريد ان احملك امانه قلت وماهي فقال اذا كان في غد عند الظهر تجدنى ميتا تحت تلك الشجرة فغسلني وكفني فى الكفن الذى تجده تحت رأسى وصل على وادفني تحت تلك الشجرة فان قبرى بها فاذا فرغت من امرى خذ هذه المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهم فادفعهم اليه قال فتعجبت منه ثم تركني ومضى فبت تلك الليلة متفكرا فلما اصبحت انتظرت الوقت الذي قال عليه الشيخ فلما جاء وقت الظهر نسيت فما الهمت الا قريب العصر فسرت اليه مسرعا فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا تحت راسه تفوح منه رائحة المسك قال فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت تحت الشجرة فوجدت قبرا مبنيا مرخما فدفنته فيه ثم عدت الي موضعي ليلا والمرقعة والركوة والعصا معي فلما طلع الفجر وبان الجو اذا انا بشاب قد اقبل فحددت النظر اليه فعرفته وكان من بعض صبيان الملاهي يرقص ويغني وعليه ثياب رقاق وهو

نار كم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها فى الثامنة طفئت
النار فقالت يا آدم انى لا اطيعك وانى منتقمه من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك
ولكني اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله
تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية و يروي أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال
لجبريل ماالها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله وانى لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث
فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء
حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال
آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك و بها أخرجت من الجنة و بها تحيا في الدنيا
و بها تلقى الفتنة أنت وأولادك الي ان تقوم الساعة ثم أمره ان يشد الثورين و يكسر من الخشب و يضعه
عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض و بكى الثوران على ما فاتهما من
راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس و بالافنبت منه الحمص وراثا فنبت منه
العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام
آكله فقال لا اصبر حتي يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا
وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه
الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن و يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره
جبريل ان يبث النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره ان يحفر
حفيرة و يضع الحطب فيها و يوقد عليها نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبزملة فهو أول
من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال
ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذى وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى
آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم
أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من
تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشرب بها فاطمأن ثم انه
بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ما هذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه
ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك
سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله على آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد ثابت على الجبل فقال هذا من هذا
فجعل يكسر اشجارا قد عتقت و يبست فاورقد على ذلك الحديد حتي ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدية
فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند
(قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب
لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل (وقيل) ان الله تعالى
زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها
ولا نوى فاما التى هي في القشور فالجوز واللوز الفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج
والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق
والزعرور والمقل واما التى لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثري والعنب والتوت والتين والاترج

مخضوب الكفين وطاره
تحت ابطه فدنا مني وسلم
على وقال لى انت فلان بن
فلان قلت نعم فقال هات
الامانة التى عندك وديعة
لى فقلت وماهي فقال
مرقعة وعصا و ركوة
فقلت ومن اين لك هذا
فقال لا أدرى الا أنى
كنت في عرس فلان
بالامس وانا ارقص واغني
الى ان اذن المؤذن فنمت
لاستريح فبينما انا نائم اذا
رجل قد ايقظني وقال لى قم
ان الله سبحانه وتعالي قد
قبض روح فلان الولى
وجعلك مكانه فسر الى
فلان ابن فلان فان الشيخ
اودع لك عنده وديعة
وهي مرقعة وعصا وركوة
قال فاخرجتهم اليه فخلع
ثيابه واغتسل فى البحر
وتوضأ ولبسها واعطانى
اثوابه وقال تصدق بهذه
الثياب ثم سار وتركنى فلم
ادر اين ذهب فاقمت
يومى ابكى الى الليل فلما
نمت رأيت رب العزة في
المنام وهو يقول يا فلان
أتقبل عليك ان منحت على
عبد من عبادى كان عاصيا
وقبلته انما ذلك فضلى
اوتيه من شئت ورحمتى
وسعت كل شيء (وحكى
عن بعضهم رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت ساكنا
ببغداد وكان لى دويرة

والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانه فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك اخرجتني من الجنة ولا تريدان تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة رياحين الدنيا و بالسنبلة وهي سيدة طعام اهل الدنيا و بالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره و يستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما اهبط ادم الى الارض كان اول شيء اكله من الثمار التين وقال كعب اول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما اهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها احدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك و يحمدك و يقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني و يقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري و يسبح فيها خلقي و يذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمته استوجب كرامتي بذلك ومن أخاف اهله فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا و يضجون بالبكاء ضجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفدالي وزارني واستضافني فحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل اهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على ذلك فهو من اهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله اوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك و بين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ واما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه واما التي بيني و بينك فمني الدعاء ومني الاجابة واما التي بينك و بين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطالب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست اعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح فهو اول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه (و يروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اراد ان يهبطه الى الارض يا آدم اني منزلك انت وذريتك دارا مبنية على اربع قواعد اما الاولى فاني اقطع ما تصلون واما الثانية فاني افرق ما تجمعون واما الثالثة فاني اخرب ما تبنون والرابعة اميت ما تلدون ولذلك قيل

خراب فاحتجت بناء حائط سقطت منها فخرجت الى موقف البنائين لانظر رجلا لبناء الحائط فنظرت الى شاب نحيف ذي وجه نظيف فجئت اليه ووقفت بين يديه ثم قلت له ياحبيبي اتريد الخدمة فقال نعم فقلت سر على بركة الله تعالى فقال بشرط اشترط عليك فقلت وما هو قال الاجرة درهم ودانق فقلت نعم قال وان أذن المؤذن تدعني اصلي مع الجماعة فقلت نعم فسار معي الى منزلي فخدم خدمة لم ار مثلها ولا احسن منها فذكرت له الغداء فقال لا فعرفت انه صائم فلما جاء وقت صلاة الظهر وسمع الاذان قال الشرط ياسيدي فقلت نعم فحل حزامه وتوضأ وضوأ ما رأيت احسن منه ثم خرج الى الصلاة مع الجماعة في المسجد ثم عاد الى خدمته الى ان سمع أذان العصر فقال الشرط ياسيدي فقلت له نعم فخرج وصلى العصر مع الجماعة وعاد الى خدمته فاتيت اليه وقلت له حبيبي ان خدمة البنائين الى العصر فما تستريح فقال سبحان الله انما كانت خدمتي الى الليل قال فلما

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكموا يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس تحت ذقنه منها شيء اعور في احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره ان يتخصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروي) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان ابليس قال يارب اخرجتني من الجنة من أجل ادم وانى لا استطيعه الا بسلطانك قال فانك مسلط عليه قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد سلطته علي وانى لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة بعشر امثالها وازيدها والسيئة بمثلها واحدة وامحوها قال يارب زدني قال قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال التوبة لا انزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدني قال اغفر ولا ابالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتني واخرجتني من الجنة وجعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبثثت في بني ادم الرسل وانزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهنة قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثك الكذب قال فما قراءتي قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذنك المزمار قال فما مساجدي قال مساجدك السوق قال فما بيتي قال بيتك الحمام قال فما طعامي قال طعامك ما لم يذكر اسمي عليه قال فما شرابي قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الخرقة والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فمنها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس تزوج الحية التي دخل في فيها حين كلم ادم عليه السلام بعد ما اخرج من الجنة فمنها ذريته

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فراده عيانا وكلمه وشافاها)

يروي ان ادم التقى بابليس في ارض فلاة فلاده على صنيعه وقال له يا ملعون اى شيء هذا الذي احللت بي غررتني واخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا ادم انى فعلت بك ما تقول وانزلتك هذه المنزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال فكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى (ويروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اي الاعمال احب اليك وابغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما اخبرتك انى لست اعلم شيأ احب الى وابغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ادمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيي بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب ارني ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فاوحى الله تعالى الى ابليس ان ائت عبدي يحيي بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيي أنا ابليس امرني ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيي فاذا على رأسه خطاطيف تطير وجقواه محفوفتان باكوار كور هنا وكور هنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يغفى او يغفى

جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ماهذا قلت والله ياسيدى هما من بعض أجرتك لاجتهادك في خدمتك فرماهما الى وقال والله لا أزيد على ما بيني و بينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فاخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان الغد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يات هنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآنى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معي فخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فاخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوزا لها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شيء وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا قال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه ابكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبي الك من حاجة فقال نعم

له قال فاى ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين يمتلىء شبعا وريا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لاجرم لا اشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا انصح ادميا ابدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شىء وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف اخر يهتف باعلى صوته غسله يا على فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتنى أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن اخرهم (ويروي) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم الف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذا اتاه شخص وأيقظه فقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذى اشفقت على هذه الشفقة فقال له انا ابليس فقال كيف هذا وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت ان تكون منهم فتنال معهم كما ينالون

* (الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل) *

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا الى اخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين واخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء اربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم كثر الله فى نسل ادم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لما مات ادم حتى رأى من ولده وولد ولده اربعين الفا ورأى ادم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما لطهارة لبنه فلما هبطا الى الارض واطمانا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جاريه هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التى ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخواتهم وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول الكلبى وادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح لبودا اخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هي اختى ولدت معي فى بطن وهى احسن من اخت هابيل فانا أحق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق باختى فقال له ابوه انها لا تحل لك فانى ان يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت

اذا كان فى غد تأتى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى فى هذه الخيمة واحفر قبرى بها ولا تعلم بذلك احدا وافتق جيب هذه الجبة واخرج ما فيها وامسكه عندك فاذا دفنتنى وفرغت من امرى فصل الى هرون الرشيد وادفع له ما تجده فى الجيب واقرئه منى السلام قال فلما كان الغد وصلت الى تلك الخيمة فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم أخذت فى غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه فى الخيمة وحفرت قبره بها كما قال ثم فتقت جيبه فرأيت فيه ياقوتة تساوى الف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد فى الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من امره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج فى موكبه تعرضت له فى بعض الطريق ودفعت اليه الياقوتة فلما راها خر مغشيا عليه فاحتوشتنى الخدمة وداروا بى فلما افاق قال خلوا عنه ثم اخذ بيدى ومضى بى الى مجلسه وقال يا اخى ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات

جعفر الصادق اكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغبت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهي اول من بغي في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم ان زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل اهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق لها رحما وكان اسمها تركه فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبي الست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكن آثرته على بهواك فقال له ان كنت تريد ان تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكلها السباع فخرجا يقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج اختي ابدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن بزاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى مكة ليزور البيت فلما أراد ان يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى ان عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة ابيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى وتنكح أختي الحسناء وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني وافضل ويفتخر ولدك علي ولدي فقال له هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمر ان المقتول كان اشد ولكنه منعه التحرج ان يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدى لما قصد قابيل قتل هابيل زاغ هابيل في رؤس الجبال ثم اتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل اخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون اين يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم القاه في الحفرة ووارا وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري

سواة

الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فجعل الرشيد يبكي ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فجاءت امرأة كانها حورية فلما رأتني ارادت ان ترجع فقال لها الرشيد ادخلي فدخلت وسلمت فرمي لها الياقوتة فلما رأتها صاحت صيحة وغشي عليها فلما افاقت قالت يا امير المؤمنين ما فعل بولدي صاحب هذه الياقوته فقال لي صف لها صفته وقص عليها قصته قال فقصصت عليها ما كان منه فجعلت تبكي وتقول ما اشوقني اليك يا قرة عيني ليتني ما كنت اسقيك اذ لم تجد ساقيا وانيسة لك اذ لم تجد مؤنسا ثم بكت بكاء شديدا فقال لي امير المؤمنين يا اخي هذا ولدي كان معي قبل ولابي هذا الامر فكان يتردد على العلماء ويجالس الصلحاء فلما وليت هذا الامر نفر عني وتباعد مني فقلت لامه هذه ان ولدك انقطع الى الله سبحانه وتعالى فلا بد ان تصيبه الشدائد ومكابدة الاحزان فادفعي اليه هذه الياقوته لينتفع بها عند الاحتياج اليها فدفعتها له فحرمت عليه ان يمسكها فغاب عنا حديثه الى ان

سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الازرعي قال حدثني المطلب عبد الله بن المخزومي لما قتل بن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه اين أخوك ها بيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك لينادي من الارض فلم قتلت أخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده ابدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجرة وتغيرت الاطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء وأغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمآثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بني انك وصي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل اذاق الموت هابيل فواحزنا لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لها بلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفني * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكي * اذا ما المرء غيب في الضريح
فابك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحي * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن ابي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم اتى فقيل له حياك الله واضحكك ولا ابكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين رمى لنادنيا ناولقي الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا اخي ارني قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسالني الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لي في ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضي عنه (وحكى عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذا رجل اعرابي بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ اسباب المسلمين واموالهم فلما دنا مني اراد ان ياخذ ثيابي فاسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال من اين الرجل فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ما صناعتك فقلت اقرأ القرآن واعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عزوجل فقال اوالله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابي فانشدني من كلامه بيتا قال الاصمعي فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفي السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابي سيفه ورمحه وقال تبا لقاطع طريق

ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني انه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من راه فاخذ بيد أخته اقليم وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار وعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله اعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره ان يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا ان يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به *وروي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهوا وهو أضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي يا ملك الموت قال ما فعلت بل انت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري اربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله أكمل لآدم الف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة وولیت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم انت فصل علي ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فالخمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار ابي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) ابو صالح عن ابن عباس انه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله اعلم

وخائن سبيل رزقه في السماء ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده ان لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك الرجل فرحا شديدا فلما كان العام الثاني خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما انا طائف بالبيت اذ رجل عليه سيما الخير والصلاح قد اقبل نحوي وسلم علي وقال الست صاحبي بالعام الماضي فقلت نعم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتا واحدا فقلت ايسا قال لاصمعي فقرأت عليه فورب السماء والارض انه الحق مثل ما انكم تنطقون قال فرفع الاعرابي راسه وقال يا اصمعي وما الذي الجاه الى هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به امين

(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الركن اليماني وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام ﴾

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلفه فى أحسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه واسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل واباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وامره بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليها وامن ابليس من اجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول تائب واول مجتبى واول مصطفى واول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فبعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم

« (مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام) *

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) اهل العلم باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن يرد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث وأمه اشوث وكان ادريس اول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قاله ابن عباس واكثر الناس انه سار ذات يوم فاصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فتاذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما حال الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك ثقلها وحرها فاجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني و بينه واجعل بيني و بينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يساله وكان مما سأله ان قال اخبرت انك اكرم الملائكة على ملك الموت وامكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع ان يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه اتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له افعل لك كل شيء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته اجله ومتى يموت فيتقد فى نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فاخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال اني لا اجده يموت عند مطلع الشمس قال فاني أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن الله فى زيارته فاذن له فاتاه في صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل وفعل ذلك ثلاث ليال فانكره وقال له فى الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استاذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فاذن لى في ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحي فاوحى الله تعالى اليه انا قبضنا روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن له فى ذلك

خلقه يا كريم فالتفت الاعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيق القد انهزأ بى لكونى اعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اما تعرف نبيك يا اخا العرب فقال الاعرابى لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اعلم انى نبيك في الدنيا وشفيعك فى الآخرة قال فاقبل الاعرابى يقبل قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بى كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابى لا يغرنه كرمنا ولا حلمنا فعندنا محاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير فقال الاعرابى

فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى اردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذني دخل الجنة وبامري لا يخرج فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف في مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدي وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان واما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن ادريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابا وهو ماروت وعزرائيل وانما غيرا اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم واهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطئطئا رأسه حياء من الله تعالى واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فامر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت

أو يحاسبني ربي يا رسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابي وعزته وجلاله ان حاسبني لاحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك يا اخا العرب فقال الاعرابي ان حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته وان حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه وان حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه قال فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول لك يا محمد قل من بكائك فقد الهيت حملة العرش عن تسبيحهم قل لاخيك الاعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه فانه رفيقك في الجنة (وحكى عن عبد الرحمن بن المهذب رضي الله عنه انه قال مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادي على عبد ويقول ابيعه على عيبه فقلت للدلال ما العيب الذي في هذا العبد فقال يا مولاي سله فدنوت من الغلام وقلت ما العيب الذي فيك فقال باسادي عيوبي كثيرة ولا ادري بايها شهروني فقلت للدلال اخبرني ما العيب الذي في

وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله امر عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدي والكلبي انها قالت لا ندركني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني به قال احدهما الصاحبه علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما اخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي ارمق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت ايقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقي الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وانكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد واقسم بها فقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عبيد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله تعالى وقالا لا نرأ يناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ملىء جب نارا فجعلا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروي) ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشارهما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من امر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن اختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت انى لاخاف ان اكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جملته ياتيك فلما كان الليل جاء تني بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقال انما نحن فتنة فلا

هذا الغلام فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف ياتيك هذا الصرع في كل سنة ام في كل شهر ام في كل جمعة ام في كل يوم فقال يا مولاي اذا استولى داء المحبة على القلب سري في الاعضاء واذا استولى على الجوارح نشر خمار المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فيحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من اولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت ولك عشرون فوزنت له الثمن واخذت الغلام واتيت به الى الدار ثم امرته بالدخول فابى وقال ياسيدي ألك اهل فقلت نعم فقال ومن يستطع النظر الى غير محرمه فقلت له قد ابحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الحوائج قضيتها وانا دون الباب قال عبد الرحمن فسكت عنه وتركته ثم اخرجت له الغداء فقال انى صائم فلما كان الليل اخرجت له العشاء فقال انى طاو فاقام عندي في دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلي

تكفري فارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الي ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لابول فقزعت فلم افعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ قلت لم ار شيئا فقالا لم تفعلي شيئا فارجعي الى بلادك ولا تكفري فابيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم ار شيئا قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس امرك فقلت لا فقالا لي اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتي ذهب في السماء وغاب حتى ما اراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم اره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئا ولا قالا لي شيئا فقالا لا نريدين شيئا الا كان حذى هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يالم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله ابدا (قال) الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل صف لي النهار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال اهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لماتت اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وبكي جبريل فقال ياجبريل اتبكي وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودیا من السماء یاجبريل و یا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام وامه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا يناكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليها حفاظا لئلا يقربها احد من اولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم ابن شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح

ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا فسمعته يقول في مناجاته الهي اغلقت الملوك ابوابها وبابك مفتوح للسائلين * الهي غارت النجوم ونامت العيون وانت الحي القيوم الذي لا تاخذك سنة ولا نوم * الهي فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وانت حبيب المجتهدين وانيس المستوحشين * الهي ان طردتني عن بابك فالي باب من ألتجئ * الهي ان قطعتني عن جنابك فالى جناب من التجئ * الهي ان عذبتني فانى مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عني فانت اهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال ياسيدي لك اخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون وبرحمتك اناب المقصرون ياجميل العفو اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم اكن اهلا لذلك فانت اهل لذلك يامن هو اهل التقوى واهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعي ولم اشوش عليه فلما اصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال ياسيدي او

الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة اخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض واكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم باسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقي في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يغرك فقال يا ابت مكنى من العصا فاعطاه العصا فقال ضعنى في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بى عبادك فان لم يكن في عبادك حاجة فاهدهم وان لم يكن غير ذلك فصبرنى الى ان تحكم بينى وبينهم وأنت خير الحاكمين فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا ارحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الآية الى قوله ولا تذر ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا وهى اسماء اصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا فاجاب الله دعاءه وامره ان يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى اغرق اهل المعصية وارح ارضي منهم قال نوح يارب ابن الماء قال يا نوح انى على ما أشاء قدير قال نوح يا رب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك اربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى ارحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر امره ربه ان يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله ازور على ثلاثة صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل ابوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيىء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله يسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم واوحى الله الى نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستاجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه ان احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران

ينام من يخاف النار
والعرض على الملك الجبار
والتوبيخ غدا على الذنوب
والاوزار ثم بكا بكاء
طويلا فقلت له انت حر
لوجه الله تعالى فبكى وقال
باسيدي كان لى اجران
اجر العبودية واجر الخدمة
وقد ذهب عني احدهما
اعتقك الله من حر نار جهنم
قال عبد الرحمن فدفعت
اليه نفقة فابى قبولها وقال
ان المكتفل بالارزاق حى
لا يموت ثم خرج هائما على
وجهه لا ادري اين ذهب
رضى الله تعالى عنه *
واشوقاه الى ارباب القلوب
واحسرتاه على فوات
المطلوب * يا محبوسا فى
سجن الغفلة لو اشرفت
على وادي الدجى لرأيت
خيام القوم مضروبة على
شاطىء بحر كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون واسمعت
اطيار اشجانهم على
اغصان احزانهم تترنم
بالحان وبالاسحار هم
يستغفرون لنلهم السهر
وصفا وقتهم من الكدر
وخلوا بالمحبوب وفازوا
بالمشاهدة والنظر شعر
هذا الحبيب مع المحبوب
قد حضرا
وساع الكل عمدا قد مضى
وجرى
وقد دار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف

التنور آية بينه و بين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور فارفارکب انت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور راى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الاية (واختلف) العلماء فى قوله تعالى وفار التنور قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبى انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر اربعين يوما وليلة فاقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين اصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة تزل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك ياعدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج ياعدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك ان تحمانى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا احملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا ان يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف اصنع بالاسد والبقر، كيف اصنع بالعناق والذئب وكيف اصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال انت يارب قال فانا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شىء * واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام و يافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فاصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح ان لا يقرب ذكر انثى مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوي نسائهم وهم نوح و بنوه سام وحام و يافث وستة انات ممن كانوا آمنوا معه وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته و بنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم

نساء

البصرا
يا سعد ذكر لنا ذكر الحبيب لقد
بليت اسمائنا يا مطرب الفقرا
ما ركب الحمى مالت ومعاطفه
لا شك ان حبيب القوم قد حضرا
وعند ذا تنظر الاعلام قد رفعت
يؤمهم علما للوصل قد نشرا
فمجلس الانس للمحبوب يجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له
حاشاه يشبه شمسا ولا قمرا
ومن اتاه فقيرا لا مرد له
سواه يكتبه من جملة الفقرا
هذا السماع الذى تشفى الصدور به
هذا الحبيب الذى قد حيرا الفكرا
صوفية عند ما ضاقت صدورهم
ازال عنهم جميع الشك والكدرا
(وحكى عن محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه انه قال)
رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو بين انينا شديدا فقلت لصاحبى اعدل بنا اليه فلعله عليل فقال ما هذا عليل هذا من المحبين وفى الظاهر انه من المجانين فقلبه بحب مولاه

نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معترضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخل وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء و ينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك اربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت قلته فلما بلغها الماء خرجت حتي استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله احدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فارست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد بادما على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والا عوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا كما قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب و يشرب منه من طوله و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عدو الله فاني لم أؤمر بحملك وأطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك اي انشفي ويا سماء اقلعي اى احبسي ماءك وغيض الماء اى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانها آخر ما بقي في الارض من ماء الطوفان و بقي في الارض اربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت انا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسي أهكذا هلكت قال لا بل مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب اوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث

مفتون وهو يعرف بعبيد المجنون قال فتقربت اليه فاذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة من صوف بالية وهو يقول عجبا لمن ذاق حلاوة محبته كيف ينقطع عن خدمته ثم لم يزل يردد القول حتى غشي عليه فقلت لصاحبي والله ما هو بمجنون وانما المجنون الذي لا يصل الى هذا المقام فلما أفاق من غشيته قال ما بالكم تنظرون الى فقلنا لعل دواء يشفي من الداء الذي تجده فقال الذي ابلي بالداء عنده الدواء ولكن الذي يتداوي يحتمي قلنا بماذا يحتمي قال بترك الحرام وتجنب الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام ثم بكى بكاء طويلا و بكينا معه وقلنا له نحن أضيافك فادع لنا فقال لست من خيل هذا الميدان فاقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم المغفرة ومثواكم الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال قال فانصرفنا عنه وقد عجبنا من استواء لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه يا هذا ما هذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف بك ايها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب و يستحضرك في حضرة قربه وانت في

فاكلاه فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك انه تولد في السفينة اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلادة جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى اهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال اهل التاريخ ارسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة الفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء واقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وامر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه ابدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من ارض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره الف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما اللذان انهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر واما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع حلقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها واوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان اول نبي من أنبياء الشريعة واول داع من الله تعالى واول نذير عن الشرك واول من عذبته امته لردهم دعوته واهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وامرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي في حلقت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي ابدا ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم اجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل لما كبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من

الرسل

المغيب الى متى انت تضيع عمرك وما نلت منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا مجيب (وحكى عن محمد بن ابي الفرج رضي الله تعالى عنه انه قال) احتجت في شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت في السوق جارية ينادي عليها بثمن يسير وهي صفرة اللون نحيلة الجسم بادية الجلد فاشتريتها رحمة لها واتيت بها الى المنزل فقلت لها خذي أوعية وامضي معي الى السوق لنشتري حوائج رمضان فقالت ياسيدي انا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت انها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضي بنا الى السوق لنشتري حوائج العيد فقالت يا مولاي اي حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت ياسيدي حوائج العوام الطعام المعهود في العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفريغ للخدمة والتجريد والتقريب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انما

الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وانواع الاذي والجفاء مالقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثانى المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه واجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا واكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر واصل النسل (وروي) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام ان لا يعد واشعر ولده آدانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث ولما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده اثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقى النيل وما بين مجري الجنوب الى مجرى الشمال وجعل غربى النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وماوراءه الى سيحون الى مجري ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فماوراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا اهلها لفضل قوتهم التى اتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة (قال) ابو حمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا (وقال) وهب كان رأس احدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب اوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هر دو صنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن أرم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضي من عمره ثلاثون سنة فامرهم هود ان يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما ذكر بغير ذلك فابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتي أضر بهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة

الطعام فقالت ياسيدى اى طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها صفيهما لى فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه فى السر والنجوى ثم انها قامت تصلى فقرأت فى الركعة الاولى صورة البقرة الى آخرها ثم شرعت فى آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الاية وتبكى الى ان اغمي عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع عن الركب الطريق فقلت لرجل بجانبي أما فى

عارف بحرمتها ومكانتها عند الله تعالى واهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام ابن نوح وكان سيد العماليق اذذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجهلمة بن الجبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم فاستحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مي بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما
فتسقى ارض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير * فقد أمست نساؤهموا عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركموا وليلكموا تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لهم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم لكن ان أطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جلهمة ابن الجبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل * ذوي كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله شيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يأمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك وأجعل سؤل النامع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وقال قيل بن عنز حين دعى واستسقي اللهم لم أجيء لمريض فداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت

تسقيهم

هذا الرب رجل يأخذ سيفا يردعنا هذا الاسد فقال اما رجل فلا أعرف ولكني اعرف امرأة ترده من غير سيف فقلت وأين هي فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلي وردي عنا هذا الاسد فقالت باابت ايطيب قلبك ان ينظر الى الاسد وهو ذكر وانا انثي ولكن قل له ابنتي فاطمه تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تاخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعي فوالله ما استتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا * هذه والله دلائل الصالحين وامارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) انه رأى جارية في البادية وهي تمشي وتفرح وليس معها احد فقال من اين اقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى اين تريدين قالت الى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت باعلاه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يا بطال من

تسقيهم يالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه منادمن السحاب الاياقيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه المنادي يقول اخترت ياقيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا ولدا تترك ولا والدا الا جعلتهم رميما هم الا بوالليوية المهداو بوالليوية رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بامر ربها أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين انبأنا محمد بن جعفر انبأنا الحسن بن علوة انبأنا اسمعيل بن عيسى انبأنا اسحق بن بشر اخبرني المثني بن الصباح عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال اوحى الله تعالى الى الريح العقيم ان تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر ثور حتى رجفت الارض مما بلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها ان ارجعي فاخرجي على قدر خرمة الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا اهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتطعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الي الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما اهلكهم الله تعالى ارسل عليهم طيورا سودا تلقيهم في البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كانهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهاني امسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لو لم يجئني جثته وحبسته

فقال له هود ويحك ياخلجان اسلم تسلم فقال له مالي عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين اراهم في السحاب كانهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان اسلمت ايقيدني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الريح فالحقته باصحابه واهلكته وافنى الله عادا سوي من بقي من قومهم بمكة ونواحيها (اخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري اخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا ابو يعلى الموصلي اخبرنا اسحق بن أبي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القوار يري أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعي اخبرنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمرو البجلي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم

استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عني فلم ارها رضي الله تعالى عنها (وحكى عن السري السقطي رضي الله تعالى عنه انه قال) ارقت ليلة من الليالي فلم أستطع الغمض فقلت في نفسي اخرج الى المقابر لعلي اعتبر برؤية القبور والتفكر في البعث والنشور فيزول همي وغمي فخرجت اليها فما وجدت قلبي منشرحا لديها فقلت ادخل الاسواق لعلي باختلاط الناس يزول عني الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبي هنالك فقلت أدخل المارستان وانظر الى المرضي والمجانين والى افعالهم لعلي اعتبر باحوالهم فدخلت اليه فوجدت قلبي مقبلا عليه فقلت الهي وسيدي الي ههنا سيرتني ولاجله من منامي ايقظتني فنوديت في سري ما اتينا بك الى هذا المكان الا ولنا فيه نبأ وشان قال السري فتقدمت الى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان الى عنقها وهي مشغولة بذكر الله تعالى قال السري فقلت للقيم على المجانين ماشأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها

خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي اهلكت عادا بشربهم الخمر واكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبيناهم عنده اذا اقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة من امصار عاد فاخبرهم بهلاك عاد فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هرملة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا قد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتكم منا كم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطني براو صدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختاران يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا ابالي لا حاجة لى في البقاء بعد قومى فاصابه الذى اصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أطب عفر لا يمسها القطر او عمر سبعة انسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابار واختار عمر النسور فعمر سبعة أنسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتي انتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ للقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضي عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأي لبدا لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل اتى ابد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا واضحي اهلها احتملوا * أخنى عليها الذى اخني على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى اخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
وسيروفدهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العناء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
الا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن اذ عصوه * وماتغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابنتاى وام ولدى * لنفس نبينا هود فداء
اتانا والقلوب معميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
* فابصره الذين له أنابوا * وادرك من يكذبه الشقاء
واني سوف الحق من آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطفيل عامر ابن وائلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من اهل حضرموت هل رأيت كثيبا احمر يخالطه مدرة حمراء واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا امير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكنني قد حدثت عنه فقال الخضرمي وماشأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا ابو عمرو أحمد بن أبي العرابى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام

مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وانشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ماجننت ولكن
انا سكرانة وقلبي صاحى
قد غلتم يدى ولم آت ذنبا
غير هتكى في حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب
لست ابغي عن بابه من براح
فصلاحى الذي رأيتم فسادي
وفسادى الذي رأيتم صلاحي

قال السري فلما سمعت كلامها اقلقني وابكاني وهيج لوعتى واشجاني فلما رأت دمعي يتحدر على وجهى قالت ياسرى ماجهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت واهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السرى فقلت لها ياجارية اراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فلمن تحجبين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحجب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج للكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال

أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبانا يونس بن محمد أنبانا يزيد بن ابى حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط انه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعون نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفي رواية اخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله اعلم

﴿ مجلس فى قصة صالح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وارادههنا القبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمودا لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض ان عادا الاولى لما اهلكهم الله تعالى وانقضي امرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فجلوا فيها فكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبني المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه باصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعوا الهتك وندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح فى شيء مما يدعوا به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة عن الجبال فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح الميثاق انه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظاما وهم ينظرون ثم نتجت سبقا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود ان يأمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورياب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت ان تجيب لو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وماعدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنت الناقة ومعها سقيها فى ارض

السرى فقلت من حبسك في هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم مني وانشدت تقول

يا من رأى وحشتي فانسني
بالقرب من وصله فانعشني
يا ساكني لا خلوت من سكني
دهري وياعدتي على الزمن
اوحشني ما فقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربني
وجاد ايضا على منعطفا
كذاك قد كنت حين عرفني
حسبي من الكون من شغفت به
اصحبه مؤنسا ويصحبني
وكنت في غفلة فنبهني
وكنت في رقدة فايقظني

قال السرى فقلت لها ما الاسم فقالت دع الاسم يكفيك فما سمعت يغنيك فبينما نحن كذلك اذا قبل سيدها فقال للموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السرى فكلمها بكلام اصغت اليه فدخل سيدها فرأى السرى عندها فعظمه وقبل يده وقال ياسيدى لقد رحمت ببركتك فقال له اي شيء انكرت منها فقال يا سيدي هذه جارية كانت تضرب بالعود فاعجبتني

فشريتها بجميع مالي وهو
عشرون الف درهم لفرط
حسنها وحسن ضربها
بالعود واملت ان اربح فيها
مثل ثمنها فدخلت عليها في
بعض الايام والعود في
حجرها وهي تغني وتنشد
هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقضت الدهر
عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملات جوانحي والقلب
وجدا
فكيف اقر ياسكني واهد
فيا من ليس لي مولى سواه
لقد صيرتني في الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها
بكيت بكاء طويلا ثم
ضربت بالعود في الارض
فكسرته وجعلت تهيم
وتصيح وهي ذاهلة العقل
فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم
كشفت عن حالها فلم أجد
لذلك أثرا قال السري
فقلت لها ياجارية اهكذا
جرى عليك فاجابته بهذا
الكلام تقول شعرا

جاء بني الحق من جناني
وكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بعد
وخصني منه واصطفاني
اجبت لما دعيت طوعا
ملبيا للذي دعاني
وخفت لما جننت فيه
ما يوقع الحب بالامانى

قال السري فقلت لسيدها
اطلقها وعلى دفع ثمنها

ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بارض
الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترتفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها
فتتفجج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن اوانيهم لكن تصدر من
غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر ان تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال ابو موسى الاشعري
أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد
أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا وقدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعه وكانت
الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي
في حره وحدته فكانت كل المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب
مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدة فضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر
ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز
وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان
ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهرج وكانت غنية جميلة ذات
مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحفالان في عقر الناقة من كفرهما بصالح
بما اضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال
فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من اصحاب صالح عليه
الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله
تعالى فابت عليه واخذت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما
الح عليها قالت حتى احاكمك الى بني عمي وذلك ان بني عم زوجها كانوا مسلمين فابت ان تحاكمه اليهم فقال
لها وعمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فصارت ذلك أعظم أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في
عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الجناب فامرته بعقر الناقة وعرضت
عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان
هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا واحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن
سالف من اهل قدح واسم امه قديرة وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له
صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار اعطيك من بناتي ايما شئت على ان تعقر
الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نبعث اشقاها رجل عزيز في
قومه مثل ابي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بمن استعانوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا
تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات
بن مبلع خال قدار وهو ابن عزيز من اهل الحجر وزعر بن غنم بن داعرة اخي مصدع وخمسة لم نذكر اسماؤهم
فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاكهم على يديه فقالوا
لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا اولادهم وولد
للعاشر ابن فابى ان يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت
نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل اولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا لنخرج فنرى الناس انا

قد خرجنا السفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فنقتله ثم نرجع الي الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الي رحالنا فنقول ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا و يظنون اناقد خرجنا الي سفر وكان صالح لاينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح ببيت فيه في الليل فاذا اصبح اتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار واضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فشدختهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية ياعباد الله ماقتع صالح ان أمرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجمع اهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على اصحابهم اتى اصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لانقتلونه أبدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدارا وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة و يشب في الجمعة شباب غيره في الشهر و يشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع الناس يصيبون من الشراب فاراد واماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لوكنا نأخذ الماء الذى تشربه هذه الناقة فيسقيه انعامنا حرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأه يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان انا كما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لانطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها اطعنا كما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتي صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة اخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن النساء وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارادها وطعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقيها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوه وقيل اسمه قارة وروي ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه و يعتذرون اليه و يقولون يانبي الله انما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتي ماتناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا

فصاح سيدها وافقراه من اين لك ثمن هذه الجارية قال السري فقلت لا تعجل وامكث في هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السري فمضيت الي منزلي وعيناى تذرفان بالدموع وقلبي بسبب حبها مودوع وصرت اتضرع الى الله تعالى واتوجه اليه واتوكل في قضاء حاجتي عليه فبينما انا كذلك اذا قارع يقرع الباب فقلت من بالباب من حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من احسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من انت يرحمك الله فقال احمد بن المثنى قد اعطاني الجبار جل جلاله ومايبخل على بعطائه ورزقني من الاموال مايعجز عن حمله الرجال فبينما انا نائم اذ هتف بي هاتف من قبل الله عز وجل فقال ياأحمد هل لك في معاملتنا فقلت وقد زال النوم عني ومن اولي بذلك مني فناداني ان احمل الى الشيخ السري خمس بدر يعطيها لمولى بدعة ليفك اسرها من الرق ويحظى منها بالعتق فلنابها عناية ولطف ورعاية فحملت اليك هذا المال واطلعتك على الحال قال السري فسجدت شكرا لله تعالى واخذت بيد احمد

في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع واخوه ذؤاب ولدمهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم حز برجله فأنزله والقوا لحمه مع لحم امه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمعون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان اعيش وان يومي * بأول او بأهون او جبار
أو المرد دبار فان افته * فمؤنس أوعروبة او شبار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن رقت العذاب وآيته انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكني اباهدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يانبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فاتوا اباهدب فكلموه فى ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا مما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين اظهرهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت اكفانهم الانطاع ثم القوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا فى دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع فخرجت كاسرع شيء يكون حتى اتت قرحا وهو وادى القرى حدما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما اصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت (وروى) ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم ثم قال أما بعد فلا تسئلوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل

ومضينا الى المارستان واذا بالموكل عليها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآني قال مرحبا ادخل عليها فانها لهفانة وهاعند الله حرمة ومكانة قال فدخلنا عليها فسمعناها تقول شعرا

قد تصبرت الى ان
عيل فى حبك صبرى
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك امري
ان تكن عني راض
لا أبالى طول دهرى
أنت لى خير انيس
يامنا سؤلى وذخرى
من برد يعتق رقى
ويفك اليوم اسري
غيرك اللهم ربى
انت لى كاشف ضرى

قال فبيناهى تنشد اذ اقبل مولاها وهو يبكى وينتحب قال السرى فقلت له لا باس عليك قد اتيناك بالذى وزنته فى الجارية بربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح عشرة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح المثل فقال لا والله ولو اعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السرى ففلت له اخبرنى ما الخبر فقال ياستاذى اتانى البارحة آت في النوم ونخني في المنام واغلظ على في الكلام وقال تهين

حين ارتقي في الغار فمتواعن امرر بهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله تعالي فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالي فلما خرج اصابه ما اصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وارادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر ابى رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم و بحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه واسرع السير حتى جاوز الوادى وقال اهل العلم توفى صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما اهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد اقام فى قومه عشرين سنة (اخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون (قال) اخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن ابيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتدري ما اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال يا على اتدرى من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك والله اعلم

(مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن فينان بن ارفخشذ بن سام ابن نوح وكان اسم أبى ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

(الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذى ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من ارض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن ابوه نقله الى ارض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاث آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذى ولد فى ملكه ابراهيم وهو نمروذ بن كنعان بن سنجار يب ابن كورش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ و بختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر فى الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقال السدى رأى نمروذ فى منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك اهل بيتك على يديه قال فامر نمروذ بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه و بينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة

ولية لنا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه لله تعالى وانا هارب اليه عسى ان يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السرى فالتفت الى احمد بن المثنى فوجدته يبكى و ينتحب ودموعه تجرى على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا احمد فقال ما رضيني مولاى الى ما ندبني اليه ولا وجدت لمالى قبولا بين يديه أشهدك انى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السرى فقلت ما كان اعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو مولي
لا زلت بين يديه
حتى انال وأحظى
ماقد رجوت اليه

(قال السروى) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

يا حبيب القلوب انت حبيبي
يا سرور السرور انت سروري
يا حياة النفوس انت حياتي
وانيسي انت نور لنوري
قال السري ثم مضت حتى غابت عن اعيننا ثم اتى مولاها وصحبني وكذلك أحمد بن المثني برهة من الزمان الى ان توفي سيدها و بقيت انا واحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد و يقول هذه الابيات

قد تهتكت محبك
كيف لي منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكي شدة بعدك
حيث يا نفس اذا لا
يضر ربك ذنبك
فاسأل العفو جهارا
والرضا من عند ربك
قال السري فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت عليك السلام من انت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة انت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت انا بدعة قال السري فقلت لها

حبلى بقريته فخبأها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها (وقال السدى) خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها احدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم يمنعك الا الثقة بك فاقسمت عليك الا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الي أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فامر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فاخبرت زوجها بانها وانها قد ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه (قال السدي) لما عظم بطن ام ابراهيم خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها و يكتم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة اسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه ان له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلة الي مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو زريق كانت ام ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الي اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

(الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الي قومه
ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال اهل العلم) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى يحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال لها فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا ابتاه من ربي قال له امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل اباه قال ما هذا فقال هذا ابل و بقر وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي مالي اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قد طلع و يقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فراي الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر لانه رأى صوأها اعظم فلما افلت قال ياقوم اني برىء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما ضم ابرهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام و يعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم عليه السلام فينادي من يشترى ما يضر ولا ينفع فلا يشتري احد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استهزاء بقومه و بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتي فشي عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم اتحاجوني في الله وقد هدان الآيات الى قوله عزوجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتي خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا اباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذى خلقني فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال يا ابراهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي و يميت قال نمرود انا احيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عزوجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يري قومه ضعف الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة و يحتال فيه الى ان حضر عيدهم (قال السدى) كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه و يجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقي نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادي في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه فالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا في البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتي لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عزوجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه هو الذى فعل ذلك وكرهوا ان يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا

ما الذي افادك الحق بعد
انفرادك عن الناس
فقالت شعرا
افادني كل المنى
وخص قلبي بالغنى
وقد ازال سيدى
عن باطني ثقل العنا
ان لم يدارکني بما
أرجو والامن أنا
قال فلما فرغت من كلامها
بكت وانتحبت وهاجت
واضطربت ثم رفعت
رأسها وقالت ياسيدى
ومولاى فاز أهل التقى
ونجا من اتقى وخاب من
حظه الطرد والشقا
فاسالك ياسيدي الامانا
قربت الوصل واللقا وقد
توانيت عليك فخذني
اليك فلا حاجة لي في البقا
ثم صرخت ووقعت الى
الارض فحركتها فاذا هي
ميتة رحمة الله عليها قال
فنظر اليها احمد بن المثني
فطار قلبه وحار لبه ثم بكى
وانتحب واهتز
واضطرب واصعد
الزفرات واظهر
الحسرات ثم صرخ ووقع
على الارض فحركته فاذا
هو قد مات قال السري
فتعجبت من حالهما
وقربت آجالهما وأخذت
في غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله تعالى
عليهما ونفعنا بهما (وحكى
عن السري ايضا رضي الله

معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذي عرض لسارة هي اختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكثوا على رؤسهم متحيرين في أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذي اشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائي اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما اجمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب واصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب مما تحب ان تدرك لان اصابته لتحتطبن حطبا وتجعله في النار التي يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجموا منه ما ارادوا اشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى اذا كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه في النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله تعالى عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا اي ربنا ابراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشيء منكم اودعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار أتاه ملك المياه فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدي واتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انك أنت الواحد في السماء وفي الارض ليس في الارض أحد يعبدك غيري وروى المعتمر عن ابي بن كعب عن ارقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به المنجنيق الى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدي) كان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها بامر الله تعالى قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يكن حينئذ نار الا طفئت ظنت انها تعني قال كعب الاحبار روي قتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا احرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدي فاخذت الملائكة بضبعي ابراهيم عليه السلام فاقعدته على الارض فاذا عين ماء ووردا أحمر

ونرجس

تعالى عنه أنه قال)
حججت سنة من السنين
الى بيت الله الحرام وزيارة
النبي عليه افضل الصلاة
والسلام فبينما انا في الطريق
اذ أنا بامرأة حسناء ذات
جمال بديع فقلت لها يا
جارية أين تريدين فقالت
الى بيت الحبيب فقلت لها
ان الطريق بعيدة فقالت
بعيدة على كسلان اوذى
ملالة واما على العشاق
فهي قريبة ثم قالت انهم
يرونه بعيدا ونراه قريبا
قال فلما وصلت الى بيت
الله الحرام رأيتها تطوف
بالبيت فقالت يا سري أنا
تلك الخادمة لولاي جئته
بضعفي فحملني بقوته هذه
صفات قوم فارقوا ديار
اللهو وخلعوا ثياب الزهو
آثروا المحبوب بالنفوس
والآثار ووقفوا بين يديه
في حلل الانكسار هجروا
الراحة في الاوطان
والاوطار فلله درهم خلعوا
ثياب الاصطبار ومزقوا
ستر الاستتار وافشوا
وجدهم مع كتمان الاسرار
ناداهم بالعناية في الاصلاب
والارحام حرام عليكم ان
تنظروا الى غيري حرام
وجمع لهم مجالس مناجاته
وسقاهم لذيذ شراب
مصافاته ياهذا هل لك في
هذا المجلس نديم هل لك في
هذا الغرام غريم هل لك

ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أيام قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وعيره وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الي جنب ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبابي وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فرآه جالسا في روضة ورأي الملك قاعدا الي جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار حتي لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فهل تخشي ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رايت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال نمروذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده اني ذابح له اربعة آلاف بقره فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) القى ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ ومائهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما اخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران ابو لوط وناحور ابو تنويل وتنويل ابو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على ان لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من ارض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل فمكث بها ما شاء الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبركتها ان بعث منها اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله اعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق

في هذا الربع أنيس هل
لك في هذه الروضة جليس
فاذا اردت ايها العبد رضا
الرب اللطيف فتقرب اليه
بقلب منكسر وجسم
نحيف (قيل) انه لما نزل
البلاء على ايوب عليه
السلام أتاه طاوس السماء
جبريل عليه السلام بامر
الله عز وجل فقال له
يا ايوب سينزل بك ولاك
من البلاء والاهوال ما
يعجز عن حمله الجبال فقال
أيوب ان دمت على
مواصلة الحبيب ساصبر
حتى يقال عجيب عجيب
فنودى يا أيوب استعد
لبلائي واصبر على نزول
حكمي وقضائي وكان
السبب في ابتلائه ان
ابليس اللعين حسده
وتحيل عليه بانواع الحيل
والمكر فلم يقدر عليه فقال
الهي انما سبب شكر
ايوب لك وطاعته ما
وسعت له في الاموال
والاولاد والارزاق
والعافية فلو سلطتني عليه
وسلبته ذلك لما اطاعك
طرفة عين فقال الله جل
جلاله اذهب فقد سلطتك
عليه وانه ان يغيره ذلك قال
فاول يوم ابتلاه باخذ
الاولاد فزاد في الخدمة
واجتهد غاية الاجتهاد وفي
اليوم الثاني اخذ الاموال
فاحرقها ومزقها فقال

قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ايها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ايها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاول وكانت سارة من أحسن النساء واجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شيء وبذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من احسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة منك فقال هي اختي وتخوف ان قال هي امرأتي ان يقتله فقال له ذرها وارسلها الى حتى انظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم اقبلت سارة الى الجبار وقدم ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك اعظم امرها وقال لها سلي ربك ان يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد ان يتناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان ابو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك امكم يا بني ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت لها جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني اراها امرأة وضيئة لعل الله تعالى ان يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها واشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه ترد ها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان اهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين اظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا اخرجنا من بين اظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا اثره حتى ادركوه وسألوه ان يرجع فقال ما انا براجع الى بلد اخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحالة حتى انتهاها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم واقام ابراهيم عليه السلام ببلدة وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يامرونه بالخروج من بين اظهرهم وامرهم ان يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق

ومن

ايوب العطايا عطايا ان شاء سلبها وان شاء أطلقها وفي اليوم الثالث نفخ ابليس في جسده وهو في صلاة الفجر فلعب الدود في جميع بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى في سره وعلانيته وقال الحمد لله الذي اصطفاني لخدمته ومن علي بفضله وخيره ولم يشغلني بغيره قال ولم يزل ايوب ذاكرا لربه حامدا وشاكرا الى ان تمزق جلده وذاب لحمه ودق عظمه فسار الدود يغدو في جسده ويروح وهو بالشكوى لا يبوح وكلما سقط من جسده دودة الى الارض يردها لي مكانها ويقول كلي افهذه مائدة من جسدي ممدودة قال فنزل الامين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه السلام فسأله عن عدم الرد في أول مرة فقال يا اخي يا جبريل ان الملك الودود أرسل الي اضيافا فامن الدود لاطعمهم من لحمي على مائدة عظمي فكان بعض اضيافي على لساني فخشيت ان ارد عليك السلام فتسقط من مكانها فاكون سببا لمنع قوتها وأطالب برزقها وأكون عاصيا لربي وربها (وحكي عن الامام محمد بن

ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما امكنه فلما رآهم في صورة الرجال سرهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربا به خليلا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدى انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عود يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسماعيل فاخذه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الي ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضربني ولا تسوءني وأخذها ما يؤخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واتفي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن ينزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بها جر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ بوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت ان تضعها قال نعم فعمد بها الى موضع الحجر فانزلها فيه وامرها جر أم اسمعيل ان تتخذ عريشا ثم قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت اى الجبال ادنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت اصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو اسمع ايل تعني يا الله قد اسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا

در يس الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال) رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالاسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي زهدك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه فقلت كيف كان ذلك فقال وقع لي حكاية عجيبة ونكتة غريبة وذلك اني ركبت البحر في مركب فلما توسطنا البحر كسرت بنا المركب فنجوت على لوح منها فما زالت الامواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فرأيت فيها اشجارا كثيرة ولها ثمار احلى من الشهد والبن من الزبد ورأيت فيها نهرا عذبا فقلت الحمد لله على ذلك فها انا آكل من تلك الثمار واشرب من ذلك الماء حتى يأتي الله بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب والهوام فعلوت شجرة وجلست على غصن من اغصانها فنمت على ذلك الغصن فلما كان وسط الليل اذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح وتقول لا اله الا الله العزيز الغفار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر صاحبه في الغار عمر مفتاح الامصار عثمان القتيل في الدار على سنف

هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بها وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت شنة لها وجعلت تستقي فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام انهاري وجعلت ام اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على اهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها امان اباهذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لها جران شئت كنا معك فانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول تلبيتها

لهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هنالك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاد العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جروا بنها فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر و يقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد فخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام او شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ما شاء الله تعالى ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الان ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة اكثر ارض الله بر او شعير او تمر ثم قالت له انزل حتى اغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبت بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت نعم جاءني شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) انس بن مالك رأيت في المقام اثر اصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه واخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بايديهم (واخبرنا) محمد بن احمد بن عبدون قال اخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن مشيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول اشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولو لا ان طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب

الباب

الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الملك الجبار وماواه جهنم وبئس القرار فما زالت تقول هذه الكلمات الى أن طلع الفجر فلما همت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الصديق الصادق الشديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان بن عفان القتيل الشهيد على ابن ابي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد قال فلما وصلت تلك الدابة الى البراذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي منها فالتفتت الي وقالت قف فوقفت لها فقالت لي ما دينك فقلت لها دين النصرانية فقالت بئس الدين ويحك يا خاسر ارجع الي دين الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن ولا ينجو منهم الا كل مسلم قال فقلت لها وكيف الاسلام فقالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فقلتها فقالت كمل اسلامك بالترضي عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ففعلت ذلك ثم قلت لها من اخبركم بذلك فقالت قوم حضروا عند

(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر دردة قلت وما دردة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المصونة قلت وما المصونة فذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغارماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم اخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت فى اطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا ان يصيبنا مثل ما اصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فامرنا بما شئت قال فانى أرى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لا نضرب فى الارض فعسى الله تعالى ان يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما ان انبعثت به انفجرت من تحت خوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب اصحابه حتى رووا وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وايا كم فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضي الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم ابدا ان الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال واين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر فقامت قريش اليه وقالوا والله لا نتركك ان تحفرها ووثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم اخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا واسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما اخبرت ان الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادي بلسان طلق اللهم انك قد وعدتني ان تشيد اركانى فيقول لها الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم قالت لى الدابة تريد ان تكون عندنا او الرجوع الى اهلك فاخترت الرجوع الى اهلى فقالت امكث مكانك حتى تاتيك مركب قال فمكثت مكانى ونزلت الدابة الى البحر فما غابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت على مركب عظيمة وفيها ركاب فاشرت اليهم فحملونى معهم فنظرت فاذا في المركب اثنا عشر رجل كلهم نصارى فاخبرتهم بخبرى وقصصت عليهم قصتى فاسلموا كلهم فعلمت ان لهؤلاء الاقوام سرا عظيما اذ ببركتهم حصل لهم الاسلام ونلنا اعلى مقام ولله الحمد على التوفيق و بلوغ المرام وانشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة
وحرمة وبشارات واكرام
فازوا بصحبة خير الخلق
واتصفوا
بوصفه فهو للناس اعلام

نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالتين الذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التي كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من اثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله اعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء امرها الى وقتنا هذا)

(اخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي اخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليماني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى اهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم الصائم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ماشاء الله ان يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار اسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فاوحى الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي عليه عمارته وانيطه سقايته اورثه حله وحرمه ومواقفه واعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا ايها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فاقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سال ربه عز وجل فقال يارب اسالك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا ان تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني اهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

الي

ففي أبي بكر الصديق قد وردت آثار فضل لها في الذكر احكام

و بعده عمر الفاروق صاحبه به تكمل في الآفاق اسلام

وهكذا البر عثمان الشهيد له في الليل ورد وبالقرآن قوام

والامام على المرتضى منح له احترام واعزازوا كرام

هم الصحابة للمختار قد وضحوا طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا

عليهم من سلام الله اطيبه ما اقطر الناس يوم الشك اوصاموا

(وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت الجنة فبينا انا اطوف برياضها وانهارها واشجارها اذ رأيت شجرة فضربت يدي الى ثمرة فاخذتها فانفلقت في يدي عن اربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لفتنت أهل السموات والارض وان اظهرت كفها لغلب ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن انت فقالت

الى آدم عليه السلام ان لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى قال آدم رب كيف لى بذلك ولا اقوى عليه ولا اهتدى اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة و بمكان يعجبه قال للملك انزل بى هنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك كلها التى يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند فمات على ثور * قال ابو يحيى بائع اللقت قال لى مجاهد لقد حدثنى عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها راربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شىء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض فرأى ساعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب اما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك و يقدسك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى و يقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتى وأوثره باسمى واسمه بيتى انطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى ثم اجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف اهله فقد ضيع دينى وخفر ذمتى واباح حرمتى اجعله اول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا و يثجون بالبكاء أجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد الى وزرنى وضافنى وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان ينعم و يتفضل و يسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم نت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة ويعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه و يذكر اسمه فلم يدر ابراهيم فى اى موضع يبنيه فسأل الله عز وجل ان يبين له ذلك (واختلف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليهم السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال الا تخبرنى عن البيت اهو اول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت انبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لى بيتا فى الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهينا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون ارسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى ان قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ونودى يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الاية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى احدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لى كينا يعنى هات لى حجرا فيقول له اسمعيل هاك فخذه فبنيا الكعبة من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي و ينبت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر فى مكانه

لابى بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بملك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بملك فمضت ثم قلت للثالثة لمن انت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بملك فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يارسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه قبل ان يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وانصاره واتباعه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين (وحكى عن رافع ابن عبد الله رضى الله عنه أنه قال) قال لى هاشم بن يحيى الكنانى الا احدثك حديثا رأيته بعينى وسمعته باذنى وشهدته بنفسى ونفعني الله به فعسى ان ينفعك فقلت حدثنى يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له

فقال يا ابت من أتاك بهذا الحجر فقال له اتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فهاك فخذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم الي قوله تعالى وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهم يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء بات بها حتي اصبح فصلى بها الصبح ثم غدا بها الى عرفة فقام بها هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بها حتي طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتي اذا اسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنا بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالي ان يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فاجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق الايات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها * وكان السيب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فاراد وا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمي بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونه وذلك انه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجوا ان الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما اجمعوا امرهم على هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معاشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظره فان اصيب لم نهدم منها شيئا وردد ناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتي انتهى الهدم الي الاساس فافضوا الى حجارة خضر كانها اسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع احدهما فلما تحرك الحجر تحركت

سعيد بن الحرث وكان ذا حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان افمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت انا واياه نحرس القوم وكنا محاصرين العدو عند حصن من الحصون صعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على التعب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو رحمتها كان خيرا لك فبكى وقال أخي انما هي انفاس تعد وعمر يفني وأيام تنقضي وانا رجل ارتقب الموت قال فابكاني ذلك فقلت له اقسمت عليك بالله ما دخلت الخيام واسترحت فدخل ونام قليلا وانا جالس ظاهر الخيمة فسمعت كلاما في الخيمة ولم يكن في الخيمة سواه فتقدمت اليه فاذا هو يضحك في نومه ويتكلم بكلام فحفظت من كلامه ان قال لا أحب ان ارجع ثم مد يده اليمني كانه يلتمس شيأ ثم رد هارد رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته الى صدري مليا وهو يتلفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد اليه فهمه

مكة بأسرها فلما رأوا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا فى البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة ارادت ان تضمه في صفة دون الاخرى حتى تخالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدى بن كعب على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا العقة الدم بذلك فمكثوا اربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان ابا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال هلموا الى ثوبا فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة اربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكونى عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق واخذوا يرتجزون و يقولون

حجارة مثل الفنيق المزبد * ترمى بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترى صنيع أم فروه * تأخذهم من الصفا والمروه

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدى) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثنى عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبى يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورايت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما اصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من اصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمحه فطارت الرمح به فضربت استار الكعبة ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس فى القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس و يصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان امي أسماء بنت أبى بكر حدثتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد فى الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها بابين بالشرقيا و بالغربيا فامر بها ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا امثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على اساسها فبناها ابن الزبير وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة اربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك واعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهى اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام اوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع أسر من الحاج الى البحرين

فجعل يهال و يكبر فقلت ما الخبر حدثنى فقال نعم فقلت سمعتك يا اخي تقول لا احب ان ارجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها برفق فقال لا أخبرك فاقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقال نعم ياسيدى فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما انا كذلك اذ اتانى رجلان لم أر احسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لى يا سعيد ابشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاءك وعجلت لك البشري فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى اخرجانى من الموقف واذ أنا بخيل لا تسبقها خيل كانها البرق الخاطف أو هبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا الى قصر شاهق لا يبلغ الطرف منتهاه كانه صنع من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا اليه انفتح بابه من قبل ان نستفتح فدخلنا فرأينا شيأ لا يبلغه الواصفون ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا

ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني اري في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي امر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع اهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد ابن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وابي الهذيل والزهري والسدي (روى) شعبة عن ابي اسحق عن ابي الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال انا فلان ابن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني عليه وان اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك اجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن (وروي) حمزة بن الزيات عن ابي اسحق عن ابي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر انرغب ان تاكل معي وانا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في ان الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن ابي رباح عن عبد الله بن عباس قالا المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما امر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يا ابن واين ابن فلم يكن يامره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي امر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يري انه من علماء اليهود فساله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال له اي ابني ابراهيم الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان امر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر انه كان منه بصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه عبد الله الى غيره * فاما الرواة التي روت عنه ان الذبيح اسحق فاخبرني ابو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اراد ابراهيم ان يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذي فداه الله بذبح عظيم اسحق واخبرنا ابو عبد الله اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان اخبرنا موسى

ابن

اخذوا في حسن أنغام من القول الحسن مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولي الله قد جاء فرحبا به وسهلا فسرنا حتى انتهينا الى مجالس ذات اسرة من ذهب وهاج مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من اليواقيت وعلى كل سرير جارية احسن من الشمس والقمر لا يستطيع احد من الخلق ان يصفها وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكمالها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء اهلك وهنا مقيلك ثم انصرفا عني فوثبت الجواري الى بالترحيب والاستبشار كما يكون من اهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتى اجلسوني على السرير الاوسط الى جانب الجارية ثم قلن هذه زوجتك ولك اخري مثلها وقد طال انتظارهن اليك فكلمتها وكلمتني فقلت لها واين انا فقالت في جنة المأوى فقلت من انت فقالت انا زوجتك الخالدة فقلت واين الاخرى فقالت في قصرك الآخر فقلت لها اقيم اليوم عندك واتحول في غد الى الاخري ثم مددت يدي اليها فردتها ردا رفيقا ثم قالت اما اليوم فلا فانك

ابن اسمعيل انبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر ابن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة انبأنا على بن حجر انبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين ان يغفر لنصف امتى و بين ان اختبئ شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت ان يكون ذلك اعم لامتى ولولا الذي سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعطي فقال اما والذى نفسي بيده لانعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا ان الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله اعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها لينحرن أحد ولديه قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير له ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس في القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسحق واما الدليل على انه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر ان قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج وهذا ادل دليل على ان الذبيح اسمعيل

﴿ وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم عليهما السلام ﴾

قال السدي باسناده لما فارق ابرهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله ان يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في امر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق تقرب قربانا الى الله تعالى واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين قربانك فقال يا بني انى أرى في المنام انى اذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة و يرجع من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاء لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام ان يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما أمر به وقال

راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت لا احب ان ارجع فقالت لا بد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة ايام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت اودعها فانتبهت يا اخى ولا صبر لى عنها قال هشام فغلبنى البكاء وقلت هنيأ لك يا سعيد جدد لله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى احد غيرك ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا اخى اكتم ما سمعت منى ما دمت في الحياة ثم قام فتطهر وتطيب واخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرفت فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم يثنون عليه قال فقلت فى نفسي لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما يصلى الى آخر الليل ثم اصبح صائما يقاتل ابلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لانظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه في المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شيء مما كانوا

يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك الآية فقال له ابنه الذي اراد ان يذبحه يا ابت أشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع بمر السكين على حلقي ليكون اهون للموت علي فان الموت شديد فاذا انيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت ان ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما امرالله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه اقبل عليه يقبله وقدر بطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استتبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الا ابن يا ابت كبني على وجهي فانك ان نظرت الي وجهي رحمتني وادركتك على رقة تحول بينك وبين امرالله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فارسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول ما فدي اسمعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) ابو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن دجال قالوا لما رأي ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم والا لم افتن احدا منهم ابدا فمثل لهم الشيطان رجلا فاتى أم الغلام فقال لها اتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامرالله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله امره بذلك قال له فليفعل ما امره الله به فسمعا وطاعة لامرالله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك يامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم واهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) ابو الطفيل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبري فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضي ابراهيم عليه السلام لامرالله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن ابي الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامدا لاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال

يرمونه عليه من الحجارة وغيرها حتى غربت الشمس فجاءه سهم في منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس وبادروا اليه فاخذوه وجاؤا به الى الخيام وقدمات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيئا لك يا سعيد ماذا تفطر الليلة ياليتني كنت معك قال هشام فغض على شفته السفلى وضحك في موته وقال الحمد لله الذي صدقنا وعده قال فصحت يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون فاستمعوا اخبركم بأعجب مما رأيتموه من اخيكم هذا فاقبل الناس باجمعهم فاخبرتهم بحكايته وما كان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلي عليه فقلت صل عليه ايها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى

* ابنى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد العضد عند جبذى للسكين جبذ الاسير للاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم غلام جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش حلال
فخذ ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

(الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) باسانيد مختلفة ان اول جبار كان فى الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه و يمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم فقال له من ربك قال ربى الذي يحيي و يميت قال انا احيي وأميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتى به اهلى فتطيب به قلوبهم حين ادخل اليهم فاخذ ابراهيم منه فاتى به اهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو باجود دقيق رأته فاخذته وصنعت منه طعاما فلما افاق قدمته اليه وكان عهد اهله ان ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من اين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما احاجة ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهى حتى اعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى اربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربا هن حتى شببن واستفحلن ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من اسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى ابعدت فى الهواء فقال النمروذ لغلامه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال اري الارض مثل الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها و بين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى ايها الطاغى الباغى اين تريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من اي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها الله تعالى وقال بعضهم اصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه ان يصوب العصا و ينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه امر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ على وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى ارسل ريحا على صرح النمروذ فالقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقى وانقلبت بيوتهم واخذت النمروذ رعدة وتبلبلت

عليه وتعسا به في الدارين آمين (حكى عن أبى يعقوب الطبرى رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه اياما حتى اشرفت على الهلاك فبينما انا كذلك اذ رايت راهبين سائرين كانهما قد خرجا من مكان واحد يريدان ديرا لهما بالقرب فملت اليهما وقلت لهما اين تريدان فقالا لا ندرى فقلت لهما فمن اين اقبلتما فقالا لا ندرى الا اننا في ملكه و بين يديه قال فتعجبت من ذلك وقلت في نفسى ان هذين الراهبين متحققان التوكل دونك فقلت لهما اتاذنان لى في الصحبة معكما فقالا ذلك اليك فسرنا حتى أمسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث احدهما في الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقالا لى ادن وكل واشرب قال فاكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثاني كما فعل الاول فلما

كانت الليلة الثالثة قالا لى يامسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلني هم شديد وامر غريب وقلت في نفسي اللهم انى اعلم ان ذنوبي لم تدع لى عندك جاها ولكن أسالك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جنبها فاكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالي على ذلك قال فلم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم استطع رده فاصابهما مثل ما اصابني وارتفعت اصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لى مايبكيك فقلت انى رجل مسرف على نفسي وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة مايبلغني هذه الكرامة فقالا لى وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يفضحني معكما فاستجاب لى فقالا قد عرفنا ان دينه هو الحق وهو عند الله عظيم فامدد يديك فانا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فاسلما وخرجنا

ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالي بعث الى النمروذ ملكا ان آمن حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فارحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة ازواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته الآية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من ارض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومداراشنيق بن وشوخ وتزوج ايضا بامراة اخرى من العرب اسمها حجون بنت اهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وا كبر اولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا انزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وامرتنا ان ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسما من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال اهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل الله اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاهم قدم اليه الطعام فجعل الشيخ ياخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي اذنه مرة ثم اذا ادخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يساله الموت فقال للشيخ حين راى حاله مابالك ياشيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم انت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ياسيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو ابو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى الا مع ضيف ورئما مشي ميلين او اكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالي يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى ان يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة

في شعبي اسمعيل واسحق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الاخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضله تبجله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وهو المبتلى بانواع البلاء المشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال ابراهيم الذى وفى اي بما امر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة ان كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجمع في امة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وهو الذى اوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية واول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو اول من اختتن (قال) ابو منصور الخشارى حدثنا ابو عباس المعقلى اخبرنا عبد الحكيم اخبرنا ابن وهب اخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على بن وهب اخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (واخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه اخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من اضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين واول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك انه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (اخبرنا) الحسن الدينورى اخبرنا احمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان اخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك اكرم اهل الارض على فاذا سجدت فلا ترى الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو اول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يا رب ما هذا قال الوقار فقال يا رب زدنى وقارا وهو اول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وارنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من القي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب ارنى كيف تحيي الموتى الآية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وهو أول من يكسي ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط واول من استاك وأول من فرق شعره واول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجي بالماء واول من هاجر لله قال الله تعالى فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وامر محمدا خير الانبياء

حميا الى مكة شرفها الله تعالى فاقمنا بها مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما الا وهانت على الدنيا وصغرت في عيني)وانشدت شعرا في المعني)

لما رأيتك حاضرا
في القلب زاد بي الحمار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسي بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكلي
م فلاح نحو الطور نار
لطفت فلما ذاقها ا
لاحباب نحو الحب طاروا
يذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليه في بحر الهوي
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه حقا بالقلو
ب وعندما نظروه حاروا
هاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لديهم فاستداروا
هذا ن راهبلن لاح لهما قدر
خرم ابرة من الايمان فرأوا
الطريق وسلكوا منهج
التصديق وانت يا مسكين
عمرك قد انقضي ومضي في
العصيان وزمانك قد ذهب
في الخسران وانت في
بحر الغفلة غريق وقد هبت
نسمات القبول والتوفيق
انت سكران بخمر المعاصي

ولا تفيق (وعن عبد الله
القرشي رحمه الله تعالى انه
قال) كنت أصحب ابراهيم
ابن ادهم رحمه الله تعالى
واسرح معه فسرنا يوما من
الايام نريد الحجاز فشينا
ثلاثة ايام لم نستطعم فيها
بطعام ولا شراب فقلت له
اتعرف ما بي من الجوع
يا سيدي قال فرمق بطرفه
الى السماء بعد ان جلس
وجلست بجانبه فاذا
رغيف سخن قد سقط في
حجري فرفع ابراهيم رأسه
الى وقال كل فاكلت نصفه
وشبعت ثم سرنا فمررنا
بقافلة قد حبسها الاسد عن
المسير فتقدم ابراهيم اليه
وقال له ياقسورة ان كنت
قد امرت فينا بشيء فامض
الى ما امرت به والا
فاذهب فولى الاسد هاربا
وسار القوم فقالوا له بالله
عليك ياسيدي الا ما دعوت
لنا فنحن نخاف في السفر
فقال لهم قولوا اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام
واكنفنا بكنفك الذي
لا يرام وارحمنا بقدرتك
علينا فلا نهلكنا وأنت
رجاؤنا قال عبد الله
فلقيت رجلا من اهل
القافلة بعد مدة فسألته
فقال والله ما زلنا ندعو
بهذا الدعاء الذي علمه لنا
الشيخ ما رأينا سبعا وقال
الصائم ٧ ركب معنا ذلك

وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها (ويروي) ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها ايها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجلس في بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج بامرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا ثابتا وقيذار واديبل وبسام ومسمع وذومة ومساوحراه وفيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة اوصى الى اخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز انه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى خر مكة فاوحى الله تعالى اليه اني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن * واما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقا في بطن واحد بغلامين فلما ارادت ان تضع اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتاخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا لانه عصا فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب اكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعا به أبي وكان عيص رجلا اشعر ويعقوب رجلا اجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت امه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى ابيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص

والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال له ادن
مني فدنا منه فدعا له ان يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد
جئتك بالصيد الذي أردته فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب ففضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يا بني
قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يعلمهم احد غيرهم
ثم ان ام يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه ان يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله
وكان اسحق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهور وان
يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال
له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن اخدمك اجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها
ان تخدمني سبع حجيج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها الصغر ولاجلها اخدمك فقال له خاله ذلك بيني
و بينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبري ليا وادخلها عليه ليلا فلما اصبح
وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو في نادي قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين
ودلست على غير امرأتي فقال له خاله يا ابن اختي أردت ان لا يدخل على في ذلك العار والبسه وانا خالك
ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغري قبل الكبري فهلم فاخدمني سبع سنين اخرى حتى ازوجك
الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث موسى وانزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع
سنين اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم ويهوذا وشمعون
ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان امه راحيل
ماتت في نفاسها و يامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب امتين يقال
لاحدهما زلفة وللاخرى بلهة فوطىء الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت
زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروبالون وولدت له بلهة جاد ويشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر
رجلا اثنان من راحيل واربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى
الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة
الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق
خاله ليان وانصرف بولده وامراتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل ابيه من فلسطين على تخوف شديد من اخيه
عيص فلم يرمنه الا خيرا فنازل اخاه وتالفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل في الشام وصار الى الساحل
ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه
نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما
يذكر يسمي آدم لادمته ولذلك سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب
مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه ابناه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة حبرون
والله اعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه
السلام اى تعلق به ولصق ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا ولا ذاك ألوطا اى
الصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما ذكر اهل العلم باخبار الانبياء وذكر

الرجل في مركب في البحر
فعصفت الريح وهاجت
الامواج واضطرب
المركب خفنا من الغرق
فخافت الناس وبكوا
وضجوا فقال الرجل ياقوم
معنا في السفينة رجل صالح
كان من امره كذا وكذا
فاسألوه ان يدعو لكم فاتوا
اليه وهو نائم في ناحية
المركب ملفوف رأسه في
الكساء قال فايقظناه وقلنا
له ياسيدي ما ترى من
حالنا وما نحن فيه من الشدة
والغرق فرفع رأسه الى
السماء وقال اللهم اريتنا
قوتك وقدرتك فارنا
حلمك وعفوك قال فما
استتم كلامه حتى سكن
الريح وهدا الموج وسارت
السفينة قال عبد الله فلما
نزلنا من السفينة سرنا اياما
فهلكت من الجوع
وشكوت اليه فاخذ المزود
ورقى الى شجرة البلوط
فملا المزود من اوراقها ثم
اتى به الي وقال كل فاذا هو
رطب جنى ما اكلت الذ
منه ولا اطيب قال
وعطشت معه في بعض
السياحات ليلا فشكوت
اليه ذلك فقال لي اشرب
فنظرت الى دلو تدلى في
الهواء وفيه ماء لم اذق
اطيب منه طعاما ولا
احسن منه ريحا فشربت
منه حتى رويت فكنت

وهب في المبتدا انه شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به تبعاله على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى ان وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر ابو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى ارض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وانزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم وما يليها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما اخبر الله عنهم بقوله تعالى اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فى ذكر اهل التأويل اذا تيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر هم نادبهم قال المفسرون هو انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم و يتضاربون في مجالسهم و ينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانىء قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذي كانوا ياتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك و يدعوهم الى عبادة الله تعالى و يتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه و يامرهم بالتوبة منه و يخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه ان ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه و بعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام باهلاكهم و بشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه و بشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكره ابن عباس وغيره انهم لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالوا نحن اشفا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا نرى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة راو ياعن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا ممتضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها الشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا ساىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط

بعد ذلك اصوم في الهواجر فلا اجوع ولا اعطش فهذا كله ببركته فلله در رجال ماتركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجالا قد سبلوا العبرات على الوجنات (شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
اذا نظرتهم هم سادة برر
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد هجرا
يمسى ويصبح في وجد وفي قلق
مما جناه من العصيان منذعرا
يقول ياسيدى قد جئت معترفا
بالذنب فاغفره لي ياخير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له
ولم اطع سيدي في كل ما امرا
عصيته وهو يرخى ستره كرما
ياطالما قد عفى عني وقد سترا
ياطالما كان لى في كل نائبة
اذا استغثت به فى كربة نصرا
وانى تائب مما جنيت وقد
وافيت بابك يامولاي معتذرا
لعل تقبل عذرى ثم تجبرنى

تستسقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاءهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالي) بلغنا ان العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيئوا لنا ملاحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها باضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا ما بعث الله نبيا بعده الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء ان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان اضيافه رسل ربه وانهم ارسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره ان يسري باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم احد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت ارضهم فاقتلع قرى قوم لوط الاربع وكان في كل قرية مائة الف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد أي ممن يفعل كفعلهم * أخبرنا الحسين بن محمد بن فنحويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فاخشى انها الحجارة التي اعدت لقوم لوط او من يفعل بفعلهم واخبرنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن عقيل القطان اخبرنا ابو الفضل عبدوس بن الحسن بن منصور اخبرنا ابو حاتم الرازي اخبرنا ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان اتى شعيب قاضي

يوم الحساب اذا قدمت منكسرا
وقد اتيت بذل راجيا كرما
اليك يا سيد السادات مفتقرا
ها قد تشفعت بالهادي النبي ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لم يكن في الارض ما نبتت
زرعا ولا أنزل الباري لها مطرا
متى اسير الى ذاك الجناب متى
احظى برؤيته اقضي بها وطرا
صلى عليه اله العرش ما ركضت
نوق وما زمزم الحادي لها وسرى

(وحكي عن ابي سليمان الداراني رحمه الله تعالى ونفعنا به) أنه كان يقول في بعض مناجاته سيدي لئن طالبتني بذنبي لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتني ببخلي لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتني باساءتي لاطالبنك باحسانك ولئن ادخلتني النار لاخبرن اهلها بمحبتي لك فنودي يا أبا سليمان لا ندخلك النار ولا نعذبك بها ابدا بل ندخلك الجنة لتخبر اهلها بمحبتنا لك ولا تخبر اهل النار

بمحبتك لنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعدا النار اخواني المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهي تجلى على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وتروق معاني ابكار الافكار وهي للعارف نور والجاهل نار اذا مزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والاصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب (وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى) انه قال سمعت ذا النون المصري رضي الله عنه يقول بينما أنا في شوارع مصر اذ رأيت جارية مسفرة عن وجهها وهي تمشي من غير خمار فقلت لها يا جارية أما تستحي من الله تعالى فقالت يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجنة علاه الاصفرار قال ذو النون فقلت لها عساك تناولت شيأ من شراب القوم فقالت اسكت يا بطال شربت البارحة بكاس وده مسرورة فاصبحت بحبه مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا جارية عسى فائدة منك أو وصية أحفظها

حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآيه (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين اخبرنا موسى بن محمد بن علي اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين اي خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية اربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اى المنقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمي صفرة ونجت من العذاب لان اهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما او كلفتهما فتح ابواب الجنان او النيران فتحاها قال فاخبرني عن قوله تعالى امين قال ان الله تعالى انزل من السماء مائة واربعة كتب على انبيائه لم يأتمن عليها غيري (اخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي اخبرنا ابو عثمان بن احمد بن سمعان البزاري اخبرنا عبد الله بن قحطبة اخبرنا يثربن نوبة اخبرنا محمد بن راموز اخبرنا ابو بكر بن عياش قال سألت اباجعفر اعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استغني الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (اخبرنا) ابن فنحويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا ابا الحجاج هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجال في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضي الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الى اربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الاية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على احسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص احسن القصص فقال بعض أهل المعاني الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهون عليه قال الشاعر

ان الذى سمك السماء بنالنا * بيتا دعائمه اعز وأطول

زاد عز يزة طويله واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى احسن القصص ثم اختلفوا فى وجهها فروى مقاتل بن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة باحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص يعنى ان قصص القرآن احسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة احسن القصص لانها ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها احسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت احسن القصص لما فيها من الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله احسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام)

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفى ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كراما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال اكثر الفقهاء هو اسم عبرى فلذلك لا يجرى وقال بعضهم هو اسم عربى سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبى يقول سمعت ابا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثانى في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام ولحيته ونعت خلقه وصفة صورته)

قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه الآية (اخبرنا) ابو عبد الله الثقفي اخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان اخبرنا محمد بن محمد ابن سليمان اخبرنا محمد بن حميد الرازي اخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثنى عمارة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر واخبرنى الحسن بن محمد اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبى اخبرنا يعقوب اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى وامه شطر الحسن وعن ابى اسحق بن عبد الله بن ابى فروة قال كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فاراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا واراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره سبعون الف ملك ومن خلفه امم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذى ابحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدام انحله قال آدم قد انحلته ثلثي حسن ذريتى ثم ان آدم ضم يوسف الى

عنك فقالت يا ذا النون عليك بالكوة حتى يتهموك أنك مبهوت وارض من الله باليسير من القوت ابن لك بيت فى الجنة من الياقوت قيل أوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام يا داود أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى عبادى فقال داود يا رب كيف أحبك واحب من يحبك واحببك الى عبادك فقال تذكرنى لهم وتذكرهم آلائى ونعمائى فانهم لم يعرفوا منى الا الجميل والاحسان * قيل أوحى الله تعالى الى نبيه الخليل عليه السلام يا ابراهيم انك لى خليل وأنا لك خليل فاحذر أن أطلع على قلبك فاجده مشغولا بغيري فينقطع حبك منى فانما اختار لحبى من لو احرقته بالنار لم يلتفت قلبه عنى ولم يشتغل بغيرى فاذا كان كذلك اسكنت محبتى فى قلبه فتواترت عليه الطافى فقربته منى ووهبته محبتى فاى نعيم يعدل ذلك عندى واى شرف اشرف منه لدى فوعزتى لاشفين صدره بالنظر الي وذلك انى محب لمن احبنى (اخوانى) اذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة

صدره وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فانك يوسف فاول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى احب ان يرى العباد انه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احد من الناس ثم اعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين ممسوح الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن اقني الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كانها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان احسن الناس واسحق هو الضاحك بالبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن واعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه احدا من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من احسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الي القمر ليلة البدر فهو احسن في عيني من القمر

(القول في القصة)

قال اهل العلم بقصص الانبياء واخبار الماضين كان ابتداء امر يعقوب و يوسف عليهما السلام و بدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى انبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد اخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس احد من اخواتي الا وله غصن الا انا فادع الله تعالى ان يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى اسالك ان تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخواته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه و يخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كان قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت اغصانه واثمر من كل ثمرة ثم اتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف اقصرها واصغرها فلم يزل يتعالى في السماء و يطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت اغصان اخوته من غصونها والقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له ابوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك ان تدعى انك

مولانا

كما قيل ان الله تعالى يقول
لجبريل انم فلانا وايقظ
فالحب بين يدي محبوبه
قائم وخدمته ملازم وفي
حبه هائم فما عليه من
العاذل واللائم (شعر)
يا عاذل القلب في صبابته
ولائم الصب في تصابيه
اتراك ملامي وحل عن
عذلي
فالحب معي ولست تدريه
وفي ضميري من لا ابوح له
وفي فؤادي من لا اسميه
قد اوهش الطرف في
محاسنه
وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
ووجهه حيث كنت
واجهني
لاشيء يخفيه او يواريه
ان جئته ضارعا فيا أملي
يقول لنبك في تعاليه
ها انا دان ومنك مقترب
فخذ من الوصل ورد صافيه
(وعن ذي النون المصري
رحمه الله تعالى) انه قال
رأيت فتى ظاهره الجنون
وباطنه الفنون فعلمت انه
محب مولاه مفتون فسمعته
يبكي و يقول في مناجاته
مولاي قربت المحبين
وطردتني فما ذنبي
وخصصتهم بالوصل منك
وهجرتني فواكربي
وايقظتهم للقيام بين يديك
وانمتني فواندمي ولذذتهم

مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشر سنة الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال ياحبيب ابيه ما الذي اصابك فقال يا ابت رايت رؤيا افزعتني فقال يا بني خيرا رايت ما الذى رايت قال يوسف رأيت كان ابواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كانى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كان مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما انا كذلك اذ رأيت احد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى اولادك بذلك فقالت نعم فلما أقبل اولاد يعقوب من مراعيهم اخبرتهم بالرؤيا التى امرها يعقوب بكتمها فانتفخت ارداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غيرا بينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريدان يتملك علينا فيقول انا سيدكم واتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف فى افق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال اري شيئا مشتتا ويجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله اسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على ان تآمروا بينهم فى ان يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اى خطا بين فى ايثاره يوسف واخاه علينا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اى تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن ايحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك اجمعوا رأيهم ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الي البرية فقال لهم روبيل وهو اكبر ولد يعقوب ان اباكم لا يامنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتي نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يلعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يا اخوتاه هكذا لعبون فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت ان

فى السحر عما جاءك وما لذذتنى فوالمي ثم اخذني البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا وهيج من شوقى ما كان كامنا فقلت له يا فتى ما هذا البكاء فقال يا ذا النون اخبرنى سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب يزول بماذا قال ذو النون فقلت انا والله في طلب ما انت فى طلبه وما وقعت منه الا فى الحيرة والتيه وانشد يقول شعرا راى سوادي فقلت و بلى

اشد منه سواد قلبي
طلبت منه لذاك غسلا

فقال لى ليس ذا بصعب
كذاك قلبي به سواد

فازددت كربا على كربى (اخوانى) سكنت نار المحبة فى القلوب فاستنارت بانوار المحبوب قال بعضهم سبعة أشياء لا تتم معرفة الرب الا بها اخلاص النية لله عز وجل وصدق العزيمة مع الله والصدق في الله والشوق الى الله وحسن الظن بالله والخوف من الله فهذه السبعة لا تتم معرفة الله الا بها كما ان المصباح لا توقد الا بسبعة اشياء لا بد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت المسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه السبعة اشياء لا سبيل الى ايقاد المصباح

تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتي كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى ابى واسالوه ان يرسلنى معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا ارادوا ان يسالوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك ارسله معنا غدا يرتع ويلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليا كلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأي يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم واخاف ان ياكله الذئب (اخبرنا) الحسين ابن محمد بن فنحويه اخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو ابن الحكم الهروي اخبرنا مالك بن سليمان القروي اخبرنا عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يا كل الانسان حتي لقنهم ابوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف ان ياكله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يا كله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما في بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع منهم يعقوب ذلك اطمان اليهم واقبل يوسف حتى وقف بين يدي ابيه ثم قال له يا أبت ارسلني معهم قال اوتحب ذلك يا بني قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج يشيعهم فقالوا يا نبي الله ارجع فقال يعقوب يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم بالله ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتي معكم أنى خائف ان اكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار وسعيد بن ابى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأي يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنوا الاباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك اجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فالتفتوا به الى الجب ليلقوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبريه والقدس على قارعة الطريق فى وادٍ من اودية على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع واعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة

اسفلها

فاذا أردت يا هذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نور فى قلبك (وحكى عن محمد بن احمد المقيد رحمه الله تعالى) انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطي رضى الله تعالي عنه ليلة من الليالى فايقظني وقال يا جنيد رأيت كانى وقفت بين يدى الله تعالى فقال يا سري خلقت الخلق فادعى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا اردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقالوا انت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة

أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي استر به عورتي ويكون لى كفنا بعد مماتى واطلقوا يدى اطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة فجعل يلعلع لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكى فناداوه فظن انها رحمة لحقتهم فاجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه قالوا فالقي يوسف فى الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فاخرج القميص والبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروي) ان الملك اتاه بسفرجلة من الجنة فاطعمه اياها فلما امسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني استوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شيء من امري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع اتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال إخوتى لابى قال ولم قال حسدونى على منزلتى من ابى قال أتحب ان تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملأ ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لى من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد إخوته فرجا فاتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو فى البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) ابو عبد الله الدينوري اخبرنا ابو العباس احمد بن محمد بن يوسف الصرصري اخبرنا ابو جعفر محمد بن جرير الطبري اخبرنا عمران القزاز اخبرنا عبد الوارث اخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى البودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقوه في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشوهوها واكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب انهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اى نتنضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك

والوداد فقلت لهم انى مسلط
عليكم من البلاء والاهوال
مالا تقوم بحمله الجبال
اتصبرون على البلاء قالوا بلى
اذا كنت انت المبلى لنا
فافعل ماشئت بنا فهؤلاء
عبادي حقا واحبائى صدقا
(اخوانى) البلاء موكل
بالمحبين قد اضفي منهم
الاجساد وتمكن من
القلوب فلا يزالون كذلك
حتى يصلوا الى المحبوب
وانشد بعض العارفين
يقول شعرا
بني الله للاحباب بيتا
سماؤه
هموم واحزان وحيطانه
الضر
وحصباؤه كرب وغم
وسقفه
صقام وآلام يضيق به
الصدر
وادخلهم فيه واغلق بابه
وقال لهم مفتاح بيتكم الصبر
(وعن ابراهيم الخواص
رضى الله تعالى عنه) ونفعنا
به انه قال كان عتبة الغلام
من الخواص المعروفين
بالاخلاص وكان يزورنى
في بعض الايام والليالى
وكان صائم الدهر قائم الليل
فبات عندي ليلة فقدمت
اليه العشاء ليفطر عليه فلم
يفطر عندى الا على الماء
فلما صلى العشاء الاخيرة
احرم وقام يصلى الى
السحر فسمعته يقول في

قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر في النهار من قبيح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت إمرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء ومقلة * أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة اى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أروني قميصه فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شفا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (اخبرنا) ابن فنحويه اخبرنا احمد بن ابراهيم بن شاذان اخبرنا عبيد الله بن ثابت اخبرنا ابو سعيد الاشج اخبرنا اسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى ابيه فقالوا أكله الذئب فقال ابوه ان اكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعي نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الوزير انه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب ابيكم اياكم فان اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين اضلاعه ولحمه ونجيء به فقال لهم يهوذا يا إخوتاه أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لا كونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين ان الذئب اكله فاين الذئب ائتوني به فعمدوا الى حيالهم وعصيهم فاخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله فحلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسار أسه فقال له يعقوب أيها الذئب ا كلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أورثتني حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما اكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا وانى لمظلوم مكذوب علي وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك ارض كنعان قال جئت لاجل قرابة لي من الذئاب ازورهم واصلهم فعند ذلك قال يعقوب لا ولاده بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوي والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بامر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة اى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فاخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب حين التقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة ارسلوا رجلا من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فادلى دلوه اى ارسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر

فراى

مناجاة سيدي ان تعذبني فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على اسرع الحساب بين قطع اوصال المحبين ثم غشي عليه فلما افاق رفع رأسه وقال ياسيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران او تبتلي قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه ان يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وانشد يقول شعرا

في وصف حبك ما يغني عن الغزل
وفي حديثك ما يلهى عن العذل
ملكت كلي فكلي منك محتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبلي
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمنتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل

(وعن ابي بكر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) انه قال

فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر اصحابه انه اصاب عبدا واسروه بضاعة
قال المفسرون اسر مالك بن دعر واصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها
من بعض الناس الى مصر خيفة ان يطالبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام
كل يوم سرا من إخوته فاتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك واصحابه نزولا
ويوسف معهم فرجع يهوذا واخبر اخوته بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا ابق منا وكنا بيوسف حاله
مخافة ان يقتلوه فقال مالك انا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين اى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة
وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من اوقية اربعين درهما انما كانوا
يعدونها عدا فادا بلغ اوقية وزنوه لان اقل اوزانهم واصغرها يومئذ اوقية اربعون درهما (واختلف) العلماء
في عدد الدراهم التي باعوها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها
بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وانما باعوه بهذا
القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استراق
يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة
الى اربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحي الله اليه انك لم تنزل امامي وهم يمشون معك
حفاة لاعاقبنك بان يباع ولد من أولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو واصحابه بيوسف
ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له
وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر امه فلما رأى قبر امه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو
يقول يا أمي يا راحيل حلي عنك عقدة الردي وارفعي رأسك من الثري وانظري الى ولدك يوسف ومالقى
بعدك من البلايا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتيني يا اماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب
القوني وعلى حر وجهي لاطموني وبالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير
حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده
مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة الا ان الغلام قد رجع الى اهله فطلب القوم يوسف
فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد اخبرنا مواليك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك
فقال والله ما ابقت ولكنكم مررتم على قبر امي فلم اتمالك ان رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده
ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته ويروي انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت
منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى
غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر امره مالك بن دعر ان
يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان
على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قارا بن
عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروي ان هذا الملك مامات حتى آمن بيوسف وتبعه
على دينه ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن
عمر بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يسلم
(قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقي قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج
نعالا وثوبين ابيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه

فتهت في العراق أياما بادية
فلم أجد احدا ارافقه فبينما
انا سائرة ذات يوم اذ رأيت
خيمة من شعر لبعض
العرب فقصدتها فاذا على
باب تلك الخيمة ستر مسبل
فسلمت على من في الخيمة
فردت علي السلام عجوز
من داخل الخيمة ثم قالت
من اين الرجل قلت من
مكة قالت واين تريد قلت
الشام فقالت اري سبحك
سبح البطالين هلا لزمت
زاوية تعبد الله فيها ثم قالت
هل تحسن شيأ من القرآن
قلت نعم فقالت اقرأ علي
آخر سورة الفرقان قال
فقرأتها فصرخت صرخة
عظيمة وغشي عليها فلما
أفاقت قرأت علي آيات
فاقشعر جلدي لقراءتها
ثم قالت اقرأ علي ثانيا
ما قرأته قال فقرأتها
فلحقها مثل ما لحقها في
المرة الاولى ثم مكثت
طويلا فقلت في نفسي
أتري ماتت أم لا فرجعت
ذاهبا وتركتها مقدار
نصف ميل فاشرفت على
وادفيه عربان فابتدرني
غلامان ومعهما جارية
فقال لي احدهما أتيت على
الخيمة الشعر التي في الفلاة
قلت نعم قال أيها حي
يسمع قلت لا فقال ماتت
ورب الكعبة فمضيت مع
الغلامين حتى انتهينا الى

للبيع فتزاحم الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه اتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * واخبرني ابن فنحويه اخبرنا ابن ابي شيبة اخبرنا ابو حامد المسيلمي اخبرنا ابو هاشم الرقاعي قال اسم امرأة العزيز بكابنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا تتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت إمرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (اخبرنا) ابو بكر الجوزقي اخبرنا ابو العباس الدعولي بسرحين اخبرنا علي بن الحسين الهلالي اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابن اسحق عن ابي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته اكرمي مثواه والمرأة التي اتت موسى فقال لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر قال اهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما اتى العزيز يوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه فتأملته إمرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته فراودته اي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك اي هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا خفته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنني فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم افعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف اهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء يتناثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هو أول ما يسيل في الارض قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها ما يريد من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان اطفأتها فمنها احترقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق ان يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحر يرقد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاستتر به قال ليس شيء يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت أما سيدك فاسقيه كاس فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمة ثم القيه في الاستبرق والقيه في القيطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والذمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب

الخيمة ودخلت الجارية فكشفت عن وجه العجوز فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما شريفان جعفريان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام احد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها في الفلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة ايام مرة واحدة رضي الله عنها (اخواني) الي متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات فبادروا الى الاوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات اما ايقظكم منادي الشتات اما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات (شعر)

حياتنا باطل غرور
وعمرنا ذاهب تصير
والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضي وليس ندري
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكري الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

باحدى يديه الي جنب يوسف و باليد الاخري الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (و وي) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف ان يفترشها وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة * وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (اخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بني يعقوب ولده اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة ابيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء (وقال السدي) نودي يا يوسف لا تواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذي يموت فيدخل النمل في اصل قرنيه فلا يستطيع ان يدفع عن نفسه (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني اخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكوني اخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري اخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من المرأة فاذا ايكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا فارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذ الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (اخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني ابي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت استحي ان يرانا فقال لها يوسف اتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي انا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب اما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة واما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها ما نعة له من الخروج فقدت اي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الى سيدها لدى الباب اي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعني الزنا الا ان يسجن

(وعن السري السقطي رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصري الى السماء وقلت الهي لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق اخبره جماعة من الناس ان السري السقطي فعل معك كذا وكذا فخجل الرجل واستحى لما نفسه ووبخها وقال ويحك يا نفسي الم تستحي من الله ومن اوليائه فمن تستحيين ثم ندم وتاب مما كان فيه واقسم على نفسه ان لا يعود قال السري فبت تلك الليلة متفكرا في امر ذلك الرجل فرأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا سري انت طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من اجلك قال السري فلما اصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم علي وقال جزاك الله عني خيرا قال السري فقلت ما حالك فقال يا سيدي وكيف تسأل عن حالي وقد

او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فابيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد ان يذكرها فلما قالت ما جزاء من اراد باهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك ان صبيا في المهد انطقه الله تعالى بدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار بن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكما اخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة لساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها اي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا اي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت اربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عينها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ اعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئ عليه من النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام نحيه بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا بطيخا وموزا ورمانا وورداوآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهبنه لهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (قال وهب) بلغني أن سبعا من الاربعين امرأة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفني به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجن على المخالفة السجن فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل وأنا بهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم اني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذر فاما أن تأذن لي أخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وفاء للمرأة وذلا لها فلما دخل السجن قال الله تعالى جل ذلك الحبس تطهيرا

أخبرك به المولى الكريم
حين قال لك وقد طهرنا
قلبه من اجلك قال السري
فتعجبت من ذلك وقلت
من أخبرك بذلك فقال
الذي طهر قلبي من سواه
وجاد علي بعفوه ورضاه
(وعن السري أيضا رضي
الله تعالى عنه) انه قال
دخلت الجبانة فرأيت
بهلول المجنون على قبر
متمرغا على التراب فقلت
له ما جلوسك ههنا فقال
عند قوم اذا حضرت
عندهم لا يؤذوني وان
غبت عنهم لا يغتابوني
فقلت له يا هذا ان الخبز قد
غلا فقال والله ما أبالي ولو
صارت كل حبة بدينار
علينا ان نعبده كما أمرنا
وعليه ان يرزقنا كما وعدنا
(وقيل) ان رابعة العدوية
رضي الله عنها مرت برجل
وهو يذكر الجنة وما أعد
الله فيها لاهلها فقالت له
يا هذا الى متى تشتغل
بالاغيار عن الواحد القهار
ويحك عليك بالجار ثم
الدار فقال لها اذهبي
بالمجنونة فقالت ليست
بمجنونة وانما المجنون من
لم يفهم ما أقول ثم قالت
يا مسكين الجنة لمن لم
يكن الله انيسه وجليسه الا
ترى الى آدم عليه السلام
لما كان في الجنة يرتع فلما
تعرض له ابليس للاكل

ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فاجابا هم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبراني فتراءيا له فنسأله من غير ان يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأي صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد احببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل على من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل على من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فابيا الا حبه والفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريا من فهمه وعقله وقد كانا رايا حين دخلا السجن رؤيا فقالا يا يوسف فقال الساقي ايها العالم اني رايت كاني في بستان فاذا انا باصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال احدهما اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود اعصر خمرا اي عنبا وقال الخباز اني رايت كان فوق راسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عقيل اخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه (اخبرنا) محمد بن يزيد السلمي اخبرنا ابو الربيع الزهراني اخبرنا خلف بن خليفة اخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مرضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان في هذا الاجر ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لا نحب ان نكون في غير هذا المكان منذ رايناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واحسن ايثارك فكن في اي بيت شئت قال فكره يوسف ان يعبرهما ما سالاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما واخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه

من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما حفظ سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح في النار سارت عليه بردا وسلاما وأنشدت تقول شعرا

فروحي وريحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم انافس في هواك ولم غر
عليك ففي من ليت شعري انافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركضت في ميدان صبوتي وعثرت في اذيال ذلي في بزية شقوتي ومالي غيرك اعتمد عليه ولا اعرف بابا غير بابك التجيء اليه وها انا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفر لي فواذلي وحسرتي وان لم تعف عني فواطول حيرتي ثم يسجد فلا يرفع راسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى

فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى اهل السجن وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبى السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما الحا عليه فقال ياصاحبى السجن اما احدكما وهو الساقى فيسقى ربه خمرا يعنى الملك ويعود الى منزلته التى كان عليها واما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يخرج واما الآخر فيصلب والسلال التى رآها فى المنام ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يخرج فيصلب فتاكل الطير من راسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما راينا شيئا انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ الامر الذى عنه تسالان (اخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد بن الوزان اخبرنا على بن عبدالله الصفار أخبرنا احمد بن مهران عن ابى رزين العقيلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وار بعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذى رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم انه ناج منهما وهو الساقى اذكرنى عند ربك يعنى الملك وقص له فى السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة واكثر المفسرين على ان البضع فى هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه اصاب ايوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث فى السجن ما لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبى كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتى (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالى اراك بين المخطئين فقال له جبريل عليه السلام باطاهر الطاهرين بقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى ان استشفعت بالآدميين فوعزتى لابثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى ياجبريل وهو فى ذلك راض عنى قال نعم قال اذا لا ابالى (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى ابيك قال الله تعالى قال فمن آنسك فى البئر والبسك وانت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقى وقال له اذكرنى عند ربك بقى فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته وددنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وافركت وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال ياايها الملا افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا اضغاث احلام مخلطة مشتبهة التأويل الباطيل وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين

وقال

وفرغ من صلاته شرع فى قراءة القرآن من اول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها فى سورة يس قوله تعالى انى اذا لفى ضلال مبين فلما دفن فى قبره حضر اليه الملكان فقالا له ما ربك وما دينك فقال انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فلله درهم من اقوام قاموا يناجون الحبيب والناس فى غفلاتهم نائمون ويتحملون اثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون شعر الله قوم بذكره اشتغلوا وفى حمى قربه لقد نزلوا ليس لهم غير ذكره فرج فهم حقيقا مرادهم حصلوا من ذاق وصل الحبيب هام ولم يكنه منزل ولا طلل بروحهم فى وصاله سمحوا وحققوا ربهم وما جهلوا قاموا ينا جونه وقد علموا انهم للعباد قد عملوا فاستعذبوا الصعب فى هواه وقد لذهم فى رضاه ما حملوا (قيل كان ابو يزيد البسطامى رحمه

وقال الذى نجا منهما أى من الفتيين وهو الساقى وادكر بعد امة اى وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد امة اى بعد سنين انا أنبئكم بتاويله فارسلون اى الى السجن قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فاتى ليوسف فقال ايها الصديق يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا يا الصديق هو كثير الصدق افتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون اى فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقى الى الملك واخبره بما أفتاه به يوسف من تاويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذى قال كائن فقال الملك ائتونى بالذى عبر رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى يوسف أبى ان يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة امره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك اى سيدك الملك فاساله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شانه مازالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذي راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من اخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما اخبرهم حتى اشترطت ان يخرجونى ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبثت لاسرعت الاجابة وبادرت ولم ابتغ العذر والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن ايديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين همممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرىء نفسى الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتونى به استخلصه لنفسى فلما جاء الرسول الى يوسف قال له اجب الملك الآن ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنطف من درن السجن ولبث ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى حسبى ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعبرية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم انه دعا بالبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان ابى يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فاعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تاويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه اجلسه وقال له انى أحب ان اسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت كذلك تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماءه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس والكف كالكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سودا يابسات في منبت واحد عروقهن فى

الله تعالى يقول في مناجاته الهى لست اعجب من حبي لك وانا عبد حقير وانما اعجب من حبك لى وانت ملك قدير (وكان) يحيى بن معاذ الرازى يقول في مناجاته الهي ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا قال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه الحب حب يزرع في ارض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (وعن) انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء اخاه لله تعالى وان يكره ان يعود للكفر بعد ان انقذه الله تعالى منه كما يكره احدكم ان يقذف في النار (وعن) أبى هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فى جلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (وقيل) كان لعبد الله ابن الحسين جارية أعجمية وكانت من اولياء الله تعالى

الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك ماهذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فردت اوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذ آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ماشان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى ارى ايها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون ابقى له و يكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تاتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكم فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه و يبيعه لى و يكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم اي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسني المجاعة وبلغة من يأتينى فقال له الملك ومن احق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرنى) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى نا مخلد بن على بن على أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقري اخبرنا الحسين بن على بن على اخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن ابى الهذلي قال قال الملك ليوسف انى أريد ان تخالطني فى كل شيء غير انى آنف ان تأكل معي فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى انا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه امر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف راعيل إمرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت إمرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك و دنيا وكان صاحبي لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وللبحترى في هذا المعني

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الي الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت الجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله

فاصاب

قال فرايتها في بعض الليالى وقد قامت من منامها فاحسنت الوضوء وقامت الى صلاتها فلما فرغت من صلاتها خرت ساجدة لله تعالى وهي تقول سيدى بحبك لى الا ماغفرت لى قال فقلت لها ويحك لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبي لك فقالت اليك عني يا بطال فلولا حبك لى ما أنامك واقامنى واوقفنى بين يديه وبحبه لى اخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين قال عبد الله فقلت لها اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى فقالت مولاى كان لى اجران فصار لى اجر واحد اعتق الله جسدك من النار ثم قالت هذا عتق مولاى الاصغر فكيف عتق مولاى الاكبر ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها ففلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بمحبة رب العالمين وانشدت اقول شعرا

الحب فيه حلاوة ومرارة * وتنسك وتهتك ببشائر
ماشاء يصنع بالمحب فانما * حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت املك فى الهوى امر الذى

فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط ام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط والجوع فلما دخل اول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شيء اعدوه من السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه و باعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شيء و باعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها الجمع و باعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا اخذه و باعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك و باعهم في السنة السادسة باولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحنطة او الشعير من شدة السنة فلم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من امر يوسف وقالوا والله ما رأينا ملكا اجل من هذا واعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر جميعا وردت عليهم عقارهم وعبيدهم واولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع و بيدك خزائن الارض فقال اني اخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (وروى) ان يوسف امر طباخ الملك ان يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع و يحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه * قالوا واصاب ارض كنعان و بلاد الشام من القحط والشدة ما اصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر يطلبون الميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من ارض فلسطين من ثغور الشام وكانوا اهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما اراد الله تعالى ان يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب و بين ان دخلوا عليه ارض مصر اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزينا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم و بينه ستر فلذلك انكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلمهم بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن إخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من انبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم انتم قالوا نحن كنا اثني عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه اخو الذي هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فاني ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم الآية الى قوله ولذلك قال علون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه اي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت

اهوى لكان مؤانسي
ومسامري
(وقيل) لبعض المحبين
كيف رأيت المحبة قال
وقفت على ساحل بحر
زاخر ليس له آخر وقرب
مني قارب من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا
فركبت موافقة له واتباعا
له فما جابت الروح من دعاها
بسم الله مجراها ومرساها
فلما توسطت اللجة
توعرت سبيل الحجة
فمازلت حتى جمني في بحمع
بحر بحبهم ويحبونه فانا بين
البقاء والفناء حتى وصلت
الى ذلك الفناء والهنا مشعر
حروف المحبة ممزوجة
تبشرنا ببلوغ المنا
فيم الممات وجاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمئن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
جمينا الوصال بحد النصال
فان تلق شمر لقمنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال
وحر الوبال فبيء الهنا
ومت مثل مامات اهل
الهوى
فماتوا اشتياقا فنالوا المنى
وماضرهم حين نادتهم على
طور سينا انى انا
(وحكى عن ابي يزيد
البسطامي رضي الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما في
في سياحتي متلذذا بخلوتي
وراحتي مستغرقا في

بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون
عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي ان يشق اخذ ذلك منهم على ابيه اذ كانت
السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث
لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون
امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا واكرمنا كرامة
لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام
وقولوا له انا أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم انه قال لهم اين ثمنون فقالوا ان الملك ارتهنه لما أتيه
ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم اخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه
بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا ابانا منع الكيل فارسل معنا أخانا يعني بنيامين نكتل وانا له
لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعدما توكلت علي قالوا
ولما فتحوا امتاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل بعير فقال لهم يعقوب لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا (وروي) جويبر عن الضحاك عن ابن
عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا ان يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي
بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا باخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على
ما نقول وكيل اي شاهد بالوفاء فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة
وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما اغني عنكم من
الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم وكان
لمصر اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام
فيما قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز
هذا اخونا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم احسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي
ثم انه انزلهم واكرمهم واضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فريدا ثم اجلسه
يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل امر لهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم
على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه
اليه ويشم ريحه حتى اصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما اصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل
الذي جئتم به ليس له أخ بؤانسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا واجرى
عليهم الطعام والشراب وانزل اخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه اخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال
بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد فقد امه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن
ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتقت اسماءهم من اسم أخ لي
من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما اسماؤهم قال بالماء أخير

واشكل

فكري مستأنسا بذكري
اذ نوديت في سري يا ابا
نزيد امض الى دير سمعان
واحضر مع الرهبان في
يوم عيدهم والقربان فلنافي
ذلك نبأ وشان قال
فاستعذت بالله من هذا
الخاطر وقلت لست
أخاطر فلما كان الليل
أتاني الهاتف في المنام
واعاد على ذلك الكلام
فانتبهت من منامي مرعوبا
وفي هذا الامر مفكرا
مكروبا فنوديت جهاراً
يا أبا يزيد لا باس عليك انت
عندنا من الاولياء الاخيار
ومكتوب في ديوان
الابرار فليس زي الرهبان
واشدد من اجلنا الزنار فما
عليك في ذلك جناح ولا
انكار قال ابو يزيد فقمت
مسرعا من باكر وامتثلت
الاوامر ولبست زي
الرهبان وحضرت معهم
في دير سمعان فلما حضر
كبيرهم واجتمعوا وانصتوا
ارتج عليه المقام فلم يطق
الكلام كأن في فيه لجام
فقال له القسيسون
والرهبان ما الذي يمنعك
عن الكلام ايها الرهبان
فنحن بقولك نهتدي
وبعلمك نقتدي فقال
ما منعني عن ان اتكلم
وابتدي الا رجل بينكم
محمدي وقد جاء لديكم
ممتحنا وعليكم معتدي

وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم وعيتم قال فما هذه الاسماء قال اما بالعافان أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي وابي واما اشكل فانه كان اخي لابي وامي ومني واما احيا فلكونه كان حييا واما خير فانه كان خيرا حيث كان واما نعمان فانه ناعما بين ابويه واما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد واما حيثم فاعلم اني ابي انه حي واما عيتم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن اكون اخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له اني انا اخوك قال بنيامين فاني اذا لا أفارقك قال يوسف اني قد علمت باغتمام الوالد فان حبسك زاد غمه ولا يمكنني حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة لتيهيأ لي ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاسا من الذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكتال بها ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن وأذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونفعل لغيركم قالوا لى وماذاك قال سقاية الملك فقد ذاهاولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد احدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل اضررنا احدا او افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها في رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا افواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه ائتمنني عليه فلم اجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وافتضح في مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم اي كفيل قالوا ما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لازالة التهمة وكان يفتش امتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء احد الا استفتح الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما اظن ان هذا الغلام اخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولا نفسنا فلما فتحوا امتاعه استخرجوا الصاع منه فلما اخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤسهم من الحياء ثم اقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء اخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي الى البرية فاهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه * واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده ابي أمه من ذهب فكسره والقاه في الطريق وقال ابن جريج امرته امه وكانت مسلمة ان يسرق صنما لحاله من ذهب فاخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق بيضة من البيت واعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فمروا بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان اول ما دخل على يوسف من البلاء أن

فقالوا ارنا اياه لنقتله الآن فقال لا نقتله الا بدليل وبرهان فقالوا له افعل ما تريد فنحن ما حضرنا الا لنستفيد قال فقام كبيرهم على قدميه ونادي يا محمدي بحق محمد عليك الا ما نهضت قائما على قدميك لننظر اليك فقام ابو يزيد ولسانه لا يفتر عن التسبيح والتقديس والتحميد فقال له البترك يا محمدي اريد ان اسألك عن مسائل فان أجبت عنها اتبعناك وان عجزت عنها قتلناك فقال سل عما تريد من المعقول والمنقول والله شاهد على ما نقول قال فاخبرني عن واحد لا ثاني له وعن اثنين لا ثالث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن عشرة كاملة وعن احد عشر وعن اثني عشر وعن ثلاثة عشر وعن اربعة عشر تكلموا مع رب العالمين واخبرنا عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وادخلوا النار واخبرنا أين مستقر روحك في جسدك وعن الذاريات ذروا وعن الحاملات وقرا وعن

عمته بنت اسحق كانت اكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالاكبر وكانت راحيل
أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع و بلغ سنوات وقع حبه
في قلب يعقوب فاتاها وقال لها يا أخته سلمي الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته
فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من
عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لي اصنع فيه
ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فاتاها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك
لا أستطيع غير ذلك فامسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب ياخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان
يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قال
الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم ادناه من اذنه ثم
قال ان صاعي هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ فبعتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد
ليوسف وقال ايها الملك سل صواعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين
اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضا فقال بنيامين
أيها الملك اني اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحله فنقره ثم انه قال ان
صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال ايها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك اخانا لاصيحن صيحة
لا يبقى في مصر امرأة حامل الا القت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام
الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت لشيء من ولد يعقوب فقال يوسف من
يعقوب فغضب روبيل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله قال يوسف انت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف ان يحتبس اخاه عنده و يصير بحكمه
وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا انه لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم و يعطونه واحدا منهم
بدله فقالوا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا كلفا بحبه فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله
ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان اخذنا بريئا بسقيم
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو
شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل الم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من
الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فلن ابرح
الارض يعني ارض مصر حتى يأذن لي ابي فارجع الى الملك فاناجزه القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب
حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو لم نعلم الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسأل القرية يعني واسأل
اهل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من اهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا
فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على
يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال

الجاريات يسرا وعن
المقسمات امرا واخبرنا
عن شيء تنفس بغير روح
وعن قبر مشى بصاحبه
وعن ماء لا نزل من السماء
ولا نبع من الارض وعن
اربعة لا من الجن ولا من
الانس ولا من الملائكة
ولا من ظهر أب ولا من
بطن أم واخبرنا عن اول دم
اهريق في الارض وعن
شيء خلقه الله ثم استعظمه
وعن افضل النساء وعن
افضل البحار وعن افضل
الجبال وعن افضل
الدواب وعن افضل
الشهور وعن أفضل الليالي
وعن الطامة وعن شجرة
لها اثنا عشر غصنا في كل
غصن ثلاثون ورقة في كل
ورقة خمس زهرات اثنان
منها في الشمس وثلاثة في
الظل وعن شيء حج الى
بيت الله الحرام وليس له
روح ولا وجبت عليه
فريضة واخبرنا كم نبي
خلقه الله وكم مرسل منهم
وغير مرسل وعن اربعة
أشياء مختلف طعمها ولونها
والاصل واحد واخبرنا
عن النقير والقتير والقطمير
وعن السبد واللبد والطم
والرم واخبرنا عما يقول
الكلب في نبيحه وما يقول
الحمار في نهيقه وما يقول
الثور في نعيره وما يقول
الفرس في صهيله وما يقول

يا اسفا على يوسف والاسف اشد الحزن (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه على ابنه ما اصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند ابيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى مريضا ذاهب العقل من الهم او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما راى غلظتهم وجفوتهم انما اشكو بثي وحزني الى الله اليكم وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ اخوك فما بلغ بك ما ارى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي الله تعالى الى يعقوب انشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (اخبرني) الحسين بن فنحويه اخبرنا احمد بن الحسن بن حامد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن أبي زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط سمعت ابى يقول بلغنا ان رجلا قال ليعقوب ما الذى اذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحي الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما اشكو بثي وحزني الي الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتي تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم يطعموه منها شيأ وان احب الناس الى من خلقي الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه و يقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف انه كان له بقرة ولدها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فآخذه الله بذلك فابتلاه بفقد اعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما اخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله احست نفس يعقوب وطمع وقال له يوسف (وروى) انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق (وروي) انه رأي ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسي بابى كيلا يدخل على احد واشكوا بثي وحزني الى الله فقال له يا نبي الله انا الذى ايتم الاولاد وأرمل الازواج وافرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال يا ملك الموت انشدك الله الا اخبرتني هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرني عن الارواح اتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال اقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فجئتني زائرا أم داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك و بين يوسف ولو كان في الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لانه بشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت اعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها و بين ابويها قال نعم يا ملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال امرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا وشهر كذا فمر تميم العابد العبد الصالح بك

البعير في رغائه وما يقول الطاوس في صياحه وما يقول الدراج في صفيره وما يقول البلبل في تغريده وما يقول الضفدع في تسبيحه وما يقول الناقوس فى نقيره واخبرنا عن قوم اوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة واخبرنا أين يكون الليل اذا جاء النهار وأين يكون النهار اذا جاء الليل * فقال ابو يزيد هل بقى مسائل غير هذه المسائل فقال لا فقال ان فسرتها لكم واجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم فقال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون (اما) سؤالكم عن واحد لا ثانى له فهو الله عز وجل (واما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهي العرش والكرسي والقلم (وأما) سؤالكم عن اربعة لا خامس لها فهى الكتب المنزلة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما سؤالكم) عن خمسة لا سادس لها فهى الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع

لها فهي الستة ايام التي ذكرها الله في كتابه العزيز بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام (وأما) سؤالكم عن سبعة أيام لا ثامن لها فهي السموات السبع لقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون في الارض لقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهي فروض مكة التي وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤية يوسف عليه السلام لقوله تعالى اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا

وهو صائم ما افطر منذ اسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ فعند ذلك اعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وامران يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه واتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال فائدة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالي في طول بلائه ساعة قط من ليل او نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا ياايها العزيز اى الملك بلغة مصر مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت امتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائي سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على احد من الانبياء سوى نبينا محمد صلي الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا اراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ أنتم جاهلون واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه ودارت كتلته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان ملك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى بهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان انت قتلت بنا ذلك فابعث باستعتنا الى أبينا فانه يمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فابتلي بالنمروذ فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضعت السكين على قفاه ليذبح فداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لي ابن وكان احب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكلة الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان اخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل اخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم قال ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثاني قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا له انك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال

يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بان جمعنا بعدما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موقفا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين (قال) السدي وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل ابي من بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يات بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم يعقوب اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اى تسفهون (ويروي) ان ريح الصبا استأذنت ربها ان تأتي يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثماني ليال وقال مجاهد وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاءه البشير من بين يدي العير وقال السدي قال يهوذا ليوسف اذا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف اكله الذئب فاعطني اليوم قميصك لاخبر انك حي فافرحه كما احزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حافيا حاسرا وجعل يعدو حتى أتى اباه وكان معه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم اهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن يأتي يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعرف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرحوا القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي الآية (قال) اكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه اخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة اخبرنا

وادخلوا النار فهم اليهود وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فهم صدقوا وادخلوا النار (وأما) سؤالكم عن مستقر الروح في الجسد فانها تكون بين اذنيك في صورة الوجه (واما) سؤالكم عن الذاريات ذروا فهي الرياح الاربع (وأما) الحاملات وقرا فهي السحب (واما) سؤالكم عن الجاريات يسرا فهي السفن الجارية في البحار (وأما) سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم في ليلة النصف من شعبان (واما) سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهي السموات السبع والارضون السبع لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين (واما) سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام (وأما) سؤالكم عن شيء تنفس بغير روح فهو الصبح (وأما) سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض فهو الذي بعثته بلقيس الى سليمان عليه السلام في قارورة وكان من عرق

احمد بن ابى السفر بن ثوبان البصري اخبرنا اسحق بن زياد الاره لى اخبرنا الفضل بن حميد البغدادي اخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن ابى سلمة عن عطاء الخراساني قال طاب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا ثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى (وروي) ان يعقوب قال للبشير لما اخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب و يوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه و بكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني و بينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله ان يأتيه باهله ووالده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وابوه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة اما كما سمي العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يزد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأي يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسي ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة و بضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمي والزمني وكانت الذرية الف الف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقى وكثر حنيني آخذ ورقة حتى اكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل اذا اكتب اليك فاتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربى فسأل الله عن ذلك فاوحي الله اليه لانك قلت أخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب و بيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على ان يأتوا الشيخ فاتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقال يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء ارحم البرية فقال ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا قال بلى قالوا فان عفو كما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعوا الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله سله هل عفا الله عنا فان اجابك بانه قد عفا عنا جميعا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين في الدنيا ابدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح

المري

الحجل (واما) سؤالكم عن اربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر اب ولا من بطن ام فهى كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم انكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (واما) سؤالكم عن شيء اوله عود وآخره روح فهى عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسي الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهى الخيل (واما) سؤالكم عن افضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالى فليلة القدر (واما) سؤالكم

المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى يعثني اليك أبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده اربعة وعشرين سنة باغبط حال واهنا عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا وار بعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فاراد نعيم الجنة اذ هو افضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية (وروى) ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين اظهرنا والى ما يؤول اليه أمرنا ودينا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم امركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال الا ان سكن صراخ الديك فوجموا واكتأبوا وايقنوا بزوال اركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجمين الى ان صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا ان يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى ان حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بارض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروي) يونس بن عمران عن ابي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنزة تحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت ان اكون معك في الجنة فكره ان يعطيها حكمها فاوحى الله اليه ان اعطها حكمها ففعل

عن الطامة فهي يوم القيامة وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل فهي السنة والاغصان هي الشهور والاوراق هي الايام والخمس زهرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة (واما) سؤالكم عن شيء حج الى البيت الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهي سفينة نوح عليه السلام (واما) سؤالكم عن اربعة مختلف طعمها ولونها والاصل واحد فهي العينان والاذنان والانف والفم فماء العين مالح وماء الاذنين مر وماء الانف حامض وماء الفم حلو (واما) سؤالكم عن النقير والفتيل والقطمير فالنقير النقرة التي في ظهر النواة والفتيل هو الذي في باطنها والقطمير هو القشر الذي فوقها (واما) سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز (واما) سؤالكم عن الطم والرم فهي الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (واما) سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (واما) سؤالكم عما يقول الكلب

(وبروى) من طريق آخر ان هذا عجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطيني اربع خصال تطلق رجلي وتعيد الي بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان اعطها ما سألت فانك انما تعطى على فعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطىء النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال اهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ مجلس فى قصة يوسف بن ميشا بن يوسف عليه السلام ﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضي ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان احدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسي بن عمران وخليفته على بني اسرائيل واما ميشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ للمامات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وافسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن ميشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسي بن عمران بمائتي سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال) وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك اني بريء ممن سحر او سحر له او تكهن او تكهن له او تطير او تطير له من آمن بي صادقا وتوكل علي فاني كنت له كافيا ومثيبا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك اكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادي لا تفقلوا عن ذكري وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله ان يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿ مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبيناهو في بعض صحاري عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها احدا لا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت اصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأي ذلك أعجبه فتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلفة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من ابواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأي ذلك ولم ير هناك احدا اخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت وتحتها انهار تجري في قنوات من فضة اشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها

في نبيحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظي اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (واما) سؤالكم عما يقول البعير فى رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (واما) سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فانه يقول فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (واما) سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود فى البراري والقفار سبحان الملك الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم فى هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها احدا يبقى (واما) سؤالكم عن قوم اوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل اين يكون اذا جاء النهار وعن النهار اين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال ابو يزيد هل بقي معكم مسائل غير ذلك فقالوا لا فقال اخبروني عن مفتاح

الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها و بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها شيئا ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فاخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفوا اثر ناقته حتي رجع الى اليمن فاظهر ما كان معه واعلم الناس بامره و باع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن ابى سفيان فارسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه امر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وانكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذي هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فقال له ارنى اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ و بنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فامر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفران فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف اصنع حتي اعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي احد مثل ما اعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه و يامر باشخاصه و يغيب عنه هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا ان يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا اباسحق انى دعوتك لامر رجوت ان يكون علمه عندك فقال له يا امير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له اخبرنا يا أباسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد و ياقوت وحصي قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها فى الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسالنى احد عن تلك المدينة وما فيها ولكن اخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى ومن بناها اما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له واما الذى بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا اباسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد و بقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد واخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل في طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وانهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد و بقى شداد فملك وحده ولم ينازعه احد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه ان يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هي ارم ذات العماد وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى اطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة و ياقوت وز برجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد و ياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى احب ان اتخذ مثلها فى الدنيا واتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما

الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال ابو يزيد سألتمونى عن مسائل كثيرة فاحببت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها اعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا او عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا توافقونى فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالوها واسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وخربوه و بنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى ابو يزيد شددت من أجلنا زناراً فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار (إخوانى) انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا في ظلمات العمي فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الي كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع حركاتها فرطبوا السنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا

وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجلا لاتخرج لكم مافي كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى مافي ايدى الناس من ذلك فخذوه سوي مايأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ومافيها مما لاتعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمرهم ان يجمع له مافي بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة واعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ مايوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا مايحتاجونه الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يأأبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا في الصحاري ليتخذوا مايوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في ارض ابين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التي أمرنا بها فاخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس واجروا فيها القنوات ارسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يأأبا اسحق اني لاحسبهم اقاموا في بنائها زمانا من الدهر قال نعم يأأمير المؤمنين اني لاجد في التوراة انهم اقاموا في بنائها ثمانمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له يأأبا اسحق لقد اخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يأأمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التي لم يخلق مثلها في البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه واخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم اتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم قال فامر الف وزير من خاصته ان يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمرلهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى ارض ابين وخلف من قومه اكثر مما سار به فلما استقبل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يرى مافيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يأأبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل احمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحاري فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأي الرجل فقال له هو ذاك الرجل يأأمير المؤمنين قد دخلها فسأله عما حدثت به فقال معاوية يأأبا اسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والى سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين في

اخر

حرم امانها فانها حصن منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى في كتبه المنزلة اكثروا من قول لا إله إلا الله فانها حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي وقال بعض الصحابة من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له اربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا إخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجعلوا استكثار ها شغلكم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأي مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك مني فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هو نبي من ذريتك ابعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان

آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد اعطيت من علم الاولين والاخرين مالم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله في الارض شيأ الا وقد فسره في التوراة لعبده موسى تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبي) اخبرنا ذغفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أصبع في صباي الى ان اكتهلت بمغارة في جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت اسمع من ذلك فبينما انا في نادي قومي اذا نشدوا حديث تلك المغارة واطنبوا في ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومي انى غير منته عن هذه المغارة حتى ادخلها فهل فيكم من يساعدني فقال فتى منهم حديث السن انا أصاحبك ففلت يا ابن أخي أتجسر على ذلك قال عندي ماعند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأ ناشمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوأة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذي فيه المغارة وهو مشرف على البحر في المكان الذي يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهوينا في طريق أملس مستو ثم افضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا في سمك عشرة اذرع فحملنا انفسنا على نزول تلك الدرجة فقلت لصاحبي هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام في الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلي على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى ازج عظيم محفور في الجبل في طول مائة ذراع وعرض اربعين ذراعا وسمكه في السماء قدر مائة ذراع وفي صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادي عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسجوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة اذرع خارجا الى فضاء لم ير مثله واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مالها مثل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطلمنا ودنونا من ذلك الرجل ومسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها في ازرنا وأردينا وأردنا قلع شيء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا في ذلك الازج وطفئت الشمعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وأنا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا لنلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا لهو الرأي فنهضنا جميعا معنا من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتعهن بقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا اهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر افتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطي ثم ان انفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه

فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجني بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب ومامهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة وانا ازوجك بها فقال آدم يارب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله عزوجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها (وقال بعض الصوفية رضي الله تعالى عنه) كان لي جار معترف على نفسه بالمعاصي فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت المحدث يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت على ذلك و بكت ثم رأته بعد ذلك في النور والرحمة قالت فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبي صلى

فعلمنا انا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندي حولا لا أجد احدا يقرؤه لي حتى اتانا رجل من اهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر يا ايها المغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ * ساء والملك الحشيد ... دان اهل الارض طرا * لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعد * ة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا * في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد
فعصيناه وادينا الاهل من محيد ... فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد

فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سالت علماء حمير عن شداد وقلت انه اصيب وقد رأينا من ارم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة تلك المدينة ملك من بعده مزيد بن شداد وقد كان ابوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل ابيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله اعلم

(مجلس في ذكر قصة اصحاب الرس)

قال الله تعالى وعاد وثمود واصحاب الرس اختلف العلماء من أهل التفسير واصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل اخبر بطائفة من حديث اصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى و بئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له فج مصعد في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كاعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتاكلها فجاعت ذات يوم واعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تاخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها اثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ان اصحاب الرس قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أما احدهما فكان اهله اهل بد وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى اخمدهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على شفيرة وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج اليكم الذي تدعونه وتعبدونه الى واطاعني انجيبوني الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فاعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فحرج الولي اليه وقال له ائتني طوعا أو كرها باسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولي ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم من امرهم على سك فاتى الحوت واتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فالقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فاتى الولي الصالح الى البحر واخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على اصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك

الله عليه وسلم واهدي ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبي من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لي (وقال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه صليت ليلة من الليالي صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته في المنام وهو يقول ياهذا نسيت الصلاة علينا فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال اما علمت ان الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه الا بالصلاة على أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومي وانشدت شعرا

صلوا على من أنت حقا بشائره ... الهاشمي الذي طابت عناصره
هو النبي الذي شاعت رسالته ... في الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذي تسمى الملوك له ... على لرؤس فتانهم مفاخره
هذا الطبيب لهدي الناس كلهم ... يشفي العليل وللمكسور جابره

النسل (وأما الاخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع اذر بيجان بينها و بين ارمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت في حد ارمينية واذا قطعته مقبلا دخلت في حد اذر بيجان وكان من حولهم من أهل ارمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل اذر بيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى والعذاري فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ اصناف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يغف و يدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وايده بنصره و بعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في اسفله واتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة اعوانا له فغرقوا ما بقي في وسط نهرهم ثم امر الله جبريل فنزل فلم يدع في ارضهم عينا ولا نهرا الا يبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشي فاماتها دفعة واحدة وامر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع والقى الله تعالى عليهم الثبات ثم خففت الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته في رؤس الجبال و بطون الاودية وأما ما كان من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا واربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقي من الرجال والنساء والذراري ستمائة الف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صارا علاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله ان يحييهم بماء وزرع وماشية و يجعله قليلا لئلا يطغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم و يقاربهم الا اعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فاطاف لهم نهرهم و زادهم على ما سألوه فاقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا و باطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم اطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن واملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم اكثر من طاعتهم وخالفوا اولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل و بقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد و بقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتي عام لا يسكنها احد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم احدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته واخته وزوجته فيبيت معها جاره واخاه او صديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغني الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امراة وهي الدلهان بنت ابليس وهي اخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في اول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (وروي) علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن اصحاب الرس وفي أي عصر كانوا واين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا و بماذا اهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا

صلى عليه اله العرش ما
طلعت
شمس وما ناح فوق
الغصن طائره

(وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا هذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء فقال من انت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف اهل زمانك لما اطلعتك على حالي واخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي انا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فمكثت لاعالجه فبينا انا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فظلت ازراري وغطيت به وجهه وحصل عندي غم عظيم وحزن بي خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء ذلك الحال عن الناس وصرت مفكرا في امري لا ادري ما اصنع

فبينما انا كذلك اذ غلبني النوم فنمت فاذا انا برجل لم أر احسن منه وجها ولا أنظف منه ثيابا ولا اطيب منه رائحة وهو يرفع قدما و يضع قدما حتى دنا من والدي ثم كشف الازار عن وجهه ومربيده عليه فعاد ابيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من انت الذي من الله علي والدي بك في هذه البرية قال فتبسم وقال انا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي فاغثته وانا غياث من اكثر الصلاة علي فانتبهت فرأيت وجه أبي أبيض يلوح منه نور ساطع (اخواني) اكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي الى صراط مستقيم وتقي قائلها من عذاب الجحيم ويحظى بالجنة دار النعيم (وعن عبد الرحمن بن جعفر) رحمه الله تعالى انه قال كنت بالبصرة اصلي الخمس في مسجد بجواري وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربي يدعى بابا سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم في

يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفنديا وهي التي كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد ان ينقص من حياتها و يشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها و يضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه و بقر فيذبحونها قربانا للشجرة و يشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها و بخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها و يصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم و يشربون الخمر و يضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق و يقربون اليه الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا و يتكلم من جوفها كلاما جهورا يايعدهم و يمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور مالا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف و يكونون على ذلك اثنا عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى و يعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم أجمع وارهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فيها لهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها و يقع فيها و يدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا امركم على قتله فاتخذوا منشارا وبيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرانخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا ان ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من يقع فيها و يصد عن عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم

ويسمعون انين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء الذى غرهم حلمي وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالتفت عليهم حجرا كالقبة يلتهب فاذاب ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم

(مجلس فى ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادي ربه انى مسني الضر وأنت ارحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتب كان ايوب رجلا من الروم ووكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو ايوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له القنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله فى القربة والفضيلة وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هناك وصل الى آدم حين اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يقعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد وصعد سريعا حتى صعد فى السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك وليسبنك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت

المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه احد فخرجت فى بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت اسبق الركب حتى يلحقني رفاقى فنمت ليلة من الليالى على عادتى وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بى فصرت نائما حتى طلعت الشمس وانتبهت وانا لا ادرى كيف الطريق فرفعت طرفي الى السماء وقلت الهى وسيدى الى ههنا حملتنى وعن بيتك قطعتني فما يضرك لو وصلتنى ثم سرت حتى عييت من المسير وقوي على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل انتظر الموت فبينما انا كذلك اذا شخص ينادينى باسمى فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ ابو سعيد قال فسلمت عليه فرد السلام على ثم ناولنى رغيفا سخنا فاكلته فاستدرته ثم ناولنى ركوة فيها ماء احلى من الشهد وابرد من الثلج وابيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهى فعادت روحي ثم قال اتبعنى يا عبد الرحمن ففرحت بذلك فقال البث ههنا فالركب ياتيك بعد ثلاثة ايام ثم ناولنى رغيفا

الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت أعصارا من نار فاحرقت كل شيء آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض أعصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس انى ومالي للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول وردعليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنشف كل شيء تأتى عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فأت الفدادين والحراث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنشفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من

دماغه

ومضى فكنت كلما اكلت من ذلك الرغيف لقمة شبعت فاقام الرغيف عندى ثلاثة ايام الى ان جاء الركب واجتمعت برفاقي فلما وقفنا بعرفة رايت الشيخ وهو واقف عند الصخرات مشغول بالدعاء فلما فرغ سلمت عليه فرد على السلام وقال الك حاجة ياعبد الرحمن فقلت ياسيدي اريد دعاءك فدعا لى ثم نزلنا من الجبل ولم اره بعد ذلك فلما قضيت الحج وسرت الى البصرة انيت الى مسجده لانظره فلما نظرته قام الي وسلم على وصافحني وعصر على يدي ففهمت منه ان اكتم سرك قال فلما اقيمت الصلاة وفرغنا سالت المؤذن عن غيبة الشيخ في ايام الحج عن المسجد فحلف المؤذن ان الشيخ اباسعيد لم يكن قطع الصلوات الخمس في المسجد ابدا ولا ساعة واحدة قال عبد الرحمن فعلمت انه من الخواص الابدال السادة الرجال اعاد الله علينا من بركاتهم وصالح دعواتهم فى الدنيا والآخرة آمين

(وعن عبد الصمد البغدادى رضي الله تعالى عنه انه قال كنت اتجر من بغداد الى بلاد اليمن واحج في كل سنة فبينما انا

دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهي انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا قبل ان يرفع رأسه اتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فوقه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضرمهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى اصوب رأيتم ومن الامر اجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان ايوب نبى الله وحبيبه وخيرته وصفوته من اهل الارض فى يومكم هذا ألم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحكيم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله رجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذ ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استية والى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون انفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه

في بعض السفن فى الطريق بين مني وعرفة اذ رايت شابا حسن الشباب نقى الاثواب كان على وجهه قنديلا من نور وهو راقد على الرمل وتحت راسه حجر وهو يعالج سكرات الموت قال فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت الك حاجة ايها الشاب فقال نعم تقيم عندى ساعة حتي اقضي نحبي والحق بربى فقلت ما الذى تريد قال اذا انا مت فوارنى فى التراب وخذ هذه المعضدة ورح الى صنعاء اليمن واسأل عن الدرب الفلانى وقل لاهلى عثمان يقرئكن السلام ثم غاب عن الكلام ساعة طويلة حتي حسبت انه مات ثم افاق بعد ذلك وهو يقرا هذه الآية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الصمد فغسلته وكفنته ووجهه يضيء ويتلألأ ثم صليت عليه فى جماعة ثم دفناه واخذت المعضدة معى فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب فارشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنات فوقعت اليهن تلك الوديعة فلما راوها جدوا فى البكاء والنحيب ثم خرت العجوز مغشيا عليها فلما افاقت قالت ابن

بالاعمال فهم مرعون مفرعون خاشعون مستكينون فقال ايوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فمتى نبتت في القلب اظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى نور الكرامة ثم ان ايوب اقبل على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني باموالكم لعل الله يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فبهنائك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا ستراها الله عليكم بالعافية التي البسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرني واذا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فانتم اليوم اشد علي من مصيبتي ثم انه اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني ما خلقتني باليتني كنت حيضة ألقتني امي اوليتني قد عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني والحقتني بآبائي فالموت كان اجمل لي يا الهي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيتم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمنة لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا لقد وقع علي بلاء لو سلطته على جمل الضعف عن حمله فكيف بحمله ضعفي الهي تقطعت اصابعي فاني لا ارفع الاكلة من الطعام الا بيدي جميعا فما يبلغان فمي الا على الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين اذني من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغي ليسيل من فمي الهي تساقط شعر عيني كانما احرق بالنار وجهي وحدقتاي متدليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما ادخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت امعائي في بطني واني لا ادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكانهما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت اسأل بكفي ويطعمني من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علي ويعيرني الهي هلك اولادي ولو بقي واحد منهم اعانني علي بلائي ونفعني قدملني اهلي وعقني ارحامي وتنكرت لي معارف ورغب عني صديقي وقطعني اصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخوني واعتذر فلا يعذروني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي اذلني وادناني واهانني واقامني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولوان ربي نزع الهيبة التي في صدري فاطلق لساني لا تكلم على فمي ولو كان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه الفاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا اسمعه ولا نظر الى فرحمني ولا ادناني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته غمامة حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها انا قد دنوت منك فلم ازل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني الا من يحمل الزمان في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللحم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد امس لقد منتك نفسك امرا ما يبلغ بثقل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اي مرام رامت بك أردت ان تكاثرني بضعفك ام اردت ان تخاصمني بغيك ام اردت ان تحاجني بخطئك اين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل علمت باي مقدار قدرتها ام كنت معي تمر باطرافها ام تعلم ما بعد زواياها ام على أي

صاحب هذه المعضدة فاخبرتها بخبره فقالت هو والله ولدي عثمان وهؤلاء اخواته ترك اهله وحشمه وخدمه وزهد في الدنيا وخرج سائحا على وجهه لا ندري اين ذهب فجزاك الله عن ولدي خيرا الهي ان كنت لا ترحم الا المجتهدين فمن للمقصرين وان كنت لا تقبل الا على المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا الطائعين فمن للعاصين وان كنت لا ترحم الا المحسنين فمن للخاطئين انت اكرم الاكرمين وارحم الراحمين (وعن ابي الاشهل السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال رايت غلاما بطريق مكة وهو قائم يصلي عند بعض الاميال قد انقطع عن القافلة فوقفت انظر اليه فاطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انقطعت عن الركب الك رفيق يؤنسك حتى تلحقه فبكى وقال نعم فقلت واين هو فقال امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فعلمت انه عارف فقلت له امعك زاد فقال نعم فقلت واين هو فقال في قلبي اخلاصي لربي فقلت له فهل لك في مرافقتي فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا

شيء وضعت اكنافها بطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت
مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري
وتسير نجومها ام هل بامرك يختلف ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار وابعث الانهار
اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت
مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدري كم مثقال
ما فيها اين الماء الذي انزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة احصيتها وقسمت
الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتنثر الماء هل تدري ما اصوات الرعد ام من اي شيء لهب البرق
وهل رأيت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ام هل تدري أين خزانة النهار بالليل واين طريق
النور وباي لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح واين جبال البرد ام هل تدري من جعل العقول في
أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين بجبروته
وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد ارزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على افراخها
ومن اعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تانس بالاصوات ولا نهاب السلاطين
أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى اخرجت لها طعاما من اجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها ام
بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا في اماكن الفلا اين انت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع
التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران انيابهما كانها شجر الصنوبر الطوال ورؤوسهما كانها
الجبال وعروق اخاذمهما كانها عمد النحاس أأنت ملأت جلودهما لحما أم انت ملأت رؤوسهما دماغا هل
لك في خلقهما من شرك ام لك بالقوة التي غلبتهما يدان ام هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤوسهما
ام تقعد على طريق فتحبسهما او تصدهما عن قوتهما أين انت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه
في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا اذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كانه
اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال الصخور وكأن ضرب اسنانه اصوات
الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكيء لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل زبر
الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع الصخور على
جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذه باحبولتك وواضع اللجام
في شدقه هل تحصي عمره ام هل تعرف اجله أم تعرف رزقه ام هل تدري ماذا خرب من الارض وماذا
يخرب فيما بقي من عمره ام هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيعطيك تبارك الله أحسن الخالقين
فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد علي ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم
أتكلم بشيء يسخط ربي حين اجتمع علي البلاء إلهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف
نصحي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت أن
لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت
تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا لم أكن اعلم وخفت ان يكون امرا اكثر مما
كنت اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني
وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت عن لساني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على
لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري وسكت حين اسكتني خطيئتي فاغفر لي
ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي اذ

احب أحدا يشغلني عن
ذكر الله تعالى طرفة عين
فقلت من أين تاكل فقال
الذي غذاني في ظلمة
الاحشاء صغيرا يتكفل
برزقي كبيرا فمتى احتجت
الى طعام حضر بين يدي
فقلت له هل من حاجة
فقال نعم اذا رأيتني بعد هذا
اليوم فلا تكلمني فقلت
بالله أسألك ياسيدي ان
تدعوا لي فقال حجبك الله
عن كل معصية وشغلك
بما يقربك اليه فقلت
ياسيدي فاين اللقاء بعد
ذلك اليوم فقال ما بقي لعاء
بعد هذا اليوم فان كنت
من اهل القرب فاطلبني
غدا في منازل المقربين ثم
غاب عن عيني فلم أره رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به آمين
(وعن مالك بن دينار
رضي الله تعالى عنه) انه قال
كان لي جار مسرف على
نفسه لا يعرف يومه من
أمسه فاجتمعت الجيران
الي يشكونه فاحضرته
وقلت له ما هذا قد كثر
عصيانك فاما ان تتوب
واما ان تخرج من هذا المحل
فقال انا في ملكي لا أخرج
منه فقلت له نشكوك الى
السلطان فقال انا من
أصحاب السلطان فقلت
ندعوا الله عليك فقال ربي
ارحم منكم ثم نهض من
عندي فلما كان الليل

أخطأت فقد غفرت لك ما قلت برحمتك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فاقبلت إمرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت ياعبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر الآية * واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام ابو الحسين محمد بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وثلثمائة اخبرنا ابو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الحشاب بمصر اخبرنا يحيى بن ايوب العلاف اخبرنا سعيد بن ابي مريم اخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله ايوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من إخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه والله لقد أذنب ايوب ذنبا ما اذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ادراك قال منذ ثماني عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال ايوب ما أدري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفي عنهما كراهة ان يذكر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت إمرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى اوحى الى ايوب في مكانه ان اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ما شأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء وهو احسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال اني انا هو وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى في اندر الشعير الورق حتى فاض (ويروي) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو امنه في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لي عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان ايوب عليه السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بايوب اكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفتأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة إمرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وايوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارض جزعا من صبر ايوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا إمرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك اين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل إمرأته قالوا فشانك وايوب من قبل إمرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق

حتى

رفعت يدي الى السماء في وقت الاسحار واردت ان ادعو عليه فهتف بي هاتف يامالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا قال مالك فقمت من ساعتي وطرقت عليه الباب فخرج وظن اني جئت اليه لاخرجه من محله فخرج وهو يبكي ويعتذر ويقول ياسيدي السمع والطاعة انا اخرج من المحل فقلت له لا باس عليك ما جئتك لهذا انما جئت اليك لاخبرك بما كان مني اني رفعت يدي واردت ان ادعو عليك فهتف بي هاتف يامالك لا تدع عليه فانه من اوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فاصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة في العام القابل فبينما انا في المسجد الحرام وقت الظهيرة مستظل بحائط واذا بجماعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتاملته فاذا هو صاحبي وهو يعالج سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه ابكي ففتح عينيه فرآني ثم قال يامالك أتراني مولاي يعفو عن تلك الذنوب والسيئات ويرحم

حتى اتى إمرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال لها ليذبح ايوب هذه لي وسيبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد اين الصديق اين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد واين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفت ربك الا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تاتيني به على حرام لا أذوق مما تاتيني به شيئا بعد ان قلت هذا فاعزبي عني لا اراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر الا سقط اثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من اكلة أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتاكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التي كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وايوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتساله فارسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال ايوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت يعلى فهل رايته فقال وهل تعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت اما انه كان اشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فانا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين (وقال) كعب كان ايوب في بلائه سبع سنين وقال وهب نبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبدالله السماء وتركني واغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندي ثم اراها اياهم في بطن الوادي الذي لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال لها لوان صاحبك اكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان ياتيه من قبلها ورايت في بعض الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد عليك الاولاد والمال واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يفتنك عن دينك ثم ان ايوب

هذه العبرات فقد فارقت اهلي ووطني وخرجت من ذلك المكان حياء منك وانت مخلوق فكيف اقف غدا بين يدي الخالق جل وعلا ثم تنفس وشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه آمين (وعن الجنيد رضي الله تعالى عنه) انه قال عزمت على الحج الى بيت الله الحرام في بعض الاعوام فركبت ناقتي ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى وعظمها فلوت عنقها وردته نحو القسطنطينية فرددتها مرارا وهي تعود فقلت في نفسي لله في ذلك سر خفي فاطلقتها وقلت إلهي وسيدي ومولاي ليس لي حيلة ان كنت تريد ان تردني عن بيتك فالامر اليك قال فجعلت الناقة تسير سيرا جيدا حتى دخلت القسطنطينية فلما دخلت البلد رأيت الناس في هرج ومرج فسألت عن الخبر فقال بعض الناس ان ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون لها طبيبا يداويها فقلت في نفسي وعزة ربي لهذا صرفني عن بيته في هذا العام قال الجنيد فقلت لهم قد حضر الطبيب فقالوا أنت تداويها فقلت لهم نعم ان شاء الله تعالى قال فاخذوا

اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياى الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة ايوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس لم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها اين قرنك فاخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه خشي ان يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فاخذها وردها الي موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعامك فمضته عضة زاد الله على جميع ما قاسي من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فما سمع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعان قط وانا أعلم بمكان جائعا فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أني لم أتخذ قميصا قط وانا اعلم بمكان عريانا فصدقني فصدقه وهما يسمعان فخر ساجدا لله وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) في هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله ايوب في الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله ايوب ان يؤتيه اياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا احياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه اوصى عند موته الى ابنه حوميل وان الله بعث بعده بشر ابن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وامره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله اعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب انا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل اليه رجلا فقال لا ارضي بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا ارضي فخرج اليه فاخذ بيده وانطلق معه حتى اذ كان في السوق خلاه فذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه

بيدى واتوا بى الي الملك واخبروه بما قلت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم ادخلت مخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول ياجنيد تجذبك العاقة الينا وأنت تجذبها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلي من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ار الراؤن احسن منها وهي مقيدة بالحديد ومسلسلة فقلت لها ما هذه الحالة فقالت ياطبيب القلوب صف لي صفة أنجوا بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولي لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والسلاسل عنها فلما رأي ابو هاذ لك قال ما أحسنك من طبيب اسالك بالله عليك ان تداوني بما داويت به ابنتي هذه قال الجنيد فقلت له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالها واسلم وحسن اسلامه ثم أتت أمها واسلمت واسلم كل من كان في البلد معهم قال الجنيد فعزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل ياسيدي بالخروج فاني سألت الله ان يتوفاني وانت حاضر حتى تقف على غسلي وتصلي علي ثم

الله بعد أبيه رسولا الي ارض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى امرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشرانا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله ان يطيل اعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتنى أن اجاهد اعداءك وانت تعلم أنى لا املك الا نفسي وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريمة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك قال فاوحي الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى طولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك أن اختيارى لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمي ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى أخبارا عن قومه وانا لنراك فينا ضعيفا أى ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله و بخس للناس وتطفيف فى المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق و بسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا اليؤمن به انه كذاب فلا يفتتك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم

تشهدت وخرت ميتة
فغسلناها ودفناها رحمة
الله تعالى عليها (وعن ابى
بكر بن الفضيل رضى الله
تعالى عنه (انه قال سألت
بعض أصدقائى وكان
أصله روميا عن سبب
اسلامه فامتنع أن يحدثنى
فما زلت أقسم عليه حتي
حدثنى قال نزل بنا عساكر
المسلمين فحاصرونا سنة
من السنين فخرجنا اليهم
وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة
وقتلنا منهم جماعة واسروا
منا جماعة واسرنا منهم
جماعة كما هي عادة العساكر
في القتال فاسرت انا
وحدى من المسلمين عشرة
رجال وكان لى فى الروم
المنزلة فسلمت العشرة الى
غلمانى فقيدوهم وحملوهم
على البغال حتى تركوهم فى
السجن عندى فبينا انا يوما
من الايام جالس بقصرى
اذ جاءنى بعض غلمانى
وقال ياسيدي ان احد
الموكلين قد أخذ من احد
المأسورين مالا وتركه
يصلى قال فلما سمعت
ذلك أحضرت الموكل بهم
وقلت له اخبرنى ما الذى
اخذته من هذا الاسير حتي
تركته يصلى فقال انم
ياسيدى انه فى كل وقت
صلاة يدفع الى دينارا ذهبا
فقلت هل معه شيء من
ذلك فقال لا ياسيدي

بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة و بعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا و رجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا و ذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظله فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشي بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كاتب لهم قال أبو عبيد الله البجلى أبو جاد وحطي وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن هدد ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك في الدنيا والعذاب فى الآخرة

(مجلس في ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)

(الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضي من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح ناتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مبين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضي له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نجيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدله هرون وموسي واختلف فى اسم أمهما فقال ابن اسحق نجيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسي عليه السلام وقد مضي من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثانى في ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك

ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك واحببت ان اعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بانه يريد الصلاة و يدفع الى الدينار على عادته فاشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فاطلقته يصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الي كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير قال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر اشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب اشار الى فاشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخيرة أومأ الى فقلت له لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين

بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشه بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام و دأغفي من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف و يعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني اسرائيل منه وكان يعذبهم و يستعبدهم وجعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن اهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات و يقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من اهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قال فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه ار بعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كان نارا قد اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط و تركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك الملك و يغلبك على سلطانك و يخرجك وقومك من أرضك و يبدل دينك وقد اظلك زمانه الذي يوجد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء وكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه كان يامر بالقصب فيشق حتى يجعل امثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح اقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته و يقتل من يولد بعدهم و يعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون بذبح الولدان سنة و تركهم سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها احد فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون امه علانية آمنة فلما كان في العام الذي امر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فاوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في خفية ارضعته ثم انها اتخذت لها تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت ام موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم القته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها اتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي ورأيته وكفنته كان أحب الي من ان القيه بيدي في البحر وادخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة و يخفضه اخرى حتى ادخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جواري فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون في داخل بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن و يستقين فوجدن التابوت فاخذته وظنن ان فيه مالا فحملته على حالته حتى أدخلنه الى آسية

دينارا وقال اطلب ما شئت فان سيدي غني كريم لا يبخل على بما سالته قال فبت تلك الليلة متفكرا في امره متعجبا مما رأيته منه وقد داخلني منه هيبة وامر عظيم وعلمت انه من اولياء الله تعالى فلما اصبحت دعوته للحضور عندي ثم اكرمته وفككت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعظمته وبجلته ثم قلت له يا سيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وانت في أعز مكان واكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فاحضرت له زادا وحملته بنفسي على بغل وانفذت معه من اصحابي وغلماني عشرة رجال واوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد ويمتثلوا جميع ما يأمرهم به ويفعلوا جميع ما يختاره ثم احضرت دواة وقرطاسا وجعلت له علامة بيني وبينه وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة في القرطاس خوفا عليه في الطريق ثم ودعته وحملته بنفسي فقال لي توفاك الله على احب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع في قلبي حب الاسلام قال

فلما فتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون
بامره اقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل
فانا آتي فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد احسنتم وان امركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها اتت به فرعون
وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى
به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد ان يذبحه وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان
يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت
ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشي لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشي الشجر
فعرب فقيل موسي (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسمعيل بن
عيسي اخبرنا ابن بشير اخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر
استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله
عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب وذبحوا ابناءهم قال وقال ابو الياس قال وهب بلغني انه ذبح
في طلب موسي سبعون الف ولد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان ام موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من
القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها المخاض ارسلت اليها أم موسى
فقالت نزل بي ما نزل فليتفضى حبك اياي فقالت لعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض اضاء له
نور بين عيني موسي فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسي في قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين
دعوتيني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء
مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها
ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى
فلفت موسي في خرقة والقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى
فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسي لم يتغير لها لون ولم يظهر لها ابن فقالوا لها ما ادخل عليك هذه القابلة قالت
هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى اين الصبي قالت
لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته
(قال اسحق) بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان ام موسي لما رأت الحاح فرعون
في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت
الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت
فقالت اخبأ فيه ابني لي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشي كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته
وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير
بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهي النجار الى
موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى بلسانه وبصره
فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان
رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فامن به وصدقه فانطلقت أم موسى به والقته في البحر وذلك بعد
ما ارضعته ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان

وكان مسيرة بلده من بلادنا
خمسة ايام ذهابا وخمسة ايام
ايابا فلما كان يوم السادس
قدم علي اصحابي وغلماني
ومعهم القرطاس بخطه
والعلامة التي كانت بيني
وبينه فسألتهم عن سرعة
مجيئهم فقالوا لما خرجنا من
عندك وهو معنا وصلنا الى
بلاده في ساعة واحدة من
غير تعب ولا نصب فلما
رجعنا سرنا في الطريق
خمسة أيام بالجهد والتعب
والنصب فقلت عند سماع
ذلك منهم أشهد أن لا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله وان
دين الاسلام حق ثم
خرجت من بلاد الروم الى
بلاد الاسلام وصار امري
الى ما ترى والحمد لله وحده
(حكى عن بعضهم عفا الله
عنه) أنه قال كان في
زمن خلافة معاوية بن أبي
سفيان رضي الله تعالى عنهما
امرأة علوية وكان لها
ثلاث بنات فضاق الحال
عليها واشتد بها الفقر
فبكت بناتها يوما من الايام
من الم الجوع فقالت المرأة
لبناتها اصبرن حتى اطلب
لكن شيأ من عند القاضي
من بيت مال المسلمين قال
فصبرت بناتها عند سماع
ذلك منها الى الصباح ثم
مضت الدتهن الى بيت
القاضي فلما وصلت
استأذنت في الدخول

لها

لها كل يوم ثلاثة حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر شيء يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذا قبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدره من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ارم به في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موشي لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان ام موسى قالت لاخته وكانت تسمي مريم قصيه اي اتبعي اثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي هو أم قد اهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به على جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت الى من حولها من كل اثني بها لبن لتختار له ظئرا تربي به موسى فجعل كلما اخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية ان يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق لتجتمع عليه الناس ترجوان تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويوضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسى حين اعياهم امره وأعيا الظؤرة هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها ما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما اعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير الى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيأ مثل حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا اولي له الا خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وتذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت به امه الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وانبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى احب ان تربي ابني فوعدتها يوما تربيها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهارمته منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان اخرج من بيت امه الى ان دخل على امرأة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به واعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقي فدخلت وسلمت على القاضي فرد عليها السلام ثم قال ما حاجتك يا شريفة فقالت له يا سيدي ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وجئت اليك لعلك ان تتصدق علينا بشيء من بيت مال المسلمين قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها غدا أعطيك شيأ قال فخرجت من عنده وجاءت الى البنات وهن يبكين من شدة الجوع فقالت لهن يا بناتي طيبن قلبا بكن فقد وعدنا القاضي بانه في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا ارجع اليه كما قال وآتيكم بشيء من عنده قال فبتن تلك الليلة مستبشرات فلما اصبح الصباح ذهبت والدتهن الى بيت القاضي فوجدته جالسا على باب داره فسلمت عليه فرد عليها السلام ثم قالت له يا سيدي كنت وعدتني بالامس بشيء وقد جئتك طامعة في طلبه فلما سمع كلامها شتمها ونهرها وقال اذهبي عني فرجعت المرأة محزونة باكية وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت اليها وبكت بكاء شديدا وقالت الهي باي وجه ارجع الى بناتي وباي عين انظر اليهن وباي لسان اجيبهن وطال بكاؤها وزاد تضرعها وانتحابها قال وكان بالبلد

به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق واضع له حليا من الذهب واليا قوت واضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انه وضعت له طستا فيه الذهب واليا قوت وطستا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية الاتري الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل احببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى قال والقيت عليك محبة مني فلم املك ان احببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسي وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه ايضا شامة سوداء وكان موسي بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال ازد شنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان ايضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتلة القبطي وخروجه من مصر وورود مدين)

قال اهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعي موسي بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسي فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسي في اثره وادركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد اغلقت اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان احدهما من بني اسرائيل والاخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فامتنع السامري فلما مر به موسي استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسي انما آخذه في عمل أبيك وأبى ان يخلي سبيله فغضب موسي فبطش به وخلص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضي عليه قال موسي هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) اوحى الله الى موسي بن عمران وعزتي وجلالي لو كانت النفس التي قتلت اقرت لي طرفة عين اني اله خالق رازق لازقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لي ساعة واحدة اني اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطي لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلي فلما قتله اصبح في المدينة

خائفا

نصرانى يقال له سيدوك وكان ذا مال كثير وغلمان وكان قلبه رقيقا للاسلام فمضي مارا بتلك الحربة فسمع بكاء المرأة ونحيبها فطاش عقله وقال لبعض غلمانه ائتوني بهذه المرأة فذهب غلمانه اليها واحضروها بين يديه فنظر اليها ودموعها تجري على خدها فقال ما يبكيك ايتها الشريفة فقالت ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وقصت عليه قصتها فقال سيدوك لغلمانه أعطوها الف دينار وبدله من القماش قال فاعطوها ذلك فاخذتهم المرأة ودعت له بالاسلام وذهبت الى بناتها فاشترت لهن بدينار من ألوان الطعام ودخلت اليهن فاكلن وشبعن ثم قالت اللهم ارزقه من نعمائك في الجنة ثم فصلت لبناتها من ألوان الثياب قال فلما كان الليل راي القاضي في منامه كان القيامة قد قامت ثم أخذ القاضي ومضى به الى الجنة وجيء به الى قصر عالي البناء وهو من ذهب احمر شرافيه من الدر الابيض يضيء بين كل شرافتين جارية من الحور العين اشرق من الشمس وابهى من القمر فلما رأوه صاحوا في وجهه

خائفا يترقب الاخبار فأتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا نرخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسي من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسي وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسي فمديده وهو يريد ان يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين ففر الاسرائيلي من موسي وظن انه يبطش به من أجل انه اغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومديده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى اراده ولم يكن اراده وانما اراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل احرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وامرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسي يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصي المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان اول من صدق بموسى وآمن به (ويروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما امر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر اين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقول لترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسي مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى ارض مدين في ثمان ليال نزل في اصل شجرة واذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان اى تحبسان اغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء لانا امراتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا اغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقي من حياضهم وابونا شيخ كبير تعنيان شعيبا (وروى) حماد بن سلمة عن ابي حمزة عن ابن عباس قال اسم ابي امراة موسي الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن اخي شعيب النبي عليه السلام واسم احدي الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهي امراة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على راسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتي يرفعوها عن راسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورايتها قال فرفع موسي الصخرة عن راسها واخذ لهما وقال لهما قدما غنمكما فقضي لهما اغنامهما حتى اروياها فرجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسي ولو شاء

وقالوا يا محروم كنا لك كلنا
وكان لك هذا القصر وهذه
الجنة بما فيها من النعيم
المقيم والان صرنا لسيدوك
النصراني ثم طردوا القاضي
واخرجوه من الجنة
وأروه مقامه في النار قال
فانتبه القاضي فزعا مرعوبا
وهو يقول ياويلتاه على
ما فرط مني ثم خرج من
وقته مسرعا حتى جاء الى
بيت سيدوك النصراني
وطرق عليه الباب فخرج
له غلام من غلمان سيدوك
النصراني وقال من بالباب
فقال القاضي فرجع الغلام
وأخبره ولا ان القاضي
بالباب فاذن له بالدخول
فدخل فلما رآه سيدوك
رحب به واجلسه وقال
ما حاجتك في هذا الليل
فقال له القاضي هل عملت
من خير في هذه الليلة فقال
سيدوك اني بت في هذه
الليلة سكران فمن اين لي
فعل الخير قال فلم يصدقه
القاضي وقال الذي عملته
في هذه الليلة بنيه بألف
دينار فقال سيدوك حرصا
على هذه الفضية اخبرني
حتى ابيعك قال فاخبره
القاضي بما رآه في منامه وما
وقع من القاضي فلما سمع
سيدوك النصراني هذه
الرويا وثب قائما على قدميه
واغتسل ولبس ثيابا جديدة
وجلس بين يدي القاضي

وقال امدد يدك فاني اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله ارسله جاء نا بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضي من عنده باكيا حزينا فانظر ياأخي الي البخل كيف جعل القاضي من اهل النار لبخله وجعل النصراني من اهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما اعجب هذا وما احسنه (وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا امشي على شاطيء النيل اذ رأيت عقربا يمشي فاخذت حجرا واردت قتله فهرب مني مسرعا حتي وقع في البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتي طلعت الى الجانب الآخر وانا انظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتي اتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد اتى اليه تنين عظيم يريد ان يلدغه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت الى ذلك الرجل فايقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما راى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت

السان ان ينظر الى خضرة اعمائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا اكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعنا الى ابيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة برد فها فكره موسي أن يري ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق قادا أخطات فارمي قدامي بحصاة حتي أنهج نهجا فانابني يعقوب لا ننظر الي اعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسي عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسي يا أبت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فاصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين وانما قالت القوي الامين لانه ازال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا ربعون رجلا فقال لها أبوها هبك انك عرفت قوته فما أعلمك بامانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال اني اريد ان أنكحك احدي ابنتي هاتين على أن تاجرني ثماني حجج الي قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاجلين قضى موسي قال اكملهما وأفضلهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء امرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا امر ابنته ان تاتيه بعصا ليعطيها موسي فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وامرها ان تاتيه بعصا اخرى فما زالت ترجع وتاتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها واراد ت ان تاخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب واعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى ان يردها عليه فتنازعا الى ان شرطا على أنفسهما ان يرتضيا حكم اول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشي فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسي على الارض فما لجمها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأي شعيب ذلك تركها له وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شعيب ماشاء الله ثم استاذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد اخبر بامر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسي الى البيت فالقاها وذهب ليا خذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب المقل لك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسي عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب * قالوا ولما خرج موسي من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسي على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال

مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ماوضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ماوضع للناس في الارض فبئر بروهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وماعلمي بها هنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل ابن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر و يصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها و يقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فاورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقي وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق و بداله فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب و يطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه و يدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ماتريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية

شره ثم قصصت عليه القصة فاطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن اطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ماعصيتك بعد هذا اليوم ابدا تم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه (وحكى عن ذي النون المصري أيضا رضي الله تعالى عنه انه قال بينا انا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى شاب في الطواف من احسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يضحك في طوافه و يقول يامولاي هذه حضرة من يفتخر بعزك ولا يأنس بسواك قال ذو النون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبي ومن الذي تعني بهذا الكلام وانه يفتخر فقال ياعم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشي ويتبختر في مشيه واثوابه تجر على الارض فقلت له ياحبيبي ومن يكون هذا الشاب فقال ياعم هذا عبد لامير مكة يفتخر بكونه عبد لامير مكة فكيف لا افتخر وانا عبد الملك المتعال الذي أمير مكة عبده والسلاطين واهل السموات والارض تحت قضائه

والثنين مقتولا فعلم موسى ان في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذه ما أرب موسى اذا كانت في يده * وأما ذا ألقاها فيرى انها كانت تقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فما وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صرير ينخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته ثم بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها لتقعقع وثمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم ورده تسع سنين قال له شعيب اني وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما * فلما قضى موسي الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان في ايام الشتاء ومعه امرأته واغنامه وهي في شهرها لا تدري أتضع ليلا او نهارا فانطلق في برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب اخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسي في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد واظلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر واخذ امرأته الطلق فعمد موسي الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم اخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا او حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأي نارا عظيمة ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسي منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسي فنظر فلم ير احدا فنودى اني انا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه ان ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا ان روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوي قلبه فلما تاب اليه عقله نودي فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوي وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهاني قال حدثنا يحيي السدي قال حدثنا احمد بن بجدة قال حدثنا الجمالي قال حدثنا عيسى بن يونس

وقدره قال ذو النون فدنوت من ذلك الشاب المعجب بنفسه وقلت له يا هذا كم تتبختر وانت عبد لامير مكة وهذا الشاب متاخر وهو عبد مالك السموات والارض ويحك تاخر عنه فهو احق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشتري نفسه من سيده امير مكة وتصدق بجميع ما معه وما تملكه يده ولبس مثل ما كان على الشاب صاحب المدرعة الصوف وأقبل يطوف بالبيت في اليوم الثاني قال ذو النون فلما رآني قال ياسيدي أما تعرفني فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الذي كنت بالامس افتخر بعبودية امير مكة فانا اليوم أفتخر بعبودية ملك السموات والارض ثم قال يا سيدي اترى مولاي يقبلني على ما كان مني من تلك الذنوب قال ذو النون فقلت نعم أبشر فانك اليوم حبيب رب العالمين أما علمت انه ملك يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه فقال الشاب الآن طيبت قلبي بعدما

عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كي تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من امارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادي وقال اهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تاويله في المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل اهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا لدهشته وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فما رمحجنها عرفاها في ظهرها وهي تهتز لها اياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأى موسى امرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى ازيا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة في امر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل ان يصل الى فرعون لكيلا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصاي فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلفها على يده وهولها هائب فنودي ان احسر يدك فحسرها عن يده ثم ادخل يده تحت لحييها فلما ادخل يده قبض فاذا هي عصاه في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده في جيبه ثم أخرجها فاذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى اني اوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دوني ولا ينبغي لمن بعدك ان يسمع كلامي وانت في اقرب الاماكن مني وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بالخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له يا موسى انطلق برسالتي وانت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني وانى احلف بعزتي وجلالي لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلواذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عيني وهان على وصغر عندي ووسعه حلمي وانا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لي وانا خالق الغنى والفقير لاغني الامن اغنيته ولا فقير الامن افقرته فابلغه رسالتي وادعه الي عبادتي وتوحيدي والاخلاص لي وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتي واعلمه انه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وبجمله في خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شيء الا بعلمي واخبره بأني من العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة وقل له اجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك في طول هذه المدة وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال اجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله تعالى

كان أنصدع فجزاك الله عني خيرا قال ذو النون فلما كان اليوم الثالث طلبته فلم اجده فسألت عنه فقال لي رجل امض معي الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فتأسفت عليه أسفا شديدا وسألت عنه فقيل لي انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبكى على نفسه طول ليلته هذه فاصبح كما ترى قال ذو النون وعظناه فاصلحنا امره ولم يبق احد بمكة حتى حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان بغير داع لهم وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا من عنده اخذني البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته في المنام وهو في احسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآني قام الي واعتنقني وقال يا سيدي أما تعرفني قلت بلى ما فعل الله بك قال غفر لي وتجاوز عني وقال يا عبدي هذه جنتي وقد أبحتها لك فدونك ما شئت فانا اليوم في مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين (وحكي عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال ركبت في مركب سنة من السنين الى بيت

بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسي فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر في قلب موسى ان فرعون في باس عظيم وجند كثير وانا واخي وحيدان فريدان فقال الله تعالي له انكما جندان عظيمان من جندي وانا معكما اسمع واري وابصر كما واكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت ان آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة بادني ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلو شئت ان أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما يبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبي في أوليائي وأصفيائي اذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل واعلم انه لا يتزين احد من عبادي بزينة هي ابلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه في تلك المدة مائة الف كلمة وار بعة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسي عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع وانى كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عتيقا فلما نزل موسي عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده واراد ان يختنه فامر الله تعالى ملكا فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتي جاء به الملك ملفوفا في خرقة وناوله الى موسى فاخذ حجرين فحك أحدهما بالآخر حتي حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من الختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل اهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فاحتملهم ورد هم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه ببني اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الي مصر لموسي قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد ويقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر اوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تحزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره انه قد جعله وزيراله ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متنكراً الى شاطيء النيل ليلتقى موسى تلك الساعة قال فخرج هرون واقبل موسي فالتقيا على شاطيء النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وانهار ذات مزارع وارض واسعة في ربض لكل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى ابواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقي موسى بهرون وكان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤوسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على

وجوهها

الله الحرام وكانت معي زوجتي وكانت حاملا فبينما نحن سائرون اذ كسرت بنا المركب فنجوت أنا وزوجتي على لوح من ألواح السفينة فبينما نحن على ذلك اللوح اذا بها قد ولدت غلاما فصاحت بي يا رجل ادركني فاني عطشانه فقلت أما ترين حالنا وما نحن فيه من الغرق ثم رفعت بصري الى السماء واذا برجل صالح في الهواء وبيده سلسلة من ذهب فيها ركوة من ياقوتة حمراء فيها ماء اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من العسل فقال لي هاك اشرب فاخذتها منه وسقيت المرأة وشربت فاذا هي اطيب رائحة من المسك فقلت له من انت يرحمك الله فقال عبد من عباد الله تعالى فقلت له بم وصلت الى هذه المرتبة فقال تركت هواى لهواه فاسكنني في الهواء ثم غاب عن بصري فلم اره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال كان عندنا رجل حداد كان يدخل يده في النار ويخرج بها الحديد المحمى ولم تمسه النار فقصده رجل لينظر صدق ذلك الامر فلما دخل البلد سأل

وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست في الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها وداية يدودونها أى يغرونها ويسلطونها على الناس فلما اصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسي وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الي منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقام عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها الرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذي فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم واشنع وافظع مما أصابنا في الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهي الى فرعون قال السدى باسناده سار موسي باهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهي لا تعرفه فاتاها في ليلة كانوا يا كلون فيها الطفيشل فنزل في جانب الدار فجاء هرون فلما ابصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسي يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فابيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فاتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابي في هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون واخبره بما سمع وقال له ان هنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترىء احد ان يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما إلها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى في هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله يتذكر او يخشي فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر او يخشى وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا يقول أهلكته قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسي وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسي من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسي من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن تعيبه قال موسي فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من

عن الحداد فدل عليه فلما نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما وصف له فاموله الرجل حتى فرغ من صنعته فاتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل انى ضيفك فى هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فمضي به الى منزله وتعشي معه وبات هو واياه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل فى نفسه لعله استترمني فى هذه الليلة فبات عنده ثانى ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخى انى سمعت ما اكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخى انه كان لى حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك انه كان لى جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها مرارا عديدة فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتى واذا بقارع يقرع الباب فخرجت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت

الخاطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم اقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا تنتزع ابناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي انما صيرني اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم إلها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره واحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا ينصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان اكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا اومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فاخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فادخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فاوحى الله لموسى ان قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا باطريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فاتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفي بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فاتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

﴿ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان

يا أخي أصابني جوع شديد فهل لك ان تطعمني لله فقلت لها ما تعلمين ما أنا فيه من حبك وما أقاسيه من أجلك فما اطمعك الا ان مكنتيني من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الي وقالت لي كالمرة الاولى فاجبتها مثل جوابي الاول فدخلت وقعدت في البيت وقد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا إلا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت يا اخي اعيتني الحيل ولم اقدر على التوجه لاحد غيرك فهل لك ان تطعمني لله فقلت ما لم تمكنيني من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام فقمت واضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تداركني لطف الله تعالى وقلت في نفسي

الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر إذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لانغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين الفا وقال عكرمة سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين الفا والجامع لهذه الاقاويل ما روي ان فرعون جمع السحرة وهم سبعون الفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة باقصي مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لا مهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فاتياه وصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنتقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فاجابهما ابوهما وقال انظراهما اذا هما نائما فاذا قد نما ان تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع اهل الدنيا ثم انهما أتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا فالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيدهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه اخوه هرون حتى أتيا المجمع وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه فقال موسي للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعي السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم نر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيرا فلما ابوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسي بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسي فقال موسي والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد

ويحك يا هذا ان هذه إمرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لا قدرة لها عليه وهي تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنتهي عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم اني تائب اليك مما كان مني اني لا أقربها في معصية أبداً فدخلت اليها وهي تأكل فقلت لها كلي ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والآخرة قال فتركتها انا كل وقمت لازيل النار وكان ذلك في زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمي فلم تحرقني فدخلت اليها وانا فرح مسرور وقلت ابشري فان الله تعالى اجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريحني مرادي فيه فاقبض روحي هذه الساعة فقبض الله روحها وهي ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديثي يا اخي والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(وحكى عن بعضهم عفا الله تعالى عنه) انه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف في الجبل لا يراه

عادت حيات وماعصاى هـذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لاتخف انك أنت الاعلى وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسي ثم انه ألقي عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم مايكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على اربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو اعظم واطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان تلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له فاسعته اثنا عشر ذراعا وفيه انياب واضراس لها فحيح وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ماألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون انها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتي لم ير في الوادى لا قليلا ولا كثيراً مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطيء بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك اربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك اربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ماغاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ماغلبنا ولا خفى علينا امره ولو كان سحرا فاين حبالنا وعصينا فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسي وهرون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وغادور وحفظ وخطط ومصفاوهم الذين آمنوا حين رأوا مارأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك اسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو اول من فعل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وامسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم ابى الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشر فتابع الله عليه الآية واخذه وقومه بالسنين الى ان اهلكهم ثم ان موسي عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بني اسرائيل فاخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت اول مرة وشتت الله على فرعون امره ولم يجد الي موسي سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الي ان صاروا ظافرين

﴿ الباب الثانى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسي التابوت حين ولدته والقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى ان ظهر موسي على السحرة فاظهر حزقيل امره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم واما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون

احد من الناس ولا يرى احدا وعنده عين ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويقتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر عن العبادة وعليه انوار السعادة فسمع به موسي عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسي عليه السلام وقال له ياهذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يانبي الله أخاف أن أؤخذ على غفلة فيقضى نحبي فاكون مقصرا بخدمة ربي فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك ياهذا فقال نعم سله ان يطيني رضاه ولا يشغلني باحد سواه حتى يقضى نحبي والقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام خالقه نسى كلام العابد فقال الله عزوجل ياموسى ماقال لك عبدى العابد فقال موسى يارب انت اعلم بما قال فقال الله تعالي ياموسي اذهب اليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار فانه من اهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فاتاه موسي عليه السلام واخبره بما قاله

وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة ففلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يديها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل ربي وربّ أبيك فقالت لها لا اخبرن بذلك أبي فلما اخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي وربك الله فامر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بها وبولدها ان يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فالقوا واحدا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولد اصبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد اربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى ﴾

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئزرها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى ان قتل فرعون امرأه حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت اولتكفرن بالله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين اربعة اوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها التدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى ان ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فارحى الله اليها ان ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من درة فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

﴿ الباب الثالث عشر في بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته انه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الامرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنخع ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة قالوا ولا بلغ من املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون مولاه وما سبق من ذنوبه وخطاياه فقال العابد مرحبا بقضائه وحكمه وكل شيء بعين قدرته ثم بكى وقال يا موسي وعزته وجلاله ما برحت عن بابه ولو طردني ولا حلت عن جنابه ولو احرقني ومزقني ثم انشد يقول من الدوبيت

لو قطعني الغرام ارباارربا
ما ازددت الى لقائك الا حبا
مازات به أسير وجد وضني
حتى يقضى على هواه نحبا

قال فلما صعد موسي عليه السلام الي المناجاة قال إلهي انت اعلم بما قال عبدك العابد فقال الله عز وجل يا موسي اذهب اليه وبشره انه من اهل الجنة وقد ادركته الرحمة والمنة وقل له تلقيت قضائي بالصبر والرضا ورضيت مني باسعب الحكم والقضا فلو ملأت ذنوبك السموات والارض والفضا وملات جميع الاقطار لغفرتها لك وانا العزيز الغفار قال ففرح موسي عليه السلام واخبره بما قاله العزيز العلام فخر العابد ساجدا لله تعالى وحمد ربه فمازال في سجوده حتى قضى نحبه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وغفر لنا وله آمين

(وحكى عن الضحاك رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة اريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فاذا بشاب حسن الثياب نظيف الاثواب في بعض أرجاء المسجد ساجد لله تعالى وهو يجود بالبكاء فلما شككت انه ولي لله تعالى قدنوت منه لاسمع منه ما يقول فاذا هو يقول عليك ياذا الجلال معتمدي طوبى لعبد تكون مولاه طوبى لمن بات خائفا وجلا يشكو الى ذي الجلال لواه وما به علة ولا سقم

اكثر من حبه لمولاه
اذا خلا في الظلام مبتهلا

أجابه الله ثم لباه

قال ولم يزل يكرر من قول عليك ياذا الجلال معتمدي وهو يبكي وانا ابكي شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب لبيك عبدي فانت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه صوتك تشتاقه ملائكتي وذنبك الآن قد غفرناه قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين في حالة النوم او في غيبة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له بارك الله لك في لبيك وبارك فيك من انت ترحمك الله فقال راشد بن

ار بعمائة سنة لا يري مكروها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم اوحي ليلة لما ادعي الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه فلما عاين من أمر موسي ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد اركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسي واني لاظنه كاذبا فامر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك احدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره واستدراجه منه وأتاه الامر على ما يريده الى ان فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان دعه وما يريد فاني مستدرجه وآخذه بغتة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يناله الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعته ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي ألف رجل قالوا ولم يبق احد ممن عمل فيه الا أصابه موت او حريق او عاهة فما من نجار او حداد او بناء الا يبست يده واما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم واما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وانت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم قبحا لك وبغضا لك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدرك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته او نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم انه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

﴿الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا موسي تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) اما السنون فكانت بواديهم ومواشيهم واما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ما هو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى

ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قلابة الطوفان الجدري فهم اول من عذب به فبقي في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن اسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال ابو عبيدة هو الدبا وهو ضرب من القردان قال ابو العالية ارسل الله الجنان على دوابهم فاكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن ابي الصلت الثقفي

ارسل الذر والجراد عليهم وعذابا فاهلكتهم دبورا

(باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فامر فرعون قومه ان يكلفوا بني اسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشي واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ماتأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نطعم اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء ارسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه اراضيهم وركد فلم يقدروا على ان يحرثوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى اشر ما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة اوما يسرنا انا لم نمطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلي الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فجزعوا وضجوا وقالوا

سليمان فعرفته لما كنت اسمع من امره وخبره أو كنت تمنى لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسره الله تعالى لي فقلت له هل لك ان تصحبني فقال هيهات وهل يانس بالمخلوقين من يتلذذ بمناجاة رب العالمين اما والله لو خرج على عصرنا هذا أحد من أصحاب النيات الصحيحة لقالوا هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ثم غاب عن بصري فلم أره فاشتقت مرافقته ثم سألت الله تعالى ان يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الي تبسم وقال هذا لطف العلماء او تواضع الاولياء ثم قام الي واعتنقني وسلم علي وقال هل سألت الله تعالى ان يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له برحمك الله اخبرني عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة فظننت انه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما افاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر

يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بافواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثر حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغتم لذلك فارسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيئا من الجراد أو لا فاتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه * وباسناده عن أبي امامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سالت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت يا أبا المضيء ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطيء أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي كان يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر انه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيثما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين سمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليها كلها وجده ملىء قملا فلما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانها الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض واطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل

من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم اره رضي الله تعالى عنه

(وحكى عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) انه قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادي رضي الله تعالى عنه فرآني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل ادلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقي عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت اقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ راسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل سعيك حتى تفرغت الينا ثم اطرق راسه فقمت بين ايديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظني بشيء يا سيدي انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا

الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد اهلك زرعنا وحروثنا وأذهب اموالنا فلما عمى أن يفعل اكثر من فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما فاوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالعقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلات منه أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان احدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع ان ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان احدهم يفتح فاه لاكلته فتسبقه الضفدعة فيه وكانوا لا يعجنون شيئا من العجين الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلات منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلفوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت واطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور في التنانير وهي مسجورة فاتاها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها باقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسي وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فاخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا به فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروي ان موسى امر ان يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وارسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعدما اقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسي فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسي ان يذهب الى شاطئ البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها دما وما يسقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما احمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسي فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تاتي الى المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها او تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في في فتاخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارا ماؤها ملحا اجاجا ومرارا زعافا فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن اسلم) كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى امر ان يضرب النيل بعصاه ضربة اخري فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالي فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسي في آل فرعون

لسان الا ظه فاقمت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم آكل ولم اشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لا بد من سؤالهما في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم ارهما فحزنت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وببركاتهما آمين

(وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال وصف لي رجل من السادة باليمن من الخائفين سما على المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وباللب والحكمة والخشوع موصوف قال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي قصدت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بموعظته وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويانس بالوحدة كانه قريب عهد بمصيبة فقيل له ان يرفق بنفسه فلم يجب وانشد يقول شعرا

أيها العاذلون في الحب مهلا
حاش لي عن هواه اني اسلا
كيف أسلو وقد تزايد وجدى
وتبدلت بعد عزى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامي
في هواكم وحبكم ليس يبلى
حبكم قد سري لوسط فؤادى
من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولم يزل الشاب في جملتنا حتى انتهينا الى اليمن فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كانه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدي له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب ياسيدى ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بي جرحا أغفل وداء تمكن واعضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وانشد يقول شعرا

ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لي بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لي فاني
اعجز الحاذق والاطباء طبي
آه واخجلتي وطول حزني
من وقوفي اذا وصلت لربي
وانقطاع الجواب مني ولما

عشرين سنة بعد ماغلب السحرة بما يهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال اصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لايزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياقوت وأنواع الحلى والجواهر مالا يحصيه الا الله تعالى وكان اصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام اني مورث بني اسرائيل مافي ايدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تتكئف عليه أنت وقومك تشكرونني وتذكرونني وتعظمونني ذلك اليوم وتعبدونني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلي وانواع الزينة فانهم لايمنعون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت وألقذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما امره الله تعالى فامر فرعون بزينة اهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبني اسرائيل لما اراد الله بذلك ان يفئ على موسى وقومه افضل اموال اعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب فطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التي بقيت في أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظي سألني عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التي اراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لايكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان اصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا اموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من اهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وماشككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في ارقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ماخلا الذي بيد بني اسرائيل من الحلى والجواهر وانواع الزينة وقال ابن عباس اول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فلق البحر لهم)

قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين اراد اظهاره على عدوه ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة بيوت في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فاني مرسل على أعدائكم عذابا واني سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه الدم وسآمرها ان تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم واموالهم فتسلمون انتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي بهم الى البحر فياتيك أمري فامر موسى بني اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة

واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج ارسل فرعون في أثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس واشرقت كما قال الله تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورات بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى اين ماوعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا ولقد اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه ياقوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا ولما سار موسى ببني اسرائيل من مصر واراد ان يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسالهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا اخبرني ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك عليه اتعطيني ماسالتك فابى عليها وقال حتى استاذن ربي فامره ربه ان يعطيها ما اعطاها ذلك فقالت له اني اريد ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبيرة لا استطيع ان امشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى امر موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك * اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن ابي موسى الاشعري عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله ارحلها واعتز بحلبها اهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوزا ببني اسرائيل كانت احسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه

وبلائي قد جل عن كل خطب

فقال له الشيخ دل عما بدا لك فقال الشاب يا سيدي ما علامة الخوف من الله تعالى فقال ان يؤنسك خوفه من كل خوف قال فخر الفتى مغشيا عليه فلما أفاق قال يرحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله تعالى فقال اذا انزل العبد نفسه من الدنيا منزلة العليل فهو يحتمي من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الضنى قال فصاح الشاب صيحة وغشي عليه فلما أفاق قال يا سيدي ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب احب يا سيدي ان تصفها لي فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شق لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت ارواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاكل الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال

بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فاجتهل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى اليه ان كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا اباخالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي اقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وارسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن عباس يساله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (اخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر بني اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذ يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وذلك انه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى ان يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه ان اترك البحر رهوا اى ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر راوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لمحمد بى حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا منى فاقتلهم فاقتحموا البحر فهاب قوم ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له انثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن اصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في اثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم فلما اراد فرعون ان يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد اتيت الى هذا الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى اخاف ولا آمن ان يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك اصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم اولهم ان يخرج من البحر امر الله تعالى البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم فغرقهم اجمعين وذلك بمرأى من بنى اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما ادرك فرعون الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه

هكذا مصرع الخائفين رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وحكى عن أبي القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت في مسجدى واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد في ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى يا أبا القاسم قد آن لماءاتك تعالى ففسلني وكفني وصل على وادفني فاذا فرغت من امرى فسيدخل عليك شاب مصرى مغن فاذا حضر اليك فادفع له مرقعتى وعصاى وركوتى هذه قال الجنيد كيف يكون ذلك الى مغن قال يا جنيد انه بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى واقيم في مقامى قال فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته في التراب دخل علينا شاب مصرى وسلم وقال أين الوديعة يا أبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال يا سيدى انى كنت في مشربة بنى فلان فهتف بى هاتف ان قم الى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التى تركها لك فلان وهى كذا وكذا فانك قد جعلت مكانه من الابدال قال الجنيد فقمت اليه فدفعت اليه الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة واخذ الركوة والعصا

فتياه وترقيعه الذى فيه وقال انما هذا فتياك الذى افتيت ثم جعل يدس فى فيه من حما البحر مخافة ان يسيد تلك الشهادة وفى الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت احدا من الخلق ما بغضت رجلين اما احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين ابى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولو رأيتنى يا محمد وانا آخذ من حما البحر وأدسه فى فيه مخافة ان يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر انه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شىء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببنى اسرائيل البحر اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (اخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما اغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بنى اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون يغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر فى قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة اتيانه الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر وقال فى موضع آخر واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بنى اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذى وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتى طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (قال ابو العالية) اخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندى من رائحة المسك كانت فتنتهم فى العشرة الايام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة واتممناها بعشر يعنى من ذى الحجة (اخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن ابى هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر أى من ذى الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة فلما مضت اربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ليقات ربه فلما

وتوجه نحو الشام فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال كان لى مسجد وكان بجانبه جار شرطى كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته الوفاة اتوا به الى مسجدى لاصلى عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عنى وصلوا عليه فى أى مسجد كان بعيدا عن مسجدى فاخذوه ومضوا به من عندى فلما كان الليل رأيت الشرطى وعليه ثياب خضر وهو يتبختر فى الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذى طردتك بالامس فقال نعم فقلت له أخبرنى بحالك فقال لما كان من امرى ما كان وطردتنى وامتنعت من الصلاة على دخل عندى رعب شديد فلما مضوا بى من عندك سمعت قائلا يقول لا تحزن فانك قادم على كريم فزال ما كان عندى من الخوف فلما وقفت بين يديه جعلت اعتمادى عليه فقال الله عز وجل يا عبدى ما قال الجنيد فقلت يا سيدى انت اعلم بمقالته فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى ان كان قد طردك الجنيد فقد قبلتك فانا أقبل

أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وادناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى انظر اليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فمند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت أحب الى من أن أعيش ولا اراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت أن الله يريد ان يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه الله بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) في معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب اجمع وقال ابو بكر بن عمر الوراق حكى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من بين سبعين الف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال ابو بكر فعذب اذذاك كل ماء وافاق كل مجنون وبرىء كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة مالابن عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) ان ملائكة السموات والارض اتو موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى اربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجيني من مكانى الذي أنا فيه شىء ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سئلت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح

والتقديس

المطرودين وأعفو عن المذنبين أمضوا بعبدى الى الجنة برحمتي وانا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكى عن أبى العباس الخضر عليه السلام) انه قال كنت بصنعاء اليمن فى مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان منا كابر العلماء والاولياء اسمع منه مايقول فنظرت الى شاب منفرد بناحية من المسجد مختل بنفسه واضعا رأسه بين ركبتيه فاتيت اليه ووكزته وقلت ياهذا لم لا تحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع منه مايقول فقال قد سمعت من الله عز وجل فاد هشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فمن انا فقال ان صحت الفراسة فانت الخضر عليك السلام ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به آمين (وحكى عن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه) انه قال غزا والدي سنة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذى كان تحته فمات فقال والدى يارب اعرنى اياه حتى ارجع من مجاهدتى الى قربتى فليس معي غيره قال فما تم كلامه حتى قام المهر في الحال حيا

والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مر وا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي أرادر ؤيتي فاعترضوا عليه فهبطوا وفي يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب ناراً أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبداً لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه بصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري هل أنخلص مما أنا فيه أو لا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربي وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدل شيء ولا يقوم لك شيء تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدي) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرني) الحسن باسناده عن عروة بن وديم اللخمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى ان يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها الثقل العهود والمواثيق التي فيها فقالت يا رب كيف أطيق ان احمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يا رب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم

باذن الله تعالى لي ففرا والدي عليه فلما رجع قال يا ولدي خذ السرج عن المهر فعلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا ولدي انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضي الله تعالى عنه (وحكي عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) انه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل اتى النباش الى قبرها ونزل اليها فانطفها الله عزوجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي ولمن صلى علي قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى اموات المسلمين آمين (وحكي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجلسنا

يتفكرون كما نزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسي وذلك عند صلاة العصر فقبض موسي على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتي هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله يا موسي انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

(فصل فى نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسي نبيه وصفيه فى الالواح

وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسي بن عمران أن سبحني وقدسني لا إله إلا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئا واشكر لي ولوالديك الى المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم إسمى ولا تشهد بما لا يعني سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساقط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان الارض إلا ماذكر عليه اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى واحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد اعطاها الله جميعها لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمان عشرة آية وهى قوله تعالي فى سورة بنى اسرائيل وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (اخبرنا) ابو عمر محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا من العالمين قبلى قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى بقوة وجد ومحافظة وثبوت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال احمد الذى اثبت اسمه على عرشي قبل ان اخلق السموات والارض بالفي عام وانه نبي وصفي وخيرتى من خلقي وهو احب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد احب اليك من جميع خلقك فهل خلقت امة اكرم عليك من امتى قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتني اراه واراهم قال يا موسي انك لن تراهم ولو اردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال يا رب فانى اريد ان اسمع كلامهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجبنا كلنا من اصلاب آبائنا وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فقال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوى سبق عقابى قد اعطيتكم من قبل ان تسألونى وقد اجبتكم من قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم من قبل ان تعصونى من جاء يوم القيامه بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسي الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (اخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المغافرى عن أبيه ان كعب الاحبار رأي حبرا من اليهود يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما

ابكاك

اذ قد تهيأنا للخروج للغزو فى سبيل الله تعالى وقد امرت اصحابى ان يتهيؤا فقر أرجل منهم فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد اشهد انى بعته نفسى ومالى بان لى الجنة فقلت له ياغلام ان حد السيف اشد من ذلك وانت صغير السن يخاف عليك ان لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال الغلام ياعبد الواحد ابايع الله تعالى بالجنة ثم اعجز اشهد الله انى بعته نفسي ومالي فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله في سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان اول من طلع علينا هو فقال السلام عليك ياعبد الواحد فقلت وعليك السلام يا حبيبي ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتي انتهينا الى بلاد الروم فبينما نحن جلوس اذا به قد اقبل وهو ينادي واشوقاه الى العيناء المرضية فقال اصحابى لعل هذا الغلام وسوس

أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ان موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم امتي قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى ان موسى نظر في التوراة فقال اني اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا ارادوا امرا قال افعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر والقاه ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسي قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسي نظر في التوراة فقال اني أجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسي قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسي نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة اصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحر من وراء الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد ياموسي قال الحبر نعم قال فلما عجب موسي من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسي ياليتني من اصحاب محمد فاوحي الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسي اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسي كل الرضا (وقال ابن عباس) لما صار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت أبتغي الهدى قال وجدته ياموسي قال موسي يارب اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك أقضي قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدي او ترد عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غير وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسي يارب اي الاعمال

واختلط عقله قال عبد الواحد فقلت له ياحبيبي وما هذه العيناء المرضية فقال الغلام ياسيدي اني غفوت قليلا فرايت في منامي كانه قد اتاني آت فقال لي اذهب الى العيناء المرضية ثم اخذ بيدي وهجم بي على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطيء ذلك النهر جوار عليهن من الحلي والحلل مالا اقدر ان اصفه فلما راينني استبشرن بي وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت امامي فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة وجوار حسين رأيتهن فتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية ففلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية ففلن وعليك السلام ياولي الله نحن خدمها واماؤها امض أمامك فمضيت امامي فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب تلك الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل مالا أقدر ان اصفه فلما رانني استبشرت بي ونادت من في الخيمة ايتها العيناء المرضية هذا

أحب اليك ان أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه ومؤمن في خلق حسن قال فاي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد آتاهم بالتوراة ابوا أن يقبلوها و يعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبريل ففلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال ابو صالح عن ابن عباس امر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم ينظرون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود ولا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك وروي قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة ان يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن ابي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا ابو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل ﴾

قال أهل السير واصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيئا الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيولهم قوم فرعون ريحها فخاضت في اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين امر بذبح اولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه و يسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق و يقال ان جبريل عليه السلام وكل السامري وعلا لبونا تسقيه اللبن بالغداة والعشي

حتى

بعلك قد قدم قال فدنوت من تلك الخيمة ودخلت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب احمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر فلما رايتها افتتنت بها فقالت مرحبا بك يا ولي الله قد دنا لك القدوم علينا قال فتقدمت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك ان تعانقني لان فيك روح الحياة ولكن انت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت من منامي وليس لي صبر يا عبد الواحد عنها قال عبد الواحد فما فرغ من كلامه حتى اقبلت علينا سرية من العدو فحمل الغلام فيهم فعددنا تسعة رجال قتلهم وهو العاشر فجئت اليه وهو يتشحط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد فحزنت عليه وانشدت

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي و يصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تأمن النارا

﴿ وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه ﴾ انه

حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بنى اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان ابو عمرو السكندري يقال دابة موسى وفرعون دابة موسى أزاهل بهشت وفرعون أزاهل دوزخ ودابة السامرى وجبريل دابة جبريل أزأهل بهشت والسامرى أزأهل دوزخ بود قال قتادة والسدي كان عظيم من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسي ظفر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسي لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة واتمها الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسي اخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى ففل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فاتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم ان تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الاية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضي من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد واهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلي بايدي بنى اسرائيل فلما خرج موسي قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبي الله هل أقذفها فيه فظن هرون انه من الحلي يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلي فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) اوقد هرون نارا وامرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامري تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامري قال لهرون ألقى ما في يدى وهو يظن انه من تلك الحلي فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامري فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدي كان يخور ويمشي فلما أخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسي أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واخلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروي ان ابليس خار في وسطه ويقال ان السامري جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر في الارض واجلس فيه انسانا فوضع فمه في دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجههم حتى اضلهم وقال لهم ان موسي قد اخطأ ربه فاتاكم ربه أراد ان يريكم انه قادر على ان يدعوكم الى نفسه بنفسه وانه لم يبعث موسي لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسي من الشجرة قال على بن ابى طالب رضي الله عنه انما سمي العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسي اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بني اسرائيل الذى عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر الفا وكان مع هرون ستمائة الف فمكثوا عليه

(١) قوله وكان ابو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامرى من أهل جهنم اه

قال أصابتني علة فى ساقى سنة من السنين فمكثت اتحامل عليها للصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدنى وجمي منها فجلست ثم لففت ازارى في محرابى ووضعت راسى عليه ونمت فبينما انا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على راسي والجوارى من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي واحتملنى وانا انظر اليهن فى منامى ثم قالت للجواري اللاتى معها افرشن له ومهدنه ووسدنه قال عبد الواحد فقرشن تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا امثلا ووضعن تحتي مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتى حملنى اجلسنه على الفراش رويدا قال فجلست على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما تأمر به من شأنى ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الي صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامي كاني والله قد نشطت من عقال فما شكوت بعد ذلك اليوم بهذه العلة أبدا ولا ذهبت عن قلبي حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك

يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين واقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين ان يتولد له موسى فرقت بين بني اسرائيل وكاد له هائبا مطيعا وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (اخبرني) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى اربعين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وانعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال انا قال انت وعزتك فتنتهم اذ هي الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا ابا الاحكام اني رأيت في قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يعزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى اصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال في المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به القى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذي كان فيها الا سدسها ثم اعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الداري) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبا من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية اما ان في غار من غيرانها رضاضا من الواح موسى وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا القت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل بيتي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما راي موسى ما صنع قومه من بعده عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر الفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذا رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت أمري هلا قتلتهم اذا علمت اني لو كنت فيهم لفاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون اخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بذوائبي اني خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا حزبين يقتلوا بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم أن موسى اقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول يعني أخذت ترابا من اثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم اخطؤا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فاي شيء نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أي ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله فجلسوا في الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان

الرجل

غير مضرور وهذا من مناقبهم عفا الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم (وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال سألت الله تعالى ليلة من الليالي ان يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى ياعبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت واين هي فقيل لى في بني فلان بالكوفة فخرجت الى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل الى هي امرأة عجوز مجنونه ترعي غنيمات فقلت اريد ان اراها فقالوا اخرج الى البساتين فانك تراها فخرجت فاذا هى قائمة تصلى و بين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشري ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأتني أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا فقلت لها يرحمك الله فمن اعلمك باسمي فقالت ياعبد الواحد أما علمت ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت مامن عبد اعطي شيأ فابتغي اليه ثانيا الا سلبه الله حب

الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل و بلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية الباقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح و يكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقى منهم مكفر ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد و يحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماء من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شارب الذهب فكان علما لجرمه فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيراً له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا يا موسي انا قد ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان موسي هم بقتل السامرى فاوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلمنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه فصار السامرى وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسي سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا و يتطهروا و يطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسي الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشي الجبل كله ودنا موسي ودخل فيه وقال للقوم ادنو وكان موسي اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بنى اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتي دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسي و يأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسي من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسي رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى

الخلوة معه وبدله بعد القرب وحشة ثم انشدت تقول

يا واعظا قام لاحتساب
يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب
لو كنت اصلحت قبل هذا
عيبك أو تبت من قريب
تنهي عن الغي والتمادي
وانت فى الغى كالمريب

قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها يا ميمونة انى ارى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت اليك عنى يا بطال فانى اصلحت ما بيني و بين سيدي فاصلح ما بين الذئاب وغنمي قال فمضيت من عندها وقلت من اطاع الله اطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم واسرارهم ومددهم آمين (وحكى عنه انه رضي الله تعالى عنه) انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم اجده ورايت الابواب مغلقة على حالها فلما اصبحت اذا به قد اعطانى درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص بقلم القدرة الربانية فقلت له يا غلام من اين لك هذا فقال يا سيدي لك عندي فى كل يوم مثل هذا بشرط انك لا تطلبني فى الليل

بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسي يناشد ربه حتي أحياهم الله لاجميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرني) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسي الى ربهم وأفضل

(باب في قصة قارون حين عصي ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا ابن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يخيب بنت شمويل ابن بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسي ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معني هذا البغي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (واخبرني) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسي فبغي عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغي عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان اغنى اهل زمانه وأبرهم كما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أي لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غراما يحمل ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الأموال فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسي يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وفي الخبر ان الله تعالى علم موسي الكيمياء فعلم موسي اخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندي أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر انواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما اخبرنا الثقفي باسناده عن أبي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني كان يقول تبدي ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فيخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا

فقلت له نعم فكان يغيب كل ليلة ويأتي بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما انا جالس ببيتي اذ جاءني بعض اصحابي وقال يا ابن زيد اما غلامك هذا فانه نباش القبور قال فغمني ما سمعته منهم وقلت لهم امسكوا فاني احفظه في هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فاشار بيده فانفتح له كل باب اشار اليه واذا نظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ ارضا فلاة فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال يا سيدي الكبيرهات اجرة سيدي الصغير فوقع عليه من السماء درهم فاخذه فتحيرت في امره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان مني ونويت عتقه ثم طلبته فلم اجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت اعرف تلك الارض فبينما انا متحير اذا بفارس قد اقبل على فرس اشهب فقال يا عبد الواحد ما سبب جلوسك ههنا فاخبرته بقصتي فقال لا تعترض اتدري كم بينك وبين بلدك فقلت الله اعلم

يؤتون بالطعام فقال له ابليس ياقارون قد رضينا ان نكون هكذا كلا على بني اسرائيل فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسب يوما وتعبد يوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قرون ابواب الدنيا فبلغ ماله اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت اربعمائة الف فى اربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال انشدنى ابو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا * أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغساله * تغسل ماقلت بصابون

فبغي قارون وطغي وتجبر حين استغنى واثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان اول طغيانه وعصيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال وكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك اول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبي يذكر لى عن مقاتل انه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام ان يأمر قومه ان يعلقوا فى ارديتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيط اخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لما أمرت بنى اسرائيل تعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكروني به اذا نظروا اليه ويذكروا اله السماء ويعلموا انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب افلا تأمرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير وان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير قال فدعى موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله امركم ان تعلقوا فى ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا بكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما امرهم به واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذا الا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان ايضا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فاتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست انا في شيء من ذلك وانا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى تريني يا نه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو احق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى والقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى باتباعه وجعل

فقال مسيرة سنتين للفارس المجد المسرع فدهشت من ذلك فقال لا تبرح من هذا المكان حتى يأتيك غلامك قال عبد الواحد فمكثت يومى الى ان جن الليل فما افقت الا وقد اقبل ومعه سفرة عليها من كل الطعام فقال لى ياسيدي كل ولا تعد لمثلها فاكلنا فلما فرغنا قال ياسيدى الكبيرهات اجرة سيدي الصغير واذا بدرهمين سقط في حجره فاعطانيهما ثم قام فصلى الى الفجر ثم أخذ بيدى وخطا بى خطوات يسيرة فاذا بى على باب داري فقال ياسيدى أنت تويت عتقي فقلت نعم انت حر لوجه الله تعالى قال وكان خلف باب الدار حجر عظيم كنا نغلق به الباب فقال ياسيدي خذ هذا ثمني وانت ماجور ان شاء الله تعالى واذا بالحجر صار ذهبا فدهشت من ذلك واسرعت نحو اصحابى لاقص عليهم ما رأيت فطرق الغلام الباب فخرجت اليه ابنتى الصغيرة وقالت ياعبد السوء اين والدى انت قتلته من أجل نبش القبور ثم لطمته على عينه لطمة ففقأتها فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتي

موسى يدار به للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله انزل الزكاة على موسى فلما اوجب الله الزكاة عليهم اتى قارون موسى فصالحه عن كل الف دينار دينار واحد وعن كل الف درهم درهم واحد وعن كل الف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تجيؤا ببغلانة البغي فنجعل لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فاتوا بها فجعل لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها انا آمونك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم واحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت ببغلانة قال انا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وانزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها بالله بالتوفيق وقالت في نفسها الان احدث اليوم توبة أفضل من ان أوذى رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف انه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدوك هذا قد اذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى كعابهم ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى جنوبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أحقابهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه قارون بالله والرحم حتى روي في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال احمد بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير واحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ابن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما

الصغيرة فقطعت يدها ثم أخذت في الاعتذار اليه فاخذ الغلام عينه بيده ورضمها مكانها ورمق بها الى السماء فاذا هي أحسن ما كانت ثم أخذ بيد ابنتي وتفل عليها فاذا هي كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت هذا نباش القبور لا نباش القبور ثم ذهب الغلام عن بيتي فحزنت على فراقه ولم أدر أين ذهب رضي الله تعالى عنه

(وحكي عنه رضي الله تعالى عنه) انه قال ركبت في مركب سنة من السنين ومعي جماعة من التجار فثارت علينا ريح شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ما ذا تعبد قاوما الى الصنم فقلت له ان الهك هذا مصنوع وما هو بالله يعبد فقال الرجل وما تعبدون انتم قلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقدست اسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه فقال من اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما أخبرنا بذلك فقال وما فعل بالرسول قلنا لما ادى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال وهل ترك الرسول عندكم

دعا على قارون ليستبد بداره واموالهٔ وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره واموالهٔ الارض واوحى الله تعالى اليه انى لا اعيد الارض لاحد بعدك ابدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وانذروه بأس الله كما اخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة واهلك اعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

(باب فى قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب
الى ان بلغ من امرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصده موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من اهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبي بنى اسرائيل سال ربه فقال يارب ان كان فى عبادك احد هو اعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادي من هو اعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام واذن له فى لقائه وروى هرون بن عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سال موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاى عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده عن ردي قال فهل فى الارض احد اعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا حيا هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسي وقومه على مصر واستقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سالتموه فنبيكم افضل اهل الارض وانتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة انعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك اين اضع علمى بل ان لي عبدا بمجمع البحرين اعلم منك فسال موسى ربه ان يريه اياه فاوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطىء البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطىء البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اى لصاحبه يوشع بن نون ابن افرائيم

من علامة للملك قلنا لم نر لك عندنا كتابا يسمى قرآنا فقال ائتوني بكتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا قال فاتيناه بالمصحف الشريف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة ثم قال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم اسلم وحسن اسلامه فعلمناه شرائع الاسلام وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالي صلينا العشاء واخذنا مضاجعنا فمال يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه اذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا يا عبد الله هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون وموﻻكم لا ينام قال فاعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لاصحابى هذا قريب عهد بالاسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعنا له ذلك فلما رآها قال ما هذ قلنا دراهم تنفقها قال لا اله الا الله دللتموني على طريق اسلكها ولم تسلكوها انى كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعني وانا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وانا اعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى انه فى سكرات قال فاتيت اليه وقلت له هل

ابن يوسف عليه السلام لا ابرح اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى المشرق قال قتادة وقال ابى بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة او امضى حقبا دهرا او زمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من الملح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا اى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك فروى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس راى اثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابى ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نعى صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى افضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبى توضا يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة اسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففرت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب انت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما التقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت اى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى نسيت ان اذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أى شىء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر فى البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر فى الماء من اثر جرى الحوت اخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أى نطلب فارتدا فارجعا على آثارهما الذى جاآ منه قصصا أى يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعنى الخضر عليه السلام

﴿فصل فى ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام واحواله﴾

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن الحسين الشرقى

قال

من حاجة فقال نعم فقضيت حوائجه وقمت عند رأسه فغلبنى النوم فنمت فرأيت روضة خضراء وفيها قبة عظيمة وفى القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهى تقول بالله لما عجلتم به فقد اشتد شوقى اليه فاستيقظت من منامى فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصلينا عليه ودفناه فلما نمت رأيته فى المنام فى تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون رضى الله تعالى عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أسير فى نواحى الشام اذ وقعت على روضة خضراء وفيها شاب يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز فى صلاته وكتب باصبعه فى الارض هذا الشعر

منع اللسان من الكلام لانه
كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لا تنسه واحمده فى الحالات

قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق انبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال انبأنا مكي بن عبدان قال انبأنا ابو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال انبأنا معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء واخبرنا ابو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال انبأنا ابو بكر محمد بن الحسن القصار قال انبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال انبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه اينما صلى اخضر حوله

﴿ فصل في بدء امر الخضر عليه السلام ﴾

يروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل عن يمينه اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في اهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال اصحاب الاخبار وكان ابوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فاعجبه حاله فالفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ واخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله ان يرزق اولادا فمرض عليه ابوه التزويج فابى ثم عاوده فمرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بامر ان انت سمعتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان افشيت سري عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت وماذاك قال اني رجل مسلم لست على دين ابي وليست النساء من حاجتي فان رضيتي ان تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان انت ابيت لحقت باهلك فقالت المرأة بل اقيم معك فلما أنت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله ابوه فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب ان تطلق امرأتك هذه واز وجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فمرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت اقيم معك فلبثا زمانا ثم ان اباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة وولود وقد كنت ولدت عند غيري ولست تلدين عندي فقالت امسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى اين توجه فندم أبوه على ما فعل فارسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني أقول لكم شيأ واحدا فاكتموه عني فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان ابيتم ذلك وافشيتم سري عذبكم الله في الدنيا والآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث ابي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا امري ولا تخبروا ابي انكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم وأخبروه بي اوذهبتم بي اليه قتلني وصرتم انتم مؤاخذين بدمي قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على ابيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم ومالي به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وان الخضر خاف ان يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم ابوه قال وان اباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها

قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت باصبعي في الارض

ومامن كاتب الا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لاغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعده ان لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون رضي الله تعالى عنه فمشيت الى شجرة فركعت عندها ركعات ثم اتيت الموضع الذي مات فيه الشاب فلم اجد له اثرا ولا رمت له على خبر رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين

(وعن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت ماشيا في ازقة البصرة يوما من الايام فرايت جارية من جواري الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فاتيت اليها وقلت ايتها الجارية ايبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعني مولاي كان مثلك يشتريني فقلت نعم وخيرا منك قال فضحكت وامرت بي ان احمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها اخبرته بذلك فضحك وامر ان ادخل فدخلت اليه وسلمت عليه

أنت صنعت هذا بابني حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته خبرها فقال يا هذه انا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك ان أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا انا مت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي ان يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله و يعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فامرها ان ترجع عن دينها فابت فامر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا القيتك أنت واولادك في هذا القدر فابت عليه فامر بولدها الاكبر فالقي فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فاراد وا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شانه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الحنة فلما أرادوا ان يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما سرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فاخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم و يروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من الواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما ان تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتاتيكما ارزاقكما وان شئتما ارددتكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء مما ترياني فاعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسالهن فقالت كل واحدة منهن اريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لها احملي هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من الواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا ارض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفنه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولما يات به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئا فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا اكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيئا فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان اهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع

فلما رآني قال ما حاجتك
قلت بعني جاريتك فقال
مولاها اتطيق اداء ثمنها
فقلت نعم قيمتها عندي
نواتان مسوستان قال
فضحك وقال كيف يكون
ثمنها عندك هذا القدر
فقلت لكثرة عيوبها فقال
وما عيوبها فقلت ان لم
تتعطر فرت وان لم تتك
بخرت وان لم تتمشط
وتدهن قملت وان عمرت
هرمت ذات حيض وبول
واقذار وحزن وغم واكدار
ولعلها لا تودك الا لنفسها
ولا تحبك الا لتنعمها الا تفي
بعهدك ولا تصدق في
ودك ولا تخلف عليها
احدا بعدك الا رأته دونك
وانا اجد بدون ما سالت
من الثمن في جاريتك
هذه جارية خلقت من
سلاسل الكافور ومن
المسك والعنبر والنور لو
مزج بريقها الجاج لطاب
ولو دعي بكلامها ميت
لاجاب ولو بدا معصمها
للشمس لاظلمت وكسفت
ولو بدا جبينها في الظلمات
لانارت واشرقت ولو
واجهت الآفاق بجليها
وحلاها لتعطرت
وتزخرفت نشات بين
رياض المسك والزعفران
وقضبان الياقوت
والمرجان وقصرت في
خيام النعيم وغذيت بماء

اهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوى بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما عين صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل ايتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فبأي شيء نجونا فاخبريني وانا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك ان تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين علي حتى يقضي من امرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبيناهي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك ربا غير أبي فقالت نعم هو ربي وربك وربك كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ماهذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما انتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا ان يكفروا فاخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان انت رجعت الى ديننا والا القيناك في القدر فقالت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر ببيتنا ان يحفر فيه حفرة ثم تامر بالقدر فتحمل بما فيها ثم ياتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بينهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدء امره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولي وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر اليسع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من اهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في محلته فخلد وهو في الحياة الي الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من ارض بابل (وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق واولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن اموص كان في عصر كرفشت بن كرارشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بايام الناس واخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى ابن عمران الذي امر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما بني في عصر متوشهر الملك وكان متوشهر الملك ملك بعد جده افريدون فدل هذا على خطأ من قال انه ارميا بن خلفيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى

التسليم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فانها حينئذ احق برفع الثمن من جاريتك هذه فقال الملك يا اخي فاين التي وصفت قلت الموجودة الثمن القريبة الخطب في كل زمن فقال ما قيمتها يرحمك الله قلت اليسير المبذول لنيل الخطير المأمول وهو ان تتفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك وان تدع طعامك فتؤثر جائعك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تقطع ايامك بقلة البلغة وان ترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتاتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلدا فقال الملك يا جارية اسمعت ما قال شيخنا هذا فقالت نعم قال اصدق ام كذب فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فانت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وانتم ايها الجواري والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالي في سبيل الله ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان

عليه من الحرير والديباج
فلما رأت الجارية ما فعل
مولاها قالت لا عيش لي
بعدك يا مولاي ثم رمت
كسوتها ولبست مثل
مولاها وخرجت معه
فودعهم مالك ودعا لهما
واخذ طريقه فتعبد احتى
جاء الموت ولقيهما على
حال العبادة عفا الله عنهما
ونفعنا الله بهما آمين
﴿ وحكى عن جعفر بن
سليمان رضي الله تعالى عنه ﴾
انه قال مررت انا ومالك بن
دينار بالبصرة فبينما نحن
ندور بها اذ مررنا بقصر واذا
بشاب جالس ما رأيت
أحسن منه وجها وهو يامر
ببناء القصر ويقول افعلوا
كذا واصنعوا كذا قال
مالك اما ترى يا جعفر الى
هذا الشاب وحسن
وجهه وحرصه على بناء هذا
القصر ما اشوقني الى ان
اسأل ربي ان يخلصه
فيجعله من شباب الجنة ثم
قال يا جعفر ادخل
بنا اليه قال فدخلنا اليه
وسلمنا عليه فرد علينا
السلام وكان لم يعرف مالك
ابن دينار فلما عرفه قام اليه
وقال هل من حاجة
يا مولاي فقال مالك كم
نويت ان تنفق على هذا
القصر قال مائة الف درهم
فقال مالك الا تعطيني هذا
المال فاصرفه لمستحقه

ويختصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا ان يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة ذي
القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده
الى ايام ناشئة بن اموص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى)
محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان
في كل عام في الموسم واخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد
بن يعقوب قال اخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي اخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا
واخبرني ابو عمرو العمراني اخبرنا ابو احمد محمد بن علي الرازي اخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي اخبرنا
ابو همام الوليد بن شجاع السلمي اخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم
عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال
يا انس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة
المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق
فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك من انت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له اخوك الخضر يقول
لك ادع الله ان يجعلني من امتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى
وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح
بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال
نعم قال يا موسي لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسي ان ربي ارسلني اليك لاتبعك واتعلم من علمك ثم
جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسي خطر ببالك انك اعلم
اهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والاخرين في جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذي حملته
الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من
لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا اني اعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعني
على ما لم تعلمه قال موسي ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن
شيء علمته مما تنكره حتى احدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها
فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركبا فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وامروهم بالخروج منها
فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال ابي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم
فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة
حتى دخلها الماء فحشاها موسي بثوبه وقال له اخرقتها لتغرق اهلها وقد حملونا واحسنوا الينا فخرقت سفينتهم
ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أي عجبا منكرا قال الخضر الم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى
لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي امري (قال ابن عباس) لما
خرق الخضر السفينة تنحى موسي ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بصاحبة هذا الرجل كنت في
بني اسرائيل اتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر يا موسى اتريد ان اخبرك

بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو اظفرهم واضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه ابواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى ابويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية اخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى اقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد اخبرنا احمد بن عبيد الله اخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان اخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لم تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان اخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لولبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين وهي أبعد ارض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصاري قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القري لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قري ولا ماء ولا ماوي وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد ان ينقض أي يكاد ينهدم يسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع الملك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا لنأكل طعاما فقال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم اخذ يفسره فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث اعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذي لا يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروي) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة كانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي الف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه

واضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر واليواقيت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا يبنيه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب ياسيدي فامهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فاكثر من دعائه فلما اصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فقال نفعل قال نعم فاحضر المال لوقته واحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمنه مالك ابن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصف والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فما امسي مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أتى على الشاب اربعون يوما حتى وجد

مالك كتابا موضوعا فى محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة فاخذه مالك فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار قد وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له وزيادة على ذلك بسبعين ضعفا قال فتعجبت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا بالباب مسدود والبكاء في الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالامس فاحضرنا الغاسل وقلنا انت غسلته فقال نعم فقال مالك فحدثنا كيف صنعت فقال الغاسل ياسيدي انه احضرني قبل موته وقال اذا غسلتني وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني ويدني ففعلت ذلك ودفنته معه قال فاخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل وقال له ياسيدي والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكاء والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يامالك خذ مني مائتي الف درهم واضمن لي مثل ما ضمنت للشاب المتوفي فقال مالك هيهات كان ما كان وفات مافات والله يحكم ما يريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال هنيأ له ودعا له بالرحمة رحمنا الله بهم

الف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ماوفي الله تعالى فاردت ان اعينها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وراءهم اي امامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اي امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كيلا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدي وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا اي فعلمنا ان يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا وفيهلاكهما وقيل خشي ان يدرك فيدعو ابويه الى الكفر فيجيباه ويدخل معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام ان يعمل عمل الفساق فيتغا فلان ابواه فيدخلان النار فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا واقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم وبرا بوالديه فابدلهما الله جارية مؤمنة ادركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم (واخبرنا) عبدالله بن حامد قال اخبرنا حامد بن احمد قال اخبرنا ابو محمد عبدالله بن يحيى ابن الحرث اخبرنا عبدالوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن عبدالله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه في هذه الآية قال ابدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح بها ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنزلهما واختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه (أخبرنا أبو بكر الحمشادي المزكي أخبرنا أبو الحسن احمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنزلهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يابني لأزيدن في صلاتي من أجلك لعلي أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بحة فقلت أختي قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من

عشرين سنة فقلت يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا مجة فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أبك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بابيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب مابك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبابكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبابكر وعمر فانزلي فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقدم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بما دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي فارادر بك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بامر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاتب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا جانا قال له يا موسى أتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير امر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (ويروى) عن علي بن ابي طالب وغيره ان موسى لما اراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعي من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من امر سيكون مامعي شيء أعطيكه فقال له السائل أسالك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر سيكون مامعي شيء أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فاخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه بار بعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الاستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لي لبنا أريده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذي أوقعني في العبودية أما انا فسأخبرك انا الخضر

اجمعين (وحكى عن محمد ابن السماك رضي الله عنه) انه قال كان محمد بن سليمان ابن موسى الهاشمي من انعم بني امية عيشا واكرمهم بالاعطاء نفسا وكان منهمكا في شهوات نفسه من اصناف اللذات في المأكل والمشرب والملبس والطيب والجواري والغلمان ليس له فكرة ولا همة الا في الذي هو فيه من ذلك وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله سابغة عليه فكان يستغل كل حول نحو ثمانمائة الف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرف كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله ابواب مشرعة الى بساتينه وقد ضرب قبة من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سريره عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلىء ومعه في تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد اوقف على راسه الخدم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث يراهم فاذا اشتهى سماع الغيان نظر نحو الستارة واذا اراد سكوتهم ارمأ بيده نحو الستارة فهذا كان دابه الى ان يذهب الليل فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء

سألني سائل بوجه ربي ان اعطيه ولم يكن معي شيء اعطيه فامكنته من نفسي حتى باعني و بلغني ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الاعظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله و يقول له بأبي انت وامي شققت عليك ولم اعرفك فاحكم علي في مالي واهلي وان احببت ان اخلي سبيلك فعلت قال نعم بل احب ان تخلي سبيلي اعبد ربي وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه واعطاه اربعمائة دينار وخلى سبيله فاوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك واعطاك مكان كل درهم دينارا لئلا يخسر احد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية اخرى فالقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل القاه بين القريتين فاختصم اهلهما وجاء اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسالوه القصاص فسالهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه امر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعوا الله ليبين لهم امر ذلك القتيل فسال موسى ربه فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اجئتنا لنسالك عن القتيل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة امر من الله تعالى قد لزمهم سالوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولونها عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على انفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره ان رجلا في بني اسرائيل كان باراً بابيه و بلغ من بره ان رجلا اتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين الفاً وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ واعطيك الثمن فقال ايقظ اباك واعطني المال فقال ما كنت لافعل ولكن ازيدك عشرة آلاف وانظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل انا احط عنك عشرة آلاف ان ايقظت اباك وعجلت النقد فقال انا ازيدك عشرين الفاً ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ اباه فلما استيقظ ابوه اخبر بذلك فدعاله وجزاه خيراً وقال له احسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من اهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته وكان ينام الليل ثلاثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس

فاذا اصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة وينثر كل يوم من انواع الطيب والشمامات وما يكون في اوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى انصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجي بخلاف ما يسمع من مطربانه فاخذت بقلبه وصار ولها عما كان فيه فاوما الى جلسائه ان اسكتوا ثم اخرج راسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه ان اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد يناجي ربه عز وجل قال فاخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتى ارقفوه

عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه و يأكل ثلثه و يعطى والدته ثلثه قالت له امه يوما يا بنى ان ابالك ورثك عجله و ذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها بالله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها اعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ان ترددى على فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك اهون لك فقال ان امى لم تامرنى بذلك وانما اقادك خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابداً فانطلق فانك لو اشرت الى الجبل ان ينقلع من اصله و ينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس فى صورة راع فقال له ايها الفتى انى راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلى فاخذت ثوراً من ثيرانى وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسى الهلكة فان رايت ان تحملنى على بقرتك هذه وتنجينى من الموت واعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملنى عليها وأعطيك عشرة امثالها فقال له الفتى ان امى لم تامرنى بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال بسم الله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لما قدرت على أبداً فلما دعوت بالله ابراهيم جاءنى ملك انتزعنى من يد ابليس و ردنى اليك لبرك بامك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك و يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه وسرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق الملك فاتى فقال له استأمرت والدتك فقال الفتى نعم أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فابى الفتى و رجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشترى بها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه و رحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سمتها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لأن العين تسر وتولع بالنظر الى

بين يديه فنظر اليه وقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعتها فقال ان اصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلى و يقرا فقال ايها الشاب ما كنت تقرا قال كلام الله تعالى قال فاسمعني تلك النغمة فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال ايها المغرور انها خلاف مجالسك ومستشرفك انها ارائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقرى حسان شرف ولى الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة فى عيشة راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون لها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا

الشيء الحسن وقال علي بن ابي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بامه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلوائها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية اول القصة فادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة قال سعيد ابن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتادة فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض إله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برؤا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى ان مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال اوحى الله الى موسى ان يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقربانا للقربان وان يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وامره ان ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها اربعون ذراعا ويجعل فيها اثني عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وامره ان يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب

وعقبي الكافرين النار
نار واى نار ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وما هم منها بمخرجين قال فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى على نفسه وقال لجلسائه انصرفوا عني وخرج الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه هذا والشاب ينظر الى ان اصبح وقد عاهد الله تعالى ان لا يعود الى معصية ابدا فلما اصبح اظهر توبته وامر بالفضة والذهب والجواهر وانواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور عن نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه واعتق من اختار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن واكل الشعير بعد التنعم

فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله اربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت من ثياب محلات الباطن الاول سندس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التي تمد بها من صوف القربان وان يجعل سمكها اربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سبعة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على اربع قوائم من فضه كل قائمة ثلاثة اذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وامره ان ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب احمر طولها تسعون ذراعا مرصع بانواع الجواهر وان يجعل اسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وان يجعل حبالها التي تمدها من اصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن الاول منها سندس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وامره ان يجعل سمكه سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وامره ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بالوان الجوهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وان يجعل سمكه سبعة اذرع في اربعة اذرع وعلوه قامة موسى وان يجعل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه اولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وامر الله نبيه موسى عليه السلام ان ياخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقة على هذا البيت وان يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج اليه من الحلي والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى واصحابه من فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة خمسين رجلا فاخذ منهم ذلك المال واوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيئا ولا تطفأ ابدا لتاكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلىء وانواع الجواهر وامره ان يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون لتلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى اخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تاكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل واوصاني بها واني قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بامره واوصاه به وانه قد اصطفاني له واوصاني به واني قد اصطفيتكما له واوصيتكما به وكان اولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت واسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من امر الله شيئا فاوحى الله تعالى الى موسى هكذا افعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف افعل بمن لا يعرفني من اعدائي وهذا آخر القصة والله اعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ماهي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال

بافخر الماكل والمشرب ولزم المسجد والعبادة فكان يحيي الليل ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والابرار ويقولون له ارفق بنفسك فان المولى كريم يشكر اليسير ويعفو عن الكثير فيقول يا قوم دعوني فاني اعرف بنفسي ان جرمي عظيم عصيت مولاي بالليل والنهار ويبكي ويكثر البكاء ثم خرج حاج على قدميه حافيا ماعليه غير خيشة ومامعه غير ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه فاقام بها الى ان توفي الى رحمة الله تعالى وكان يدخل الحجر بالليل ويبكي على نفسه ويقول

ياسيدي ذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي فالويل لي يوم الفلك والويل ثم الويل لي من صحيفتي اذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطاياي ثم أنشد يقول شعرا

عصيتك جاهلا يا ذا المعالي ففرج ما ترى من سوء حالي
الى من يرجع المملوك الا * الى مولاه يا ولي الموالي
فانك اهل مغفرة وعفو وتواب ومفضال النوال

(وحكي عن عبد الله بن مهران رضي الله تعالى عنه انه قال) حج الرشيد هرون رحمه الله تعالى سنة

منازل هي ايليا و بيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي اريحاء وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام واهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليهم عن عبد الله بن خولة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم ارض فارس والروم وارض حمير وحتى تكونوا اجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان ادركني ذلك فقال اختر لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده ياهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام واهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة اجزاء في الشام و واحدا في العراق وقسم الشر عشرة اجزاء فجعل منه تسعة في العراق و واحدا بالشام و دخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال اكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن ايدن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا و يقتلنا و يحلها بني اسرائيل وانا قومك و بنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا واشر علينا في هذا الرجل العدو والذي قد رهقنا فادع الله ان يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام و يلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعوا عليهم وانا أعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى استأمر ربي وكان لا يدعو احتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك ان تدعو اعليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به و يناشدونه و يتضرعون اليه حتى فتنوه ففتن فقالوا لبعضهم أهدوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها و يقال ان بلعام ابن باعوراء لما ابى ان يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فهيرة وانه يصغى الي رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوأة ورقا فاهدوها

من السنين فاتى الكوفة فاقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضي الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به حتى اذا أقبلت هوادج هرون الرشيد كف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته ياأمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يابهلول لبيك يابهلول فقال ياأمير المؤمنين حدثنا ايمن ابن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمني على جمل اورق تحته رحل رث فما طرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خيرا من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يابهلول فانشد

فهب ذا أن ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس تري مقيلك جوف قبر
و يثوي التراب عليك هذا

* قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يابهلول

لها فاقبلت على صاحبها والحت عليه حتي قالت له ارجع الى ربك فاسأله ان يؤذن لك فى مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلو لم ياذن لك لنهاك قالوا فركب اتانه متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فاسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى ازلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أزلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام اين تذهب الا ترى ان الملائكة امامى تردنى عن وجهى هذا تذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع راسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب اتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتي اشرفت على جبل حسبان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه اترى ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا املك منه شيأ قد غلبنى الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسآمر لكم واحتال فحملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل اراد ها فانهم لوزنى رجل منهم كفيتموهم فتفعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشها بنت صور بارجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسي وقال انى سأظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا اطيعك فى هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل فى الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما فى حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل من الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد اهلك الله منهم سبعين الف نفس فى ساعة واحدة فمن هناك يعطى بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون فى بلعام انزل الله تعالى وانل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسي والا قتلتك فقال انه من أهل دينى ولا ادعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني وانا مأمورة فلا تظلمنى وهذه نار أمامى قد منعتني ان أمشى فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسي يارب باى ذنب وقعنا فى التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وانزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتى النبوة فرشاه قومه على ان يسكت فقعل وتركهم

غيره فقال نعم يا مير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف فى جماله كتبه الله تعالى فى ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول سر مع الجنازة فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لى بها فقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بهلول اذكر الينا حاجة فنجري عليك ما يكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينسانى فاسبل هرون السجاف ومضي فلما قضي حجه واتى أوان الحج ثانيا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف ان لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من جوف العراق الى اليمن لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشى فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه في الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
اليس الموت يأتيكا
فما تصنع بذا الدنيا
وظل الميل يكفيكا
الا يا طالب الدنيا

على ماهم عليه (وقال) عبدالله بن عمر وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت قصته انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع من بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه فلما مات أمية أتت اخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة اخيها فقالت بينما هو راقد اذا تاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اوعي قال وعى قال ازكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما افاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدي شعرا خيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء اعلى منك جدا وامجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وانشدته حتى أتت على آخرها ثم انها انشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم ناتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده ماتيا
يوم ناتيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة انا ارجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافات ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر أمات الله الكاذب منا في مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر واتي بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظار المجيئة فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البرسوس وكان رجلا قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

دع الدنيا الشانيكا
كما اضحكك الدهر
وكذاك الدهر يبكيك
قال فشهق هرون الرشيد شهقة وأغشي عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما افاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وببركاتهم آمين (وحكى عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال) بينما انا جالس على سرير ملكي شاكرا لله على ما أولاني من النعم اذ أوحى الي أن اخرج الى ساحل البحر الفلاني ترعجبا من خلق الله تعالى قال سليمان عليه السلام فخرجت ومعي من الانس والجن والوحوش والطيور وما أشبه ذلك فلما وصلت الى الساحل نظرت يميناوشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص في هذا البحر وائتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة قال يانبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم اصل الى قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص في هذا البحر وائتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من

*(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسي ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى ارض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان يورثه وقومه لارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم القمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله ان يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت ببني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير لى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسي انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه اسماؤهم من سبط روبيل شوع بن ذكور ومن سبط شمعون شوقط بن حورى ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جادجا ئيل بن يوسف ومن سبط ريالون حدي بن سورى ومن سبط اشير شايون بن ملكيك ومن سبط يفالي حي بن وقسى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل ومن سبط لاوى خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسي ومن سبط ميشا حي بن موسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببنى اسرائيل قاصدا اريحاء فبعث موسي اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له و يعلمون حالها وحال اهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر جمل من اخبار عوج بن عنق واحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب و يشرب منه الماء و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (و يروى) انه اتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملنى معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وماجاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسي وكان لموسي عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطير فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع وقفز الى فوق عشرة اذرع فما اصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت امه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه و يقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بلغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا وثعورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها واكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعنى أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب اخذ الاثنا عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتي يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة و يدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق

ذلك فقال الغريت يا نبي الله غصته مثل ماغاصه الاول مرتين فلم اجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره اغض فى هذا البحر وائتني بما فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة واتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها اربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا فى وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلى فدخل سليمان اليه وسلم عليه وقال ما انزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله احدثك بقصتى قال نعم فقال كان لى اب مقعد ووالدة عمياء فقمت فى خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتى قالت عند موتها اللهم اطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدى قال عند موته اللهم استخدم ولدى فى مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فاجاب الله دعاءهما فخرجت يوما من الايام اريد النزهة فجئت

بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم واخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى ارض مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضه فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآيه قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى انجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي يبلغكم و يظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانار أيناهم رخيرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك و بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوي يوشع وكالب غضب موسي فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسي فظهر الغمام على باب قبة موسي واوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولاتوبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي تجسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولياتينهم حتفهم فى هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة الف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه

ارتحلوا

الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة موضوعة على ساحل البحر فدخلتها لانظر مافيها فاحتملها ملك من الملائكة وانزلها في قاع هذا البحر كما ترى يانبي الله فقال سليمان فى أى زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ فوجده الفى سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فما طعامك وشرابك فى هذا البحر فقال يانبي الله ياتيني طائر أخضر كل يوم فى منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان فآكله فاجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان احب ان تكون معنا ارترجع الى موضعك فقال ردنى الى موضعى يانبي الله فقال سليمان رده يا آصف الى مكانه فرده الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله اعلم وحكى عن الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى

ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات اولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل احد أريحا ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة نشأت النواشيء من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

﴿ باب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعدد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم اي على أجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه واعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا واخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل ارق واطيب وابرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البرخيز وقال وهب هو الخمير الرقاق وقال السدى كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيا كلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجي المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمطر يشه وزغبه وكانت الريح تاتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان ياتيهم فيسترسل اليهم فياخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من السلوى اذ ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم ياخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فدا وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وما ظلمونا أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال اخبرنا مكى بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم

عنه انه قال كنت سائحا في جماعة من اصحابي فانتهينا الى قبر في بعض البراري كنت اعرف صاحبه وكان من اولياء الله فجلست عند قبره ابكي فسالني بعض أصحابي عن ذلك فقلت اتفق لي مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك انه عرض لي حاجة في بعض البلاد فسافرت لها فادركتني الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك وقلت في نفسي سرا اقيم عند هذا الفقير اعلمه واترك حاجتي فهذا اولى فلما سلمنا من الصلاة التفت الى وقال يا عبد العزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها وما عليك من اللحن والتعليم فعجبت من مكاشفته على وخرجت في الحال مسرعا الى حاجتي كما اشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذى عند حاجتي يريد السفر ورجله في الركاب كما قال فلما رآني نزل وترحب بي وقضى حاجتي وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فما لبث الا مدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين (وحكى عن الشيخ ابي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) انه قال

تحن انثي زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسي من اين نشرب فاستقي لهم موسي فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي أمر بسببهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل القاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ماهو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر ان يحمله فحمله فكان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فينفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال قال ابو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أي حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فياخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة الف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسي عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه لما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسي ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسي فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد المذهب باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوآة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح في أثره موسي يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتي نظر بنو اسرائيل الى سوآة موسي فقالوا والله ما بموسى من باس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان اثر ضرب موسي بالحجر ستة او سبعة قال عبد العزيز الكناني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ثم ينفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) انهم قالوا لموسي في التيه من اين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الا جدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو علي صبيانهم كما تنمو فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله اعلم

﴿باب فتح أريحاء ونزول بني اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسي ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم احد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسي وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان ابى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوف هرون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها و بيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا

فيه

خرجت يوما على أصحابي وكانوا نيفا وار بعين رجلا فقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد تكفل بارزاق العباد فقال عز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت وقاموا ثلاثة ايام لم يفتح عليهم بشيء فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد اباح التسبب للعباد فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى اصدقكم نية فليخرج عني اربعة منكم بشي من القوت قال فاختاروا رجلا فعيا منهم فخرج ومشي في شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشيء فاحدد الجوع واعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصراني عليه من الناس جمع كثير وهو يصف لكل منهم دواءه فنظر النصراني الى الفقير وقال ما لك وما عليك فذكر الفقير ان يشكو الجوع الى نصراني ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصراني قال انا أعرف علتك هذه وعندي دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الي السوق وائتني برطل خبز ورطل شوى ورطل حلوى فمضي الغلام الى

فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب ان انام على هذا السرير فقال نم عليه فقال اني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا اكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون اخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه ما لقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له انا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله اعلم

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كره أراد الله ان يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه الف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يا رب فادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فقال يا قوم أظن انها الساعة واني ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي

السوق واتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصراني ان كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بار بعين رجلا مثلي فقال النصراني لغلامه امض الى السوق مسرعا وأتني باربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الي السوق واتى بذلك جميعه على حمال فقال النصراني اذهب بذلك الى اصحابك فذهب الفقير والحمال معه وتبعهما النصراني من بعيد ليختبر صدق ذلك الفقير فلما دخل الفقير الى اصحابه بالدويرة وقف النصراني خلف طاقة ينظر اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا للشيخ أبي بكر الشبلي فحضر فسألهم عن ذلك فاخبره الفقير بقصته مع ذلك النصراني فقال لهم الشبلي اترضون ان تاكلوا طعام نصراني بغير مكافاة فقالوا وما مكافاته قال ان تدعوا له بالاسلام قبل ان تاكلوا طعامه قال فدعوا له بالاسلام وهو يسمع فلما راى النصراني امساكهم عن الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال يا شبلي امدد يدك فاني أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلي رضي الله تعالى

عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم فالتفت الى احدهم وقال اين تريد فقلت لهم ان اسير معكم اين تسيرون لحبي فيكم فقال احدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذي نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره اربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوي من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هنيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها متعانقة وانهارها رائقة وفواكهها فائقة قال فدخلناها واكلنا من ثمرها ثم أخذت معي ثلاث تفاحات فلم يمكنوني من اخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة اينما كانوا فما دخل فيها احد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا اردد

الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه واراد وا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فاتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسي وانما قدر فعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله أتحب ان يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب قيل انه اتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروي) ان يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة (ويروي) ان موسي لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسي بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسي مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب اريحا وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسي بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبره انه نبي الله وان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الى أريحا ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرود وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع ان يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس على اوانه قال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وبدله في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين (اخبرنا) احمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يدها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فعلمت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان اسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد اوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت اوارادت ان تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال اصليت يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد * قال ثم ارسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى اهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فامر بهم يوشع فاخرجهم وصلبهم ثم انزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فامرهم ان يبايعوه فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا

آخر قد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انت مامورة وانا مامور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تاكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجلا فبايعوه فلتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فاكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم امرهم الله ان يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة ابواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا قال وهب انهم اذ نبوا بابا أتيهم وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول اريحاء فلما فصلوا من التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا منزحفين على استاههم وقالوا حطا سمقايا يعني حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى ارسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره امر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام﴾

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين انعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوسا قوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به ياتونه وينظرون اليه ويقولون له ايها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي ان يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدري فصار مجدورا مملوجا فلبث فيهم مائة وار بعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

﴿ ذكر خبر حزقيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى الى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان امه سالت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي احيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذاهم بملك من اسفل الوادي وآخر من اعلاه بنادي هم كل واحد منهما ان

ما اعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت اكلت من تلك التفاحة وهي لا تتغير فرجعت الى اهلي وقد بقي منها تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعانقتني أختي وقالت اين الذي اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذي اتحفكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت أختي فاين التفاحة فقلت واي تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وانا ابنة عشرين سنة واما انت فلم تزها الا بعد ان طردوك وانا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختي ان البدل الكبير منهم قال لي لم يدخلها احد قبل الاربعين غيرك قالت نعم يا أخي من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت اريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضري فو الله لقد رأيت تلك المدينة بعينها وهي تتدلى عليها وتدفع اليها فمدت يدها وقالت اين تفاحك قال فتساقط على من التفاح شيء كثير فضحكت وقالت من عنده هذا الملك

موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطعن العبد برجزويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي مذمة خطار * قد اصبح الله امام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فاريهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضاءك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فاتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخرساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين الفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فاتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فاحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما اصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب ان افعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا ليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فاوحي الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت ايظنون أني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها اقواما ماتوا فاتاهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادي حزقيل ايتها العظام ان الله يامرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت اجسادا فنادى ايتها الارواح ان الله تعالى يامرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

باب

يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت اعرف ان اختي من اكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وامدنا من مددهم وانفاسهم الطاهرة آمين (وحكى عن الشيخ ابي الربيع المالقي عفا الله عنه) انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الي زيارتها الاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم احضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدنا لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم اخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا لما مضى بنا حتى نذبح هذه الشاة في هذا اليوم وهو

﴿ باب في قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها وأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان لياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامراته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته اربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما احرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كيف لم يغصبها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جماعة من الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل واخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا نفلح بعدها ابدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك نفسها وزوجها ولكن

اطلعت لفظا ظاهر العموم مع ارادة التخصيص عن تستر وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى في ذلك لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب ما عندكم رضي الله تعالى عنها آمين ﴿ وحكى عن بعض اصحاب السري السقطي رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان للسري السقطي تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فاخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذي وأي شيء تريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة

فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وامره ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليه لوليه حين قتلوه بين اظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي والا يهلكهما يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر ما يكون يسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يمنعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما اوحى الله اليه في امره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما ارى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الا وثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون اخباره ويجتهدون في اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان احب اولاده اليه واعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له اربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم امناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك ان يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب ايها الملك ان في ناحية لشام آلهة اخرى وهي في العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها ان تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاي شيء غضب علي وانا اطيعه واطلب رضاه ولم اسخطه ساعة قط قالوا من اجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذي اغضبه عليك قال لاجب وكيف لي ان اقتله في يومي هذا وانا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس للياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عرفت ابني تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه واقتله واريح الهي منه وارضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشام ويسألوها ان تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبره بذلك فقال الملك وكيف لي ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج اربعمائة حتى اذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا لاجب اني انا الله لا اله الا أنا اله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على ان تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ما شئت وانى آليت باسمي لاغيظنك في ابنك ولاميتنه من فوره

يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذ استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقري به هذا الضيف فاحتجنا لذبحها فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد امرنا باكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال نخاف ان تبكي عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فاخذها ومضى فلما أراق دمها فرفرت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انقلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى يدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك

هـذا حتي تعلم ان احدا لا يملك له شيأ دوني فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما سار وا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس واخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت السنتنا ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر ان نكلمه ونراجعه وملأ عيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لا جب لا انتفع بالحياة ما دام الياس حيا ما الذي منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتوني به وانتم تعلمون انه طليتي وعدوي قالوا له قد اخبرناك بالذي منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لا جب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوي القوة والباس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وان يطمعوه بانهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون باعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لا جب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك واجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانت نبينا ورسول ربنا فاقم بين اظهرنا واحكم بيننا فانا ننقاد الى ما امرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتدارکنا وارجع الينا فكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع في قلبه ايمانهم وخاف الله واشفق من سخطه اذ هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذي سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو اني دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمني ما في نفوسهم ويطلعني على حقيقة امرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحرقوا اجمعون قال وبلغ لا جب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا في امر الياس فقيض لهم فئة اخرى مثل عدد اولئك واقوى منهم وأمكن في الحيلة والرأي فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين اتوك قبلنا اولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله امرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضي عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه واراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما اظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأي والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه ارسل معه فئة من اصحابه وعهد اليهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوه به ان اراد التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب ووائقا بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه اظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لي ان اتوب واتعظ فقد اصابتنا بلايا من حريق اصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن ان يدعوا علي وعلى جميع قومي فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه واخبره انا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاربنا وخلع اصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا

أين غرق ولدي فقال المعلم ههنا فصاحت به ابني محمد فاجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفتت السرى الي الجنيد وقال أي شيء هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لله عز وجل عليه فلهذا لا تحدث حادثة حتي تعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمتها فانكرت ذلك وقالت ان ربي لم يفعل ذلك وهذا من صدقها مع مولاها رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة وأمدنا من مصدرها آمين ﴿ وحكي عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما انا في الطريق واذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أيها الشاب ومن أين أنت قال من عنده فقلت والى أين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له ان الطرق لا تقطع الا بالمأكل والمشرب فهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي من

ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه امر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وقد اهملنا امرها حتي ينزل الينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذي فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وانس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحي الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه مقالته وقال اني خائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فامرني بما شئت ان افعله وانتهي اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ارسلتني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لا جب ان اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يات بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن في امرك ولم يامن ان يقتله فانطلق معه فاذا انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب واني ساشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم اميته على شر حال فاذا مات هو فارجع انت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع واخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب واصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من امره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذي جاء به فقال له ليس لي به علم وذلك انه قد شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولما كن احسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتي نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها ستة اشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام ثم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه في الجبال فجزعت ام يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتي مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتي عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له اني فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى ان يحيي لي ابني ويجبر مصيبتي فاني قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد مأمور أعمل بما امرني ربي به ولم يامرني بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة ايام حتى اتى الي منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا واجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست امين على وحي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي فاسألني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني وابغضتهم فيك وابغضوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعرى منك لارض واهلها وانما اقوامها وصلاحها بك واشباهك ولكن سلني اعطك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فاعطني ثاري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأي شيء تريد ان اعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشيء عليهم سحابة الا بدعوتي ولا

تمطر

بالدي بخمسة أحرف
فقلت وما هي فقال قوله
تعالى كهيعص فقلت وما
معني كهيعص فقال أما
قوله كاف فهو الكافي واما
الهاء فهو الهادي واما
الياء فهو الذي يأوي واما
العين فهو العالم واما الصاد
فهو الصادق فمن صحب
كافيا وهاديا ومؤويا
وعالما وصادقا فلا يضيع
ولا يخشى ولا يحتاج الى
الزاد والراحلة قال مالك
فلما سمعت منه هذا
الكلام نزعت قميصي
لأ لبسه له فابى ان يقبله
وقال ياشيخ العرى خير
من ثياب الغنى حلالها
حساب وحرامها عقاب
فكان اذا جن الليل يرفع
وجهه نحو السماء ويقول
يامن لا تنفعه الطاعات
ولا تضره المعاصي هب لي
ما لا ينقصك واغفر لي ما لا
يضرك فلما احرم الناس
والبوا قلت له لم لا تلبي
فقال ياشيخ اخاف ان
اقول لبيك فيقول لا لبيك
ولا سعديك لا اسمع
كلامك ولا انظر اليك
ثم مضى وغاب عن بصري
فما رايته الا بمني وهو يبكي
ويقول ان الحبيب الذي
يرضيه سفك دمي
دمي حلال له في الحل
والحرم
والله لو علمت روحي لمن
عشقت

تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني اعطيك ثارك منهم ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك ولا انشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا انزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه يموضع ينساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويأتي منهم اهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله اعلم

﴿ قصة اليسع عليه السلام ﴾

ثم ان الياس اتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد اسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس عليه السلام انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله اعلم ان الياس قال رب دعني اكون الذي ادعوالهم فآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي اصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا ان اصنامكم التي تدعونها من دون الله تغني عنكم شيئا فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم ان يفرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا ومعهم اوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم واحيت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فنبت الله لهم منه الحمص وامرهم ان يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به

قامت على راسها بجه
عن القدم
يالائمي لا تلمني في هواه
فلو عاينت منه الذي
عاينت لم تلم يطوف بالبيت
قوم لو بجارحة
لله طافوا لأغناهم عن
الحرم ضحى الحبيب
بنفسي يوم عيدهم
والناس ضحوا بمثل الشاة
والغنم
للناس حج ولا حج الى
سكني تهدى الاضاحي
واهدى مهجتي ودمي
ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا
وتقربوا اليك بضحاياهم
وهديهم وليس لي شيء
اتقرب به اليك سوى
نفسي فتقبلها مني ثم شهق
شهقة فخر ميتا رحمة الله
تعالى عليه واذا بقائل يقول
هذا حبيب الله هذا قتيل
الله قتل بسيف الله قال
فجهزته ووارته بالتراب
ثم بت تلك الليلة متفكرا
في امره فرايته في المنام
وعليه ثياب من السندس
والاستبرق فقلت له ما فعل
الله بك فقال فعل بي
كما فعل بالشهداء يوم بدر
فهم قتلوا بسيف الكفار
وانا قتلت بمحبتي الملك
العزيز الجبار قال فتعجبت
منه رضي الله تعالى عنه
(وحكي عن البهلول رضي
الله عنه انه قال) بينما انا في
يوم من الايام مار في شوارع

البصرة فاذا بصبيان يلعبون باللوز والجوز واذا بصبي ينظر اليهم وهو يبكي فقلت في نفسي هذا الصبي يبكي تحسرا على ما في أيدي هؤلاء الصبيان ولا شيء معه فتقدمت اليه وقلت له يا ولدي ما يبكيك أشتري لك من ذلك ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال ياقليل العقل ما اللعب خلقنا فقلت له يا ولدي فلما ذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه فقلت له يا ولدي أراك حكيما فعظني فانشد يقول شعرا اري الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق فلا الدنيا بباقية بحي ولا حي على الدنيا ببا قي

كأن الموت والحدثان فيها الى نفس الفتى فرسا سباق فيا مغرور بالدنيا روايد افمنها خذ لنفسك بالوثاق قال ثم رمق بطرفه الى السماء وأشار اليه بكفه ودموعه تجري على خده وخر مغشيا عليه فرفعت رأسه الى حجري ومسحت التراب عن وجهه فلما افاق

القرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوالهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل واوحى الله تعالى اليه وايده بمثل ما ايد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وامره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع

(اخبرنا) ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوفيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فتحويه عن رجل من اهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من انت فقال انا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي ان يرفع عني ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك قال فدعا الله بثماني دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم افهمهما وقيل هما ياهيا شرهيا فرفع الله عني ما كنت اجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت ايوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم احياء قال اربعة اثنان في الارض واثنان في السماء اما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام واما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطيء الفرات ورجلان بالصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما ذهب الله واحد منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جري بين مروان بن الحكم وبين اهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول الشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم اطعن برمح ولا رميت بسهم ولم اضرب بسيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدا قال احسنت فهكذا فكن قال فبينا انا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان اشد بياضا من الثلج فاكلت انا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت احدا وضعه ولا رأيت احدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له اني اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني احب ان القاك قال فاذا رأيتني فقد لقيتني اني اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما ادري كيف ذهب وهذا اخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عملهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا اعمل ذلك فاستخلفه

قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاغياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال انا الشيخ المظلوم ففتح له وقال الم أقل لك اذا قمت فاتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فاتني وفاتته القائلة فراح واقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى اقوم فانه قد شق علي عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له احد فلما اعياه نظر فاذا كوة في البيت فنسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان الم آمرك ان لا تأذن لاحد علي فقال اما من قبلي فما اتى فانظر من قبل من اتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له اتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما الجأك الى هذه الفعال فقال له انك اعييتني في كل شيء اردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر توفي به (اخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم (اخبرنا) ابن الفضل قال اخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين لم احدث به سمعته منه اكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط فقال لها اكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا اعصي الله بعدها قط ابدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال ابو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيلى وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على ابواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

﴿ فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ﴾ قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في ارزاقهم فكان احدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون

قلت له يا ولدي ما نزل بك وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بهلول فاني رأيت امي توقد النار في صغار الحطب قبل الكبار فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار فقط فقالت يا ولدي لا توقد الكبار الا بالصغار واني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم قال البهلول فغشي علي ساعة وانصرف الغلام من بين يدي فلما افقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألتهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أوما تعرفه فقلت لا فقالوا هذا من اولاد الحسين بن علي ابن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وبانفاسهم الطاهرة ﴿ وحكى عن حبيب العجمي رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان لي زوجة سيئة الخلق كنت اخشاها لسوء خلقها فقالت لي يوما من الايام اذا لم يفتح عليك فلا تدخل الينا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى الجبانة مهموما مغموما فصرت أصلي الى العشاء ثم أتيت الى البيت خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين اجرتك التي

غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون احيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى السامة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

﴿ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم ﴾

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولد آرهى أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من اعيادهم اقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأتاه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقلك فوجمت العجوز وجوما شديداً فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها علي بنعمك التي انعمتها عليها وانت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولداً تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فلم يهاجزوجها فحملت وكتمت امرها واتى بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من امرها وقالوا ما حملك هذه الا نبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيي عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ ياشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فاتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ماشأنك قال اما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتك في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك انا طوعك فامرني بما شئت افعل ما تامرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك انا طوعك فامرني بامرك افعل ما تامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت

ستاجرني كريم واستحييت ان استعجله في الاجرة قال فسكتت عني فمكثت على ذلك الحال اياما وانا اذهب الى الجبانة واصلي الى الليل وارجع فلما طال عليها الحال قامت على وقالت اطلب أجرتك منه أو اجر نفسك لغيره فعسر علي ذلك ووعدتها بان افعل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتي فرحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت اتت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك بعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجد في العمل فان مستاجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيقر عينا ويطيب نفسا ثم ذهبت الي بيت آخر في الدار وأحضرت منه كيسا مملوأة دنانير ذهبا أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذي استاجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات

عليها

عليها ضرتها فيه فلا احد اليوم اشد منها غضبا ولا ملاذا فانطلق الى عيلى فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بامره حاكما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت افقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما اختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وتم بعد بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلى وهو بخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذى كان يسوطه فيجعل ابناه كلاليب فاوحي الله الى شمويل ان انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قربانى وان يعصيانى فلا تزعن الكهانة منك ومن ولديك ولا هلكنك واياهما فاخبر شمويل عيلى ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو ففخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تاهبوا للقتال جعل عيلى يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر ان التابوت قد سلب وان عيلى قد مات فمات كذا فلما مات الامير والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل امرهم عشرسنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذى يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة في احسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن صوف بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفانا ولم ينسبها كثير من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فاجابوا بما قص الله في كتابه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما اخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى في القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا انفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية ساذل وبالعبرانية شاول بن قيس بن فيل بن صارو بن نحورت بن افيح بن انيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه

والارض قال فلما سمعت ذلك تغيرلونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى مما كان منها وقسمت ان لا تعود الي ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم اجمعين

﴿ وحكى عن عطاء بن الأرزق رضي الله تعالى عنه أنه قال ﴾ دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا في السوق يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدى ان ولاى دفع لى درهمين لاشترى له بهما شيأ فسقطا من يدى واخاف ان ارجع له خائبا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فاخذهما ومضى الى حاجة ثم توجهة الي المسجد فصرت اصلى الى وقت المغرب وانتظرت شيا فلم يفتح على بشيء فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست في السوق على دكان صديق لى وكان نجارا فلما رأى الجراب معى قال خذ هذه النجارة فى جرابك لتحمى بها التنور قال فاخذت منه شيا من النشارة فى الجراب وذهبت الى البيت خائفا من شرها فطرحت الجراب في البيت

السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقي على حمائله من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمر ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه في أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن فى القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بني اسرائيل وقد امرنى ربى ان املكك عليهم فقال طالوت انا فقال نعم قال اوما علمت ان سبطي أدنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى ادنى بيت في بني اسرائيل قال بلى قال فباي آية تعرف بآية انك ترجع وقد وجدا بوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقاتل مجاهدا أميرا على الجيش فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان في بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا يتكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول فى قومه والقوة وانما سمى طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت اجمل رجل في بنى اسرائيل واعلمهم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

﴿قصة التابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه﴾

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين اهبط الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا اول من يتبعه من امته أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة لائم ومن وراءه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه على بن ابى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا اخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء انصار الله وانصار رسوله نور حواف ردوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم عند شيث الى ان مات ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولد فلما مات اسمعيل كان عند ولد قيدار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه وصية ابى ولا اعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فسمر عليه ففتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيدار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب

ورجعت مسرعا الي محلة العشاء ثم جلست فى المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منهم ثم جئت الي البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا ذا رائحة مفرحة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم دخلت وانا متعجب ثم قلت اين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى فى الجراب ثم قالت لى زوجتى من هذا اليوم لا تشترلنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله (وحكى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما انا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من احسن الناس وجها وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لامضين اليه وامتحنه واوبخه فدانوت منه فلما رآنى قال ياشقيق

اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج به يدارض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال ياقيذار مالي ارى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعدا بيك اسمعيل قال ما ارهقني عدو ولا اتيت معصية ولكن اثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب افي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب نخ نخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات ياقيذار وانا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وانت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت ابواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى اهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل امر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما القى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه ايضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال اقاموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في ايام عيلي الكاهن الذي ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبي قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت ان القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأر اربيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت

ان الله تعالى قال في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضي فقلت في نفسي ان هذا لامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه واستحله مما كان مني فاسرعت نحوه فلم الحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا وافضت اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فمضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته واقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قلت ياشقيق أقرأ قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضي فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى مني اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرفع طرفه الى السماء وقال

انت ربي اذا ظمئت من الماء
وقوتي اذا اعدمت الطعاما
ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمنيها قال شقيق فوالله لقد رايت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده

فمكث فيهم عشر سنين وسبعة اشهر لا يدنو احد منه الا احترق واصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من اولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على ارض فيها حصاد لبني اسرائيل فكسرا نيرانهما وقطعا حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى ارضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة اى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله اعلم

﴿باب في قصة شمويل حين اوحي الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة نهر الابتلاء﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما اوحي الله الى شمويل عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير هرم او مريض لمرض او ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت قالوا قد انا نا التابوت وهو نصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما ارى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت بامر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مخبركم ليرى طاعتكم وهو اعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادمي فمن شرب منه فليس مني أي من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه مني ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدي) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة و بضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزمعه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما امر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا و بقوا على شاطيء النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون اى يعلمون و يوقنون انهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت او كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابناله وكان داود

واخذ الركوة وملاها وتوضأ وصلى اربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل و يطرحه في الركوة و يحركه و يشربه قال شقيق فاقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا اخي اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال يا شقيق كم تري نعمة الله علينا ظاهرة و باطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذ منه ولا اطيب رائحة فشبعت وروّيت واقمت اياما لم اشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم اره حتى دخلنا مكة فرايته ليلة من الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي بخشوع وانين و بكاء ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما راى الفجر جالس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج فتبعته فاذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال

اصغرهم واحقرهم فاتى ذات يوم اباه فقال يا بتاه ماقد فت بمقلاعى هذه شيأ الا اصبته وصرعته فقال ابشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم اتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدى من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير اعطاكه الله ثم تاه يوما آخر وقال يا أبتاه انى لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معى قال ابشر يا بنى فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شان عظيم قال فلما وصلت غراة بنى اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت ارسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى او ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتى فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى فى ذلك فاتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت اشداء بني اسرائيل واقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى شمويل عليه السلام ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت وانى اريد ان اجعله خليفة فى الارض من بعدك اعلمه فصل الخطاب وهو راعى الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا أمثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسم ارجع فيردده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا ناخذ الرجال على صورهم ولكنا ناخذهم على صلاح همهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقى لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربى كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لى ابنا صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصير اسقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجدا واديا قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التى كان يتزوج اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو ارحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه فقاض واجاسه فى التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى واجرى حكمك في مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم انا راعى الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فاقوم اليه واقبضه وأفتح لحييه عنها واخرقهما الي قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فانى حجر هرون الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملنى فانى حجر موسي عليه سلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسال المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وصار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ماشأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فما يغنى عني هذا السلاح شيأ فدعني اقاتل كما اريد فقال له طالوت افعل ما تريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس ابلق مثله

محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين (وحكي عن ابى عبد الله الجوهري رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت سنة من السنين في عرفات فلما جن الليل نمت فرايت ملكين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه كم وقف على هذا الجبل فى هذه السنة من الحجاج قال ستمائة الف نفس فلم يقبل الله تعالى منهم غير ستة انفس فهممت ان الطم وجهى وانوح على نفسى فقال له ما فعل الله بباقى الجمع قال نظر الله اليهم حتى لا يخيب سعيهم فوهب لكل واحد من الستة مائة الف فغفر الله بستة انفس لستمائة الف نفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال عبد الله فحمدت الله تعالى وزال ما كان عندى (وحكى عن الشيخ ابى الفوارس شاه بن الشجاع الكرمانى عفا الله عنه) أنه قال خرجت يوما للصيد والنزهة وكنت يومئذ ملك كرمان فامعنت نظرى في صيد رأيته وسرت فى طلبه حتي وقعت في برية مقفرة

في الشدة والقوه وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود القي الله تعالي في قلبه الرعب فقال له انت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس ابلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تاتيني بالحجر بالمقلاع كما تؤتى الكلب بالحجر قال نعم انت اشر من الكلب قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء واخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه في مقلاعه واخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم اخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه في مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وادار المقلاع ورمى به فخر الله له الريح حتي اصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعدما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم احد الا وقد اصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخرج جالوت قتيلا واسرع داود عليه السلام فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه واقبل برأسه يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في انفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني واعطي امرأتي فقال له طالوت اريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي شانك بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد واقرضني مهرها وعلي الاداء والوفاء لك به فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وانجز له ما وعدته فلما رأي طالوت ميل بني اسرائيل الى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتي في المال ولا اكلفك مالا تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني برؤسهم زوجتك ابنتي فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احز رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت والقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتي فزوجه امرأته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبه بنو اسرائيل واكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فاراد قتله (قال وهب ابن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصي ويغرزون في اطراف العصي ازجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صبرا فلما احس داود بذلك حاد عن رميته وامال نفسه من غير ان يبرح من مكانه فارتكزت العكازة في الجدار فقال له داود اردت قتلي قال له طالوت لا بل اردت ان اقف على ثباتك عند الطعان وربط جاشك للاقران فقال له داود عليه السلام افلقيته على ما قدرته في قال نعم ولكنك لعلك فزعت قال معاذ الله ان اخاف الا الله ولا الجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لي كما ثبت لك فايقن طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادي اظلم قال طالوت افلا تقول قولها بيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على ان ياتيه ويقتله في داره فاخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة

ولم يكن عندى من عسكرى أحد فبينما أنا كذلك اذا بشاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتني السباع ابتدرت الى فزجرها الشاب فتاخرت عني فسلم علي وقال ياشاه ماهذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة لمولاك انما أعطاك الدنيا فتستعين بها على خدمته جعلتها ذريعة الي الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينما هو يحدثني اذ خرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقي الى فشربته فما رأيت ألذ من ذلك ولا أحلى منه ثم غابت العجوز عن عيني فتعجبت من ذلك وقلت للشاب من أين هذه العجوز فقال ياشاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى على تخدمني فكلما احتجت الي شيء حضرت لي في حين يخطر ببالي ثم قال ياشاه أما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه

قال ومن يقتلني قالت ابى قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك باس ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لا استطيع خروجا ولكن ائتيني برق من خمر فاتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل داود فلم يجده فقال لابنته اين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وامعي الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما انا بالذى آمنه فلما كانت الليلة القابلة اتاه داود ثانيا وامعي الله عنه اعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضا منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتواري فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داود انا راكب وهو ماش وكان داود اذا فر لم يدرك فركض طالوت في اثره واشتد داود فى الجرى فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضي خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازة بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فنتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتي رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا أخبرنى بها فلما كثر عليهم بكاؤه ناداه منادٍ من القبور يا طالوت أما نرضى انك قتلتنا أحياء حتي تؤذينا اموانا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز وقال له ملك أيها الملك فقال هل تعلم لى في الارض عالما أسأله هل لى من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدرى ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا فى هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد ان ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتي ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل تركت عالما فى الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لى من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكانت انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست اعظم الناس عليك منة انجيتك من القتل وأوثقتك عندى قالت بلى قال لى اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشى عليها من الفرق فلما افاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه

فلما رأيت ذلك وسمعته منه تركت الدنيا وتنزهت عن الملك وتبت الى الله من وقتى واشتغلت بخدمة مولاى وخالقي ولله الحمد على ذلك اللهم انا نسالك التوبة والتوفيق آمين

﴿ وحكى عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال أنه قال ﴾ بينما انا وأصحابى قد خرجنا لقطع الطريق وأخذ أسباب الناس اذ انتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات فواحدة منها ليس عليها ثمر والنخلتان عليهما الثمر فنظرت فاذا بعصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة الي النخلة التى ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسي ان أنظر ذلك فقمت وصعدت علي النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع ذلك الثمر فى فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها الله تعالى سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت وانا عبد من عباده اقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان منى ولا اعود ابدا

فلما نظر الى الثلاثة المرأة والحباز والملك فقال لهم اقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت اطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت اشفار عينيه وتحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تنقذوني قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا انك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز باولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا ابن عوفيذ بن يوعز بن سلمون بن يخشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص ابن يهوذ بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت واخلق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك ﴾

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسون سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل أيرون وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمي عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مصغية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون ما دهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده ويحاده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على اجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها

ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على راسي وناديت الا قالة الا قالة فسمعت قائلا يقول قد اقلناك فاتيت رفاقي فلما راوني قالوا ما بالك بتلك الحالة فقلت لهم اني كنت مهجورا وصولحت ثم قصصت عليه ما رايت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا اسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة ايام حتى انتهينا الى قرية فيها امراة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت افيكم فلان الكردي فقلنا نعم فاخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي اعط هذه الثياب لفلان الكردي هو واصحابه قال فاخذنا الثياب وسرنا من عندها حتى دخلنا مكة والحمد لله على ذلك (وحكي عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه انه قال ﴾ كنت جالسا ببغداد انتظر جنازة لأصلي عليها وأهل بغداد في طرقاتهم جلوس ينتظرون

ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها وتقصت نغمته فقال الهى ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك فقال الهى أوليس قد غفرتها لى قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن احمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يامر بدوابه ان تسرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور * وبالاسناد اخبرنا ابو بكر الجوزقى عن ابى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (واخبرنا ابو بكر) قال أخبرنا ابو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت ابى موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تحامل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالى لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى الى الجبال ارآنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود فى نفسه كيف يسمع صوتى مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام واخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانقلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة فى هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعني علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع فى القضاء بين الناس وقال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبى صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبى قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل فى المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه وأنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت

ما انتظره فاذا بفقير عليه آثار الدلال وللنسك يسأل الناس فقلت فى سرى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت الى منزلى وكان على شيء من الورد فى الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل على جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبنى النوم فنمت فرأيت في نومى ذلك الفقير وقد جاؤا به فى خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لى عن الخوان فقلت انا ما أغتبته انما قلت فى نفسي شيأ فقيل لى ما انت ممن يرضي منهم بمثل هذا اذهب اليه فاستحله مما كان منك قال الجنيد فاصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من اوراق البقل فاتيت اليه وسلمت عليه فرد على السلام ثم قال لا تعد الى مثلها يا أبا القاسم فقلت استغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لى ولك ثم ولي فلم أره رضى الله تعالى عنه ورضي عنا بهم اجمعين آمين (وحكي عن الجنيد ايضا رضى الله تعالى

فيهم الى أن ظهر فيهم المنكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعلم الرجل الذى كان عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتي حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال صاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فاخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تاخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا

(ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل ومامرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدي على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسال داود الرجل عن ذلك فجحد وسال الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتي أنظر في أمركما فقاما من عنده فاوحي الله تعالى اليه في منامه أن يقتل الرجل الذى تعدي فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فاوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ولد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه الف رجل من الانبياء وعلى يساره الف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروي انه ما فر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يا كل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالي صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فيا كل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين

فذلك

عنه انه قال) دخلت الكوفة في بعض اسفاري فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها اثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان بعض اروقتها جارية تغني وتنشد هذه الابيات

الايار لا يدخلك حزن ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف
اذا ما الضيف اعوزه المكان

قال الجنيد فمررت بعد ذلك بمدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسدود والجمع مبدود وقد ظهر عليها كابة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان

ذهبت محاسنها وبان شجونها
والدهر لا يبقى مكانا سالما
فاستبدلت من انسها بتوحش
بعد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار امرها الى ما ترى قال الجنيد ففزعت الباب الذي كان لا يقدر احدان يصل اليه فكلمتني جارية بكلام ضعيف فقلت لها ياجارية اين بهجة ذلك المكان وانواره واين

فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا (وروي) ان لقمان الحكيم راى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ماهو فاراد ان يساله فسكت حتي فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان مايراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق و يعقوب وساله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم و يعطيه من الفضل مثل لذى اعطاهم (فروي) السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان اداود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس و يوما يخلوا فيه بنسائه و يوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فارحني الله تعالى اليه انهم ابتلوا بلايا لم يبتل بها احد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وذو بذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان في اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفى بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فنتحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرآها امرأة من احسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سابغ بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها فى غزاة البلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ايوب صاحب بعث البلقاء ان ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الي ورائه حتي يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما كان سبب امتحانه ان نفسه حدثته ان يطيق قطع يوم بغير معارفة سيئة وعن الحسن اخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين و يوما لبني اسرائيل يذاكرهم و يذاكرونه يسألهم و يسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فاهوي

شموسه واقماره واين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت ياشيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الاقدار الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتسي من أحسن اليها قالت فقلت لها ياجارية مررت في بعض الاعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغنى بصوت شجي فمن تلك الجارية قال فبكت وقالت هو انا ولم يبق احد من أهل هذا الدار غيري فالويل لمن عرفته الدنيا فقلت لها ياجارية كيف يقر بك القرار فى هذا الموضع الخراب فقالت ياشيخ ما أعظم جفاك اما علمت أن هذا منزل الاحباب كيف افارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا انقلى وقوفا فى منازلهم
ونفس مثلك لا يقوي تحملها
فقلت والقلب قد ضجت اضالعه
والروح تنزع والاشواق تبذلها
منازل الحب في قلبي معظمة
وان خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف اتركها والقلب يتبعها
حبا بمن كان قبل الموت

اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فمازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فاصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى (وقال ابو بكر) بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل في الارض أحد يعمل عملي فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك العجب يا كل العبادة فان اعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلني الى نفسي سنة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان امر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم لبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحراس ان يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فماشعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فش في اشعارهم فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أصبر مني وان حارب كان ابطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان احدهما لما قال ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه واكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود انت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية الا ان داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولما عمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما اجترأ عليه يعني ما اكتسب من الوزر والاثم يرمى من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان لا ذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فانفق له غزوة فارسل أوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما

كان

يترلها

قال المجنيد فتركتها وهضيت وازداد قلبي تولها ووقع شعرها في قلبي موقعا وانما اعجبني قولها لانها ذكرت صفة الحب والمحبوب وصدقت في الوصف الذي ذكرته وصبرت على منازل الاحباب وملازمتها على ماهي فيه من شظف الحال وتجدد احزان الفراق سبحان من قهر العباد بكاس الموت (وحكى عن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه انه قال) خرجت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا امشي اذ عارضني عارض في طريقي يقتضي الخلوة والخروج عن الطريق اجادة فاخذت طريقا غير الطريق التي كنت ماشيا فيها فصرت امشي ثلاثة ايام بلياليها ماخطر على ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين ورأيت في وسطها بحيرة فلما رأيتها قلت هذه جنة وصرت متعجبا فبينما انا كذلك اذا بنفر قد اقبلوا على سيماهم سيما الآدميين وعليهم المرقعات الخ ان

كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرناه به عقيل بن محمد الفقيه المعافري عن ذكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليتصما عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده زلة داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على ان يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فاقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك * أخبرنا ابن فتحويه باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان قضي الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم آمنه لفتنته اذ زلت قدمي سبحان خالق النور الهي تبكي الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني سبحان خالق النور الهي لم أنعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أمرتني ان أكون للبتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهي خلقتني في سابق علمك كان ما انا صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيعاين هذا داود الخاطيء سبحان خالق النور الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم أقوم أمامك يوم تزل اقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي مضت النجوم وكنت أعرفها باسمائها فتؤنسني فتركتني والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور الهي امطرت السماء ولم تمطر حولي واعشبت الارض ولم تعشب حولي لخطيئتي سبحان خالق النور الهي انا الذي لا اطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي

فاتوا الى وسلموا على
فقلت وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته ثم وقع
في خاطري سؤالهم عن
كونهم من الجن أم من
الانس وان البقعة بقعة
غريبة فقال قائل منهم
قد جرت بيننا مسئلة
واختلفنا فيها ونحن
نفر من الجن قد سمعنا
كلام الله من نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم ليلة من
الليالي فسلبتنا نغمة كلامه
جميع الدنيا وقد قيض الله
لنا هذه البحيرة في هذه
البرية قال ابراهيم فقلت كم
بيني وبين اصحابي وهل
حضر هذا الموضع غيري
فقالوا ان هذا الموضع لم
يحضر اليه آدمي قبلك غير
شاب من أصحابك وتوفي
هنا وهذا قبره ثم اشاروا
الى شفير تلك البحيرة
فرأيت قبرا حوله رياحين
وروضة خضراء لم أر
أحسن منها ثم قالوا
اتدري كم بينك وبين
اصحابك فقلت الله اعلم
فقالوا مسيرة سنة قال
ابراهيم فتعجبت من ذلك
فقلت اخبروني عن الشاب
صاحب هذا القبر فقال
قائل منهم بينما نحن قعود
على شفير هذه البحيرة
نتذاكر المحبة ونتحاور
فيها اذا نحن بشخص قد
اقبل الينا وسلم علينا
فرددنا عليه السلام وقلنا

كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهي رق القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدى سبحان خالق النور الهي الطير تسبح لك وانا العبد الخاطىء الضعيف الذى لم ارع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذى اصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهي انا المستغيث وأنت المغيث فما يدعوا المسيئ الا المغيث سبحان خالق النور الهى اسألك بابى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ان تعطيني سؤلى سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدني من رحمتك لهوانى فانك ارحم الراحمين سبحان خالق النور الهي انى اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهى انى اعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك من ذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهى فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتي الزم لى من جلدي سبحان خالق النور قالوا فاناه النداء اجائع انت فتطعم أوظمآن انت فتسقى اومظلوم انت فتنصر ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة فهاج منها ماحوله ثم نادى يارب الذنب الذى أصبته فنودي يا داود ارفع راسك فقد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام اتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يارب كيف وانت لا تظلم احدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وانا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتى وايقظنى قال انا داود قال ماجاء بك يا نبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتنى للجنة وانت فى حل فاوحى الله تعالى الي داود عليه السلام ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى الا بالحق الا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه يا أوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتى قال انا داود قال يانبي الله ماحاجتك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك وانى قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى ان تعفو عني وصاحبي لم يعف عنى قال يا داود وان يعف أولم يعف فانا أعطيه يوم القيامة ما لم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له قد رضيت عبدى فيقول يا رب من أين هذا ولم يبعه عملى فاقول هذا عوض من أجل عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفي وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا فى قوله تعالى وان له عندنا لزلفي وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين محمد بن محمد بن على اخبرنا بكر بن احمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقى قال النضر الكبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المرنى قال حدثنا محمد بن المنكدر عن

عن

له من اين اقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له متى خرجت منها فقال منذ سبعة ايام فقلنا له وما الذى ازعجك منها واخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلنا له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة ان يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله اراد ان العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه اولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمة الله عليه فواريناه بالتراب وهذا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوه لي فدنوت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كانها رحا عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة اخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ماهو مكتوب على النرجس وفسرته لهم فوقع بهم الطرب فلما افاقوا قالوا قد وجدنا جواب مسئلتنا فوقع النوم على فما انتبهت الا قريبا من اصحابى بمسجد

محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رأيت الليلة في منامي كاني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الي السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت انت يا أبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال انت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترفاله دمعة ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني اربعة ايام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسبح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدنه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الي الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسي رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجيء الرهبان اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فاجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ماترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان ابن أبي عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحي الاهي أنت أطباء عبادك ايداوني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الارض أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما اصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فاتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما اكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادي فقال انا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت انت قال داود فمن انت قال انا راهب راغب منز ومترقب قال فمن انيسك ومن جليسك قال اصدتراه ان كنت تريد ذلك قال فتخال داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا انيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت الف عام وبنيت الف قصر والف مدينة وهزمت الف عسكر وتزوجت الف امرأة وافتضضت الف بكر فبينما اتاني ملكي اذا اتاني ملك الموت فاخذني واخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون انه مريض ومابه الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا

عائشة رضي الله تعالى عنها فوجدت في وطائي باقة نرجس فمكثت معي سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها اسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا ﴿ وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال ﴾ رأيت في منامي كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذا هم يلتقطون شيأ لا ادري ماهو فتعجب من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم فدنوت منه فسلمت عليه وسألته ما الذي يلتقطه هؤلاء فقال يلتقطون مايهدى المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء فقلت له لم لا تلتقط معهم فقال اني غني عن ذلك فقلت له باي شيء انت غني فقال بختمة يقرؤها ولدي يهديها الي في كل يوم وليلة فقلت واين هو فقال شاب يبيع الزلابية في السوق الفلاني قال فلما استيقظت من نومي ذهبت الى السوق فاذا بشاب جالس يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فاتيت اليه وقلت له باي شيء تحرك شفتيك فقال

فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فمسالك ان تغفرلداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لايجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطىء ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذرعليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفرت لي قال نعم قال فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين الي يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (واخبرنا) عبدالله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت اوصاله ولا يشدها الا الاين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن ابي عبدالله البجلي) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿ باب في ذكر خروج ابن داود على ابيه وما كان من امرهما ﴾

قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من أمره وامر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع اهل الزيغ من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف امر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعاهذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين اظهرهم مع ابن اخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فاشار قومه على ابنه ان يقتل اباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت انت بنبي اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد اذن لك في هلاكه فلا تباشره انت فانه لا يحمل في الاخرة حدوثه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه ان يتوقى حتفه ويتلطف في اسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود ان يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت اوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى ان قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب في قصة اصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطىء البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وامرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمن داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر

ختمة اقرأها واهدي ثوابها الى والدي في قبره قال فمكثت بعد ذلك مدة من الزمان فرأيت في بعض الليالي كما رأيته أولا وهو اون اهل القبور يلتقطون واذا بالرجل يلتقط معهم كما يلتقطون فاستيقظت متعجبا وذهبت الى السوق لانظر ما فعل بالشاب فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه فسألت الله تعالى ان يريني مقامات اهل المقابر فرأيت في نومي كان القيامة قد قامت والقبور قد انشقت فاذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرير ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة الواحدة فنادي منادٍ من اهل القبور ياهذا انما هي منازل الاعمال ومحطات الرجال (فاما) اصحاب السندس فهم الخلق الحسن (واما) اصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء (واما) اصحاب الريحان فهم الصادقون (واما) اصحاب الضحك فهم اصحاب التوبة (واما) اصحاب البكاء فهم المذنبون

البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا وهم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت ابا القاسم) قال سمعت ابي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحدا فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان اني اجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني اراي الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه اخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم اخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت اموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صاروا هل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنا عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة انسباءهم من الانس ولم تعرف الانس انسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وعاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو النضر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

﴿ باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث ﴾

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

قال فاستيقظت من نومي مفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ورحمنا والمسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكى عن صالح المري رضي الله تعالى عنه انه قال (أقبلت ليلة جمعة الى الجامع فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فغلبني النوم فنمت فرأيت في منامي كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى اقبلت الملائكة بايديهم اطباق من نور مغطاة بمناديل من نور فاخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الاطباق ودخل في قبره الا هذا الشاب فتعلقت به وقلت له ياعبد الله مالي اراك حزينا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء ودعاءهم لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة ويوم عاشوراء ثم بكى بكاء شديدا وذكر ان له والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت وتركته وقد تخلف له الحزن والبكاء والنحيب اذ ليس له من يتذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته اين هو فوصف لي الموضع فلما

اصبحت ذهبت الي بيت
والدة الشاب وطرقت
عليها الباب فكلمتني من
خلف الستر فقصصت
عليها القصة فلما سمعت
ذلك بكت بكاء شديدا
ثم قالت ياصالح خذ هذه
الالف درهم فتصدق بها
على ولدى وقرة عينى وانا لم
انسه بقية عمري ان شاء
الله تعالى قال صالح
فتصدقت عليه بتلك
الدراهم فلما كانت الجمعة
الاخرى اقبلت اريد
المسجد على العادة فاتيت
المقبرة واسندت ظهرى
الى القبر فنمت فاذا بالناس
قد خرجوا من قبورهم
واذا بالشاب عليه ثياب
بيض وهو فرح مسرور
فاقبل نحوى حتى دنا مني
وقال جزاك الله عني خيرا
يا صالح قد وصلت الهدية
قال صالح فقلت له أنتم
تعرفون يوم الجمعة فقال
نعم وان الطيور يعرفون
يوم الجمعة و يقولون ليوم
الجمعة سلام سلام اللهم
ارحمنا برحمتك واغفر لنا
وللمسلمين (وحكى عن
ذى النون المصرى رضي
قال الله تعالى عنه) انه
بينما انا سائر فى واد من
الاودية اذ مررت على واد
كثير الاشجار والنبات
من خضرته وانهاره
وكثرة عشبه وازهاره

(قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فاسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء قال ابن عباس وقتادة أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله و يأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح أن راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدي عشرة سنة فقال لهما ماقضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ماأخبرتني بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها و يعمل الراعى فى اصلاح الكرم الي أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضي به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد نصيب

﴿باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء امر الخاتم﴾

قال ابو هريرة رضي الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالي اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو اخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين ايديهم وقال يابني ان الله تعالى انزل على كتابا من السماء فيه مسائل وامرنى ان اسألك عنها فان اخرجتها فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بداله وما توفيقى الا بالله قال داود يابني ما اقرب الاشياء وما ابعدها وما آنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء وما اكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء فالآخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وما انس الاشياء فجسد فيه روح واما اوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وما احسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما اقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وما اقل الاشياء فاليقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائمان فالسماء والارض واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحياة واما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب واما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكروا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضي حتى نسأله عن مسئلة فان اخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام

سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يامرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو افضل منه واعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بلغني مقالتكم فارونى عصيكم فاى عصا اثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتا واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صل بهم الغداة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي واما عصا سليمان فقد اورقت واثمرت قالوا فسلموا الامر فى ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتى عليكم من بعدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء اقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغني واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء وتردد على عالم ولا تمارة في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى امره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابى انت وامي ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك فى مؤنة ابى فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان انى ماعملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثانى مضي حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتعطيني شيأ قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عزوجل واخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه فى اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث ابوها ان مات فلما مات حمل المرأة واباها الى اصطخر والله اعلم

﴿ باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام ﴾

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ ابا عمرو الفارابى يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده فى العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما فى وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها انا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له انا الذى ادخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له

فسمعت صوتا اهطل مدامعى وهيج بلبالى فتبعت الصوت حتى اوقعنى بباب مغارة فاذا فيها رجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من اوصل الفهم الى عقول ذوي البصائر فهى لا تعتمد الا عليه سبحان من اورد حياض المودة نفوس اهل المحبة فهى لا تحن الا اليه ثم امسك فقلت السلام عليك ياحليف الاحزان وقرين الاشجان فقال عليك السلام ياذا النون ما الذى أوصلك الى من افرده خوف المسئلة عن الانام فاشتغل بمحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذوالنون فقلت له اوصلتني اليك الرغبة فى الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قلوب المقربين الابرار فقال الرجل بلغني ان لله سبحانه وتعالى عبادا قدح فى قلوبهم زند الشغف ونار الاسف فارواحهم لشدة فرحها تسرح فى رياض الملكوت وتنظر الى دخولها في حجب الجبروت قال ذو النون فقلت له ياسيدى صفهم لى فقال أولئك هم قوم آدوا الى كهف رحبته وشربوا من كؤس شرب

محبته وخلوا بمنادمة انسه
ثم انشد يقول
قد كان لي دمع فافنيته
وكان لي جفن فاد ميته
وكان لي جسم فابليته
وكان لي قلب فاضنيته
وكان لي ياسيدي ناظر
أري به الخلق فاعميته
عبدك اصحي سيدي موثقا
لو شئت قبل الموت اطلقته
ثم قال مخاطبا الله تعالى
سيدي بهم فالحقني
ولما وفتهم وفقني
قال ذو النون فقلت سيدي
أوصني بوصية انتفع بها
فقال عليك بتقوى الله في
السر والعلانية فان من
احبه الله شوقه الى لقائه
فان له يوما يتجلى فيه على
أوليائه ثم غاب عن بصري
فلم اره نفعنا الله تعالى بهم
و بعلومهم ومدنا من مددهم
آمين (وحكى عن الواسطي
رضي الله تعالى عنه) انه
قال بينا انا سائر في البادية
ذ رأيت اعرابيا جالسا
منفردا بنفسه فدنوت
منه وسلمت عليه فرد على
السلام فاردت ان اكلمه
فقال اشتغل بذكر الله
تعالى فان ذكره شفاء
القلوب ثم قال كيف يفتر
ابن آدم عن خدمة خالقه
ورازقه وكيف يشتغل عن
ذكره والموت في اثره
وكيف يستعين بغيره وهو
ناظر اليه ثم بكى فبكيت

اذا فانت ملك الموت قال نعم قال اجئت داعيا ام ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا ارسلت الى قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كما ارسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي ارسلت الي فقال يا داود اين ابوك ايشا واين امك اين اخوك واين جارك اين قهرمانك اين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت انهم رسلي اليك وان النبوه تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعني قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء ينعي اخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بانك عنهم معزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين واما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب في صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان ابيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه في ايام ملكه يشاوره في كثير من امور مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فاجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب اي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض الا اتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بمعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث اراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي ان رجل نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض اصحاب سليمان أما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه وسبنيا

وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغني تمر بمسكره الريح الرخاء تهوى به الى حيث اراد وانها تمر بالمزرعة فلا تحركها واخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه والقته في اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى اتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (اخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن محمد ابن كعب القرظي قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له الف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحي الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض انى قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا جاءت به الريح اليك فاخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لد واللموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيراً تجدوه فمن ثم نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت ابدا وصاح غراب فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح اذكروا الله يا غافلون (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم

معه شفقة عليه ثم قلت له
يا حبيبي مالي اراك وحيد
فقال ما انا بوحيد والله معي
وما انا بفريد فالواحد
يؤنسني ثم قام ومضي
مسرعا وقال سيدي ان
اكثر خلقك مشغول عنك
بغيرك وانت عوض عن
جميع ما فات مني يا صاحب
كل غريب ويا مؤنس كل
فريد وجعل يمشي وانا
خلفه فالتفت الي وقال
ارجع عافاك الله الى من
هو خير لك مني ولا تشغلني
عمن هو خير لي منك ثم
غاب عن بصري فلم اره
رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به ومدنا من مدده في الدين
والدنيا والآخرة آمين
(وحكى عن ذي النون
المصري ايضا رضي الله
تعالى عنه) انه قال بينما
أنا في الطواف اذ لمع نور
ملحق بعنان السماء
فتعجبت من ذلك النور
فاتممت طوافي وأسندت
ظهري الي الكعبة متفكرا
في ذلك النور فسمعت
صوتا شجيا بنغمة ذي
خشية فتبعت
الصوت حتى اوقفني
بجارية متعلقة باستار
الكعبة وهي تبكي وتنشد
وتقول
انت تدري يا حبيبي
من حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والدمع

العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين و عد الضالين كما يعدها القارىء
(وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لاصحابه
اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء
(وأخبرنا) ابو عبدالله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما
(وروي) أن قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثي ألم أنهك ان تبيضي في طريق
سليمان الملك لو ركب إلينا لحطم بيضنا فقالت الانثي ويحك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فسمع سليمان
قولهما فبعث إليهما جنيا حين أراد ان يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء
فلما مر سليمان في موكبه وجاء زهما قالت الانثى ألم اقل لك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر
للانثي عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة
ادخرتها لولدي قال فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه
فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على
رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان
الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا انبئكم بخبر
هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل
في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بنملة
عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا
تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى)
(وحكى) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش
اما علمت انى امة من انت عبده فغشي على سليمان فلما افاق قال ائتوني بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدي
رقيق و بدني ضعيف واخذتني ورميتني فقال لها سليمان اجملني في حل فاني لم اقصد ذلك فقالت
بشرط ان لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين احد
بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصد وادي النمل) قال الله تعالى
وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس اولهم على آخرهم حتى اذا
اتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان
اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتبه في مركبه الذي هي له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل
فيها اثنا عشر الف الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين الدواب امامه فيطبخ
الطباخون و يخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فساروا
من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان
هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم اتى ارض الحرم فرأى حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت
ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم
يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد حولي من دونك قال فاوحي الله تعالى اليه لاتبك فاني سوف

ع يبوحان بسري
قد كتمت الحب حتى
ضاق بالكتمان صدري
قال ذوالنون فلما رأيتها
وسمعت ذلك بكيت
فقالت الهي وسيدي
ومولاي بحبك الا ما
غفرت لي فقلت لها
ياجارية اما تتقين الله في
مثل هذا المقام تتكلمين
بمثل هذا الكلام وتقولين
بحبك لي من اين عرفت
انه يحبك فقالت اليك عني
ذا النون اما علمت ان الله
سبحانه وتعالى اقواما
يحبهم ويحبونه فهو احبهم
قبل ان يحبوه اما سمعت
قوله تعالى في كتابه العزيز
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
و يحبونه فسبقت محبته
لهم قبل محبتهم له قال
ذوالنون فقلت ياجارية
من اين عرفت اني ذو
النون ولم تريني قبل ذلك
اليوم فقالت اليك عني
يابطال جالت القلوب في
ميدان الاسرار فعرفني
بك العزيز الغفار قال ذو
النون فقلت لها ياجارية
مالي أراك ضعيفة البدن
نحيلة الجسم ومابك سقم
فانشدت تقول
محب الله في الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للباري محبا
يهيم بذكره حتى يراه
ثم قالت ياذا النون انظر

املؤك وجوها سجدا لى وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك في آخر الزمان نبيا هو احب الانبياء الى واجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادى فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الي ولدها والحمامة الي بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم امر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا ياخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن ادركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال قريب من الف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى اتى على وادي السدير واد من الطائف فاتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فاخبرني ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل خرمى فنادت لما رأت سليمان في موكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح والقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدى الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها فاتوه بها فقال لها حذرت النمل هل سمعتم اني ظالم اما علمتم اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يانبي الله اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني ما اردت حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين ما اعطيت فيفتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى ابوك داود قال قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بابيك داود ثم قالت اتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي الآية (اخبرني) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء في اثبات القضاء والقدر) اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انكن تاتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدي ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان الا اخبرك باعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في امنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يانبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يانبي الله انا ابطل القدر وافرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها اليومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظما ووجها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثدي امرأة واصبعها كذلك فحملت في الهواء حتى اشرفت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وابصرت الجارية وهي في مهدها وقد اجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية من خلفك فالتفت خلفه فلم أر أحدا فرددت وجهي نحوها فلم ارها ولم ادر اين ذهبت فتاسفت على فراقها وتوسلت الى الله تعالى بها فرأيت ببركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نفعنا الله بها (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) امسك الغيث عن بغداد سنة من السنين حتى كاد اهلها ان يهلكوا فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى ان يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك في ايام خلافة هرون الرشيد رحمة الله تعالى عليه فبينما هم يلوذون ويتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من اهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث اغبر لا يلفت اليه ومعه ثلاث بنات عذار كانهن الاقمار فوقف ببناته في الطريق فمر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال ياقوم مالكم مجتمعين فقالوا له ياشيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالى ان يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم

لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على الف غصن كل غصن كاعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيأ وطيأ وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تاتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم امرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلوا نه ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو اكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون ما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيء غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فارسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى واصبح الغلام فراى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طوله لا يدرى اين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها في عرض اذن الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمرة بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا ارى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وارى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى امضي وابصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة او أثر آدمي في تلك الجزيره وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لانها اخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ اصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فخانت منه التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انا من خيار الانس فمن انت فافهمها لغته فقالت لا ادرى ما تقول وما انت الا اني أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي امي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام واين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لي امي العنقاء عن ملكه وانها تخبرني انه احسن الناس وجها واتم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبي

أن الصحراء تسألونه اليس هو في كل مكان موجودا وبساط اجابته لجميع خلقه ممدودا اما سمعتم قوله تعالى وهو اينما كنتم والله بما تعملون بصير قال فبلغ هرون كلامه فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سريره ثم قال ائتوني به فلما حضر بين يديه وسلم بعضهم على بعض صافحه هرون واجلسه بجانبه ثم قال له ياشيخ ادع الله تعالى ان يسقينا غيثه عسي ان يكون لك عند الله جاه قال فتبسم الشيخ وقال ياهرون اتريدان اسأل لك الهي ومولاي فقال نعم توبوا بنا الى الله تعالى قال فنودي بالتوبة فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم اخذ بناته عن يمينه وعن شماله وبسط يده الى خالقه وأسبل دمعه على خده وجعل يدعو بدعوات لم يسمع احسن منها قال فما استتم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأمطرت كافواه القرب قال ففرح الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص رعيته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هرون على بالرجل

دولته وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت الجارية ما يبكيك قال وجدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحد ان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء والرغد واللذة الحسنة مع الارواح يتعانقون ويتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقي أرايت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك من يمنعك ان تقعى في البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معي انسى مثلك يحدثني بمثل حديثك ويحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام اولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحمك وساقنى اليك لأكون لك الفا وصاحبا وانيسا وانى لمن اولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير لى وأصير لك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضني الي صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وماشأنك فاخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبرني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وانى لمزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزنى فانى استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنس لك فلما اصبحت اخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكنى سانحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه واخرج ما فيه واطيبه بطيب معى وادخل انا في جوفه والقى على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملفاة على كوثل هذه السفية فلو اختطفتيها وحملتيها الى فكانت معى فى وكري فانظر اليها وآنس بها كان احب الى من تراب كونك عندى نهارا وازمساك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه فى المقام يوما والغد ويوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لا أريدان تتخلفى عنه نهارا لمكان اخبار سليمان واخبار المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أرى شيأ مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي اراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحتمليها الى لاستأنس بها وانظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام فى بطنها فحملتها الي عشها فقالت الجارية يا أماه ما احسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بني لو علمت لكنت اتيك بمثل هذه منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها واحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما لصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه خبر اجتماعهما من قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وامرها ان لا تدعوا طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم امر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليه وامر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيأتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم نشهد بالله ان نبي الله قد اهمه عظيم فاول سهم قد خرج فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدعي على زوجها وكان قد جحده ها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا

الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا فى الصحراء فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات ما بال أبيكن لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة ايام قال فاخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم انى اسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك ان تهبنا لهم وان تفيض علينا من بركاتهم فى الدارين وجميع المسلمين يا ارحم الراحمين ﴿وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال﴾ امسك الغيث عنا سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالي ان يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا واصاغرنا واولاد المكاتب فلم نزل ندعو ونتضرع الى الله تعالى وهم يؤمنون على دعائنا ولم يزدد النهار الا صحوا ولا الشمس الا حرا فمل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرت انا ورفيقى فى الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهمين فدخل المسجد وصلي ركعتين فلما سلم قال الهى وسيدى ومولاى

أدرى هل هو مني أو من غيرى قال فامر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من الفساد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحد بعدها الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت باطيور سفدنى اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لى من القوة والاستطاعة ما ادفع الشر وافعل الخير فقال لها سليمان فاين الشرط الذي كان بيني و بينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله اكبر فانى بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطيران يكون معها لا يفارقها حتي تاتى بها فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف اجنحتها فيبادر الغلام و يدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شانا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى لعمرى ان لى شانا هذا سليمان قد امر باحضارك الساعة لامر كان بيني و بينه في أمرك وانى لا أرجو انصرافى اليوم فيك قالت لها كيف تحمليني قالت على ظهري قالت وهل استقر على ظهرك وانى أرى اهوال البحر فلا آمن أن انزل فاسقط واهلك قالت في منقارى قالت فكيف اصبر في منقارك قالت لها وكيف اصنع ولا بد لى من أحضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة فقالت لها ادخلى فى جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك او فى منقارك فلا ارى شيئا ولا اسقط ولا افزع من شيء قالت اصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله هى الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن على خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة مشيئة العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ولكن من شاء الله ان يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحدا ان يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل ولا يعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معى في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله اكبر اين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله قال سليمان انت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قد رد الله السابق قبل الخلق اخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة ففتحت جوف الفرس واخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فاخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا و بختها الطير واجتمعت عليها وقالت يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شان العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب

(ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر في قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود الف فرس وكان ابوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت

الشمس

لم رددت عبادك وفقراءك
وعيالك افرغ ما عندك
أم نفدت خزائنك ثم
قال بحبك لى الا ما سقيتهم
الغيث قال مالك فوالله
ما فرغ من دعائه حتى
تجللت السماء بالسحاب
وأرعدت بالبرق واسبلت
مطرا كافواه القرب قال
مالك فقلت والله ان هذا
لعظيم الجاه عند الله تعالى
ثم قام وخرج من المسجد
فتبعناه ونحن نخوض في
الماء للركب فما زال يمشى
ونحن نتبعه من بعيد حتى
دخل بيت رجل نخاس
كنا نعرفه فلما دخل البيت
انصرفنا الى بيوتنا وقد
اشتغلت بحبه فلما اصبح
الصبح جئت الى النخاس
لشراء الغلام فلما رآنى
سلم على وقال ما تريد يا مالك
فقلت أريد غلاما عندك
فقال النخاس وأى غلام
هو فان عندى مائة غلام
قال مالك فتحيرت في نفسى
حيرة شديدة اذ لم اكن
أعرف للغلام اسما فقلت
اعرض على الغلمان
فعرض على ثمانين غلاما
واحدا بعد واحد فلم أر
فيهم ذلك الغلام ثم التفت
خلفي فرأيت موضعا
خربا فمضيت الى ذلك
الموضع فاذا بالغلام قائم
يصلى فلما نظرت اليه
قلت هو هذا ورب الكعبة

الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلم احد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعقر بها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فمانى ايدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فامر بضرب اعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل ابدله الله تعالى مكانها خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل فى اصخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من ارض العراق غاديا فنال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى ارض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد امر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق ان يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش انى قد ابحت لهم * بناءا تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بارض كسكر أنشاها بعد اصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان امر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبى المطهر
لهم فى معالى الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة اسرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

﴿ رجعنا الى القصة ﴾ وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من الغبار قال وهى رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجما لاهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونني ويحمدونني ويكبرونني فتسبحنى اذا سبحوا وتهللنى اذا هللوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا لقاءا عناقها كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه

فقال النخاس وما تصنع بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وما شؤمه ومكره فقال النخاس خذه وارحنى منه قال مالك فاخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يا مالك هذا الثمن كثير فى هذا العبد فقال مالك والله انه قليل فى ثمنه وانى راغب فيه ثم اخذت بيده فقلت له ما اسمك يا غلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يا مولاى ما تصنع بى فقلت له للخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتى لله رب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حملنى على ذلك ما رأيته منك بالامس فى المسجد الخرب الذي بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما اقبلنا الى مسجد كان قريبا من المنزل قال يا مولاي تاذن لى ان اصلى فى هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاي كانت المعاملة بينى وبينك سرا والآن قد علمها المخلوقون فاقبضنى اليك الساعة ثم شهق شهقة

عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك اذل الله المشركين واذل بك اعناقهم وملا بك اذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اخترمن خلقي ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعزولدك خالدا ماخلدواو باقيا مابقوا بركتي عليك وعليهم ماخلقت خلقا احب الي منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبناه عين النحاس أسيلت ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس و طير والوحوش والشياطين يعملون له مايشاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته فما عملت له الشياطين بامره واحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون واشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقواترا به بين خانقين وقصر شيرين ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار و يستخرجون انواع اللآلىء والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم اول من فعل ذلك

﴿ حديث القبة ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم امواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له احترلي من اصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال له اخترلي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اخترلي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اخترلي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتاتيني بالخبر فقال سمعا وطاعة لك يانبي الله فغاص البحر وابعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يانبي الله مارأيت الا امواجا وحيتانا غيراني رأيت ملكا عظيما فقال لي اين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان ارسلني انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ اربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من احدهم قدوم فهو يتعاجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه واخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولهاعما كان قصد قال فبينما هو على شاطىء البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب ابيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من الجن انت ام من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يانبي الله كانت لي والدة وكنت من ابر الناس بها اطعمها واسقيها بيدى ولا اترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو الى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت برولدى فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت على ابو بها وتزاخرت الامواج وكان هذا آخر عهدى يانبي الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يانبي الله اذا كان الليل جاءني طائر ابيض في

فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضحك في موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كانهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فسلما علي وقالا عظم الله أجرنا وأجرك في ميمون ثم أعطاني أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك ففسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بي قد انقطعت عن الركب وصرت وحدي في البرية ولم ادر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لي شخص امامي فاسرعت نحوه فاذا هو غلام لانبات بعارضيه كانه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشي ويتبختر كانه في صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا أبراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله

منقاره شيء ابيض فيدفعه الى فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان ومن اين تعرف الليل والنهار وانت في ظلمة هذا البحر قال يانبي الله في القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال يانبي الله ان تشأ تاذن لي ان اعود الى قبتي فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليها يا كلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشرة جزر

﴿قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل سقفين عشرة اذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلظ من الحديد واعلاها ارق من الماء يري من داخلها ما وراءه خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم ابيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان الف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه واولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يا كل ويشرب وينام ويتمتع بها في اسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي لخيله ودوابه (ومما) عملوا له كرسي ملكه

﴿صفة كرسي سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام امر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه للقضاء وامر ان يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل او شاهد زور لارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ الزبرجد وانواع الجواهر وحفوه باربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان ان اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي الف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي الف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بلبلان

من أين عرفتني ولم ترني
قبل ذلك اليوم فقال
ماجهلت منذ عرفت ولا
قطعت منذ وصلت
قال ابراهيم فقلت له
ما الذي أوصلك الى هذه
البرية في مثل هذه السنة
الكثيرة الحر قال يا ابراهيم
ما أنست بسواه ولا رافقت
أحدا غيره وأني منقطع
بالكلية مقرله بالربوبية
قال ابراهيم فقلت من اين
المأكول والمشروب فقال
تكفل بي المحبوب قال
ابراهيم فقلت له يا غلام أما
تخاف من بعد السفر
وطول المشقة فانشد يقول
شعرا

من ذا يخوفني بالبر أقطعه * الي الحبيب وقد قدمت إيمانا
الحب اقلقني والشوق أزعجني
فلا يخاف محب الله انسانا
فان اجوع فذكر الله يشبعني
ولا أكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجدي فيه يحملني
الى الحجاز ومن اقصى خراسان

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك يا غلام ما عمرك فقال اثنتا عشرة سنة فقلت والله لقد

من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما و يضربان الارض باذنابهما و ينشر النسران والطاوسان اجنحتهما فتفزع منه الشهود و يدا خلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج و يتوجع منها حتى مات و بقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداد فهزم خليفة بختنصر و رد الكرسي الي بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿ صفة بنيانه و بدء أمره ﴾

قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ماذكره اهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك فى نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فاعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فامر بعدهم و بعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم ان يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يقدرون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام واوحى اليه يا داود قد علمت انى وعدت ابا ك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبر واتم امرى بان اباركه فى ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصي عددهم فاردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانا قد اقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم و يذهب عنك اعجابك بهم وكثرتهم فاختاروا اما ان ابتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة اشهر أو الموت ثلاثة ايام فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا انت اعلم بما هو اسر لنا وانت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فامرهم داود ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى و يتضرعوا اليه لعله يرحمهم فارسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم فى يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما اصبحوا فى اليوم الثانى خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى و يقول يارب انا آكل الخل الحامض و بنو اسرائيل يضرسون يعني اذا نبت و بنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء ففي انزله واعفى عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم

فجددوا

أدهشني ما سمعت منك
فتبسم وقال الحمد لله
الذى أولانا من نعمه
وفضلنا على كثير من عباده
فتعجبت من حسن وجهه
وحلاوة منطقه وقلت
سبحان الخالق المصور
فاطرق رأسه ساعة ونظر
الى وقال يا ابراهيم ان
المنقطع من قطعه الحبيب
والمواصل من أخذ من
أخذ من الطاعة بنصيب
فهل أنت منقطع عن
الحجاج يا ابراهيم قلت له
نعم سألتك بالله ان تدعوا
لى ان ألحق من سبقني من
أصحابي قال فنظر الى السماء
وحرك شفتيه فاخذتني
سنة من النوم فما استيقظت
الا وانا في وسط الحجاج
ورفيقي يقول لي أحذر أن
تقع من على الراحلة ولم أدر
أين ذهب الغلام فسألت
الله أن يجمعني به قبل
الموت فلما دخلنا مكة اذا
بالغلام متعلق باستار
الكعبة وهو يبكي
و ينشد و يقول شعرا

تعلقت بالاستار والقبر
زرته
وانت بما في القلب والسر
أعلم
أتيت اليه ما شيا غير راكب
وانى على صفر محب متيم
هو يتك طفلا حيث لا
أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم

فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا لله تعالى فاخذ داود فى بنائه فلما أرادوا ان يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبونى عن حقي فقالوا ياهذا امامن أحد من بنى اسرائيل الاوله فى هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن البخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا أعرف حقى وانتم لا تعرفون حقكم فقالوا له أما ترضي وتطيب نفسك والا اخذناه منك كرها فقال لهم اتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم تاخذه منه يانبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدنى يانبى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدنى قال بمائة بعير قال زدنى يانبي الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم اعطكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل انت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ماشئت قال انت اكرم على الله منى ولكن ابن لى حوله جدارا مشرفا ثم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يانبي الله لان يغفر الله لى ذنبا واحدا أحب الى من كل شيء وهبت لى ولكني كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخيار بنى اسرائيل حتي رفعوه قامة وعجزوا فاوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء واست ببانيه ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضى اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره واجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى ان توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فامره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وارسل الجن والشياطين فى تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافى من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون انواع الدر وفريق يقطعون انواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق ياتون بالمسك والعنبر وانواع الطيب من اماكنها فاتى بشيء من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبى الله ليس في الجن اكثر تجارب ولا اكثر علما من صخر المفريت فارسل اليه من ياتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لم يمتنع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه احد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه به وهو في بعض جزائر البحر فاروه الطابع فلما نظر اليه كاد ان يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما احدث المفريت فى طريقه فقالوا يانبى الله انه كان يضحك فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بتمردك على وترك المجيء الى طاعتى حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبى الله انى لست اسخر منهم غير ان ضحكى كان تعجبا مما كنت اسمع واراى فى طريقي فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريدان

وان كان قد حانت الهي منيتي
لعلي بوصل منك أحظي وأغنم

قال ابراهيم ثم ارخى عينيه وخر ساجدا فاتيت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فتاسفت لذلك ومضيت الى رجل لآخذ له منه كفنا واستعنت برفيقي حتى يساعدنى على تجهيزه فاتينا اليه فلم نجده فتعجبت من ذلك وسالت عنه من الحجاج فلم يخبرنى به احد فعرفت انه مستتر عن أعين الناس وما رآه احد غيرى فرجعت الى مكانى ولم افتر عن ذكره فلما جن الليل نمت فرأيته فى المنام وهو فى موكب عظيم وعليه نور ساطع وعليه من الحلى والحلل ما يعجز عن وصفه الواصفون قال ابراهيم فقلت له ألست صاحبي بالامس فقال نعم فقلت له والله لقد طلبتك لاغسلك وأكفنك فلم أجدك فقال يا ابراهيم ان الذى اخرجنى وبحبه شوقنى وعن أهلى غربني هو الذى كفنى وما اوجني قال ابراهيم فقلت له ما فعل الله بك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال ما بغيتك قلت انت غرتى فقال الله عزوجل

أنت عبدى حقا ولا أحجب عنك كل ماتريد فقلت سيدى أريدان تشفعني فى القرن الذى مت فيه فقال الله عزوجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صافحني فاستيقظت من منامى فرحا مسرورا فلما اصبحت قضيت ما كان على من فرائض الحج ولم يفترقلبي عن ذكر الغلام وسرت في حملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم أزعجت الناس من طيب رائحتك قال ولم تزل رائحة الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات (وحكى عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) انه قال كنت سائرا فى طريق مكة على الوحدة فملت عن الطريق فمكثت أمشى يومى وليلتى حتى أدركني المساء فاغتممت لذلك غما شديدا لاجل الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لى ياأبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب نظيف الاثواب فسلمت عليه فرد على السلام فوجدته مطرحا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ماالذي اتى

يسقيها وجرة يريدان يستقى بها فى البغلة وملا الجرة ثم ارادان يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت ايضا برجل آخر وهو جالس عند سكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربع سنين ونسي نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من امور السماء وقد كنت عهدت رجلا فن في موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل فى بعض المدن وقد كان به داء فيما قبل فاكل البصل فبرأ من دائه فصار يطب الناس وكان لا يأتيه احد يسأله عن علة الا امره باكل البصل وانه لا اضر شيء حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت التوم وهو افضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك في البحار شيأ ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يانبى الله اعرف حجرا ابيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا اعرف معدنه الذى هو فيه وليس فى الطير شيء احيل ولا اهدي من العقاب فامر بفراخه فان تجعل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فامر سليمان بفرخ العقاب أن تضم فيه صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن افراخه فمر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى انوه منه بقدر ماعلم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في ادوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبني سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وانواع الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروز فلم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه الله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط اعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة اكثر منه فذبح فيه من الجزر الف جزور ومن البقر خمسة وعشرين الفا معلوفة ومن الغنم اربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك على وجعلتني خليفتك على ارضك واكرمتني به من قبل ان اكون شيأ فلك الحمد اللهم انى اسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله احد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته واغنيته واذا اجبت دعوتى واعطيتني طلبتى فاجعل علامته ان تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين

الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامره والله اعلم

﴿باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين الآية قالت العلماء باخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم اقام به ماشاء الله ان يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم احب ان يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافي صنعاء وقت زوال وذلك مسيرة شهر فرأي ارضا بيضاء حسنة تزهو بالخضرة فاحب النزول بها ليصلي ويتغدي فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يري الماء من تحت الارض كما يري احدكم الكاسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيستخرجونه كما يستخرج الاهاب يستخرجوا الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الي نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأي بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والقيل هو الفائد بلغة اهل اليمن فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على عيرماء فسال الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسال الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال اكثر

بك الى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا ابا اسحق قد دنت وفاتي وقد سالت الله أن يحضر عدوا لي وليا من أوليائه فرديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظرك فقلت له يا اخي ما الذي حبسك ههنا فقال يا أخي كنت عند أهلي في عزة وسرور فخطر على السفر واشهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت ألك والدان فقال نعم ولي اخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فاني احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة واتوا بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في امره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفي فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أذكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى

المفسرين كان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه و يدعه ممطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لا انتفنه ولاشدن رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه و بين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي اولياتيني بسلطان مبين اي حجة واضحة (وروي) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الي الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال بحق الذى قواك وأقدرك على الا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله سليمان قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طار امتوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال اولياتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يانبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذها وقال اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (اخبرني الحسين) بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة قال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذى ابطاك عني قال الهدهد ما اخبرالله به احطت بما لم تحط به اى علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابو بلقيس الذى يسمى البشرخ و يلقب بالهذهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك ارض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احد ابوى بلقيس جنيا قالوا فلما مات ابو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل الذى ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمديده الى حرم رعيته يفجر بهن فاراد اصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا ارغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجالي وقومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انما هي التي ابتدأتني وانى احب ان تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم انى احببت الولد ولم احبه منذ كنت ارغب عن هذا الساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حرت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المنا كحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ما قتلته ولكن رأيته قد عم فساده فاخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتبت امرها في المملكة وروي ابن ميمونة

باسناده

يغير على أوليائه قال ابراهيم فلحقني من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة وغشي على فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما هذه الا محنة عظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فارسل الله على النوم فنمت فما افقت الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم اجد له أثرا فتعجبت من ذلك وسرت حتى دخلت مكة فلما قضيت حجى توجهت الى بلد الشاب فاستقبلني نساء عليهن مرقعات وفي أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر و بيدها ركوة وهي لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتاملتها فما رايت أشبه بالشاب منها فقالت يا أبا أسحق انى في انتظارك لتحدثني عن اخى وقرة عيني ثم بكت وارتفع بكاؤها فبكيت معها ثم وصفت لها الشاب وما كان عنده من الرياحين فلما بلغت قوله احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قالت اخته قد بلغ الشم ثم سقطت الى الارض ميتة فاحتوشها أهلها وقالوا جزاك الله خيرا

باسناده عن الحسن بن علي عن ابي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوما ولوا امرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿ صفة القصر الذي بناه بلقيس ﴾

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة باواح الرخام والحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة وجعلت فيه اى في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برخام من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

﴿ صفة عرشها ﴾

كان مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد اخضر وقائمة من در اصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عزوجل وأوتيت من كل شيء أي مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أي سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبدوا آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف اعبده وانا لا اراه ولست اعرف شيأ اشد من نور الشمس فهي اولى ما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تتطو ببطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وائتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره ولم يرد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيأ وكان ابلغ الناس في كتابه واقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة ايام فوقاها في قصرها وقد غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم

يا أبا اسحق لقد ارحتها مما كانت فيه قال ابراهيم فلم يبق احد في مدينة شمشاط حتى حضر جنازتها فلما دفنت اقمت عند قبرها الى الليل فلما نمت رأيتها في روضة خضراء والشاب بجانبها وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون (وحكى عن الشيخ ابي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت بمجنون في بعض الايام والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد دموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقلت وما الذي تبين لكم من كفره فقالوا يزعم انه يرى ربه ويخاطبه قال الشبلي فمنعتهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول اجميل منك ان تسلط على هؤلاء الصبيان حتى فقال ما الذي يقولون عني فقلت له يقولون انك ترى ربك وتخاطبه قال فصاح صيحة وغشي عليه فلما افاق قال ياشبلي وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من الم البين قال الشبلي فعرفت انه من الخواص أرباب

تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا لكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر الف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة الف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فذا حز بها أمر اسفرت عن وجهها فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى القى الى كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما اخبرني به ابو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ افتوني في امري وأشيروا على فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو باس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا انفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا اشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر نصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون انشدني ابو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال انشدني ابي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان ارضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على ابوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملا من قومها وجربت الامر وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي واختبره بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان نتبعه على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وارسلت اليه ايضا بصفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (اخبرني) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية قال اهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان امر الجن فموهوا له الاجر بالذهب ثم امر به فالقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد جئنا نحمر شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت اربع لبنات من ذهب (وقال وهب) ابن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية خمسمائة غلام فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب وفي أعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

لبنة

الاخلاص ثم قالت
يا سيدي فما علامة المحبة
فقال يا شبلي لو قطرت منها
قطرة في البحار لصارت
سعيراً ولو وضعت منها
ذرة على الجبال لصارت
هباء منثورا فكيف
بقلوب كثرها الغرام قلقا
وزفيرا وزادها الهيام حرقا
وتحييرا ثم جعل يقول
شعرا
كشف الحبيب لمن دعاه
ستورا
وسقاه كاسا فاغتدا مخمورا
واعاده حر اللهيب ولم يرد
الا الحبيب فنال منه
حبورا
يا فوز من كان الحبيب
نديمه
وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه في سكره
خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن
محبوبه
حاشا المحب يكون عنه
صبورا
(وحكى عن ذي النون
المصري رضي الله تعالى
عنه) انه قال مررت يوما
في بعض الاسواق فرأيت
جنازة محمولة على أربعة
رجال وليس معها أحد
فقلت والله لامضين
مع هؤلاء واكون خلفهم
لانال الاجر فمضيت معهم
لما أتوا الى الجبانة فقالت
لهم يا قوم ابن ولي هذه

لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت اليه ايضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج
وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا
من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب رأى وعقل وكتبت
معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء واخبرا ما في الحقة
قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا
كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلموه بكلام فيه
غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب
فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه
ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأي الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان واخبره بالخبر كله فامر
سليمان الجن ان يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يبسطوا له من موضعه الذى
هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة
من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا يا نبي الله
انا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواصف فقال سليمان على بها الساعة
فاتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها
ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان
في مجلسه على سريره ويوضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين أن
يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا
فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا
الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من
الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة
وامرهم ان يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل
الارض مفروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا امامهم في ذلك المكان قال فلما جاءوا الى الميدان
ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون
على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه
السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا به
وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم اين الحقة فاتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام
فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت
فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم
علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فارسل اليها
فلما اتت اخذت شعرة فى فيها ومرت في الخرزة حتي خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان
سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت
دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب
الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت ان تصير رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى
والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها ثم

الجنازة حتي يصلى عليها
فقالوا يا شيخ كلنا فى الاجر
سواء ليس فينا احد يعرفه
قال ذو النون فتعجبت من
ذلك عجبا شديدا ثم
تقدمت وصليت عليه
وانزلناه فى لحده ووارينا ه
بالتراب فلما هموا
بالانصراف قلت لهم
ما شأن هذا الميت
اخبرونى بحاله فقالوا لا نعلم
غير ان امرأة اكترتنا
لنحمله وهى لاحقة بنا
فبينما نحن فى الحديث
اذ أقبلت امرأة علينا عليها
سيما الخير والصلاح وهي
باكية العين حزينة القلب
فلما وقفت على القبر
كشفت وجهها ونشرت
شعرها ورفعت يديها الى
السماء وهي تتضرع وتبكى
ساعة وتدعو ساعة ثم
سقطت الى الارض
مغشيا عليها ثم أفاقت بعد
ذلك وهى تضحك قال ذو
النون فقلت لها اخبرينى
بخبر هذا الشاب المتوفى
وكيف الضحك بعد البكاء
فقالت من انت يرحمك الله
فقلت لها ذو النون فقالت
والله لولا انك من اعيان
الصالحين ما اخبرتك بخبره
ثم قالت يا اخى ان هذا
الشاب ولدى وقرة عينى
وكان تائها بشابه لا يسا
ثياب اعجابا به لم يترك سيئة
لا الا ارتكبها ولا معصية

تجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذه من الاناء بيديه و يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني منها واعطاني مالم يعط احد من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم قال للمنذر بن عمرو ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص اليه احدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها ليؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال اوقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال ايكم ياتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله امر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد ان يراه قبل ان يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار * واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوذان واني عليه لقوى أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروي) عن عائشة رضي الله عنها وعن ابيها ان الاسم الاعظم الذي دعا به آصف بن برخيا ياحي ياقيوم وروي عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سعى اليها وطلبها قد بارز
مولاه بالمعاصي والاثام
فحصل له ألم عظيم منذ
ثلاثة ايام فلما كان في معاناة
الموت قال لي يا أماه سالتك
بالله الا ما قضيت وصيتي
اذا انا مت فلا تدعي بموتي
أحدا فانهم لا يترحمون على
لسوء فعلي وكثرة ذنوبي
ثم بكى وانشد يقول شعرا
لي ذنوب شغلتني
عن صيامي وصلاتي
تركت جسمي عليلا
مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربي
من جميع السيآت
أنا عبد لالهي
مغضب في الخلوات
بحت جهرا بذنوبي
وعيوبي قائلات
قد توالت سيآتي
وتلاشت حسناتي
قالت ثم بكى بكاء شديدا
وقال آه مما فرطت في
جنب الله آه على قلبي
ما أقساه ثم قال بالله عليك
يا أماه اذا أنا مت فضعي
خدي على التراب وضعي
قدمك على وجهي وقولي
هذا جزاء من عصى مولاه
وترك أمره واتبع هواه
فاذا دفنتيني فقفي
على قبري وارفعي يديك
الى السماء وقولي اللهم اني
رضيت عنه فارض عنه
ففعلت ما امرني به وجميع
ما اوصاني عليه يا ذا النون

قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من تمساكن الارض وهل يعبد الله او لا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من اسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فاتى به سليمان عليه السلام من قبل ان يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهل بن حرب قال زعم ابن ابى بردة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس احد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت فلما رأي سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غني عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ماذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من اهل العلم ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان و يستولدها فتفشي اليه اسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها و ينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها فى بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم واجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أى من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم صحة نبوة سليمان عليه السلام بالايات المتقدمة من قبلها اى من قبل هذه الاية وكنا مسلمين أى منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان جئتنا فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اقبلت بلقيس تريده امر الشياطين فبنوا له صرحا أى قصرا من زجاج كانه الماء بياضا واجروا من تحته الماء والقي فيه السمك ثم وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما امر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر و بلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة ابدا فاراد وا ان يكرهوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان امها كانت جنية فاراد سليمان ان يعلم حقيقة ذلك و ينظر قدميها وساقيها فامر ببناء الصرح (وقال وهب ابن منبه) انما بني الصرح ليختبر عقلها وفهمها بما بنيها بذلك كما فعلت بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثي فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له ياسليمان انى

فلما رفعت طرفي الى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرف يا أماه قد قدمت على كريم فوجدته راضيا عني غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت وهذا حديثي يا اخى فانظر الى كرم الله تعالى ولطفه بعباده المذنبين والله تعالى أعلم (وحكى عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) أنه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم احد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وانزلناه فى لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل احدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من اهل النار فانه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه يا أخى لا تعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر

اريد أن أسألك عن شيء قال سلي قالت أسألك عن ماء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما نعلم ما هو ان ذلك أو مر بالخيل ان تجري ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسالهم عما سالتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عما ذا سالتني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سالتني أيضا قالت ما سالتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وانساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما اسلمت بلقيس أراد سليمان ان يتزوجها فلما علم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما اقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسي فقالت المرأة ما لي في حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري فلما الح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (اخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وعمدان وبنيون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعدان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر لملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وابنين وبنينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله اعلم

لسانه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بالحوض وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه فقال اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاختبر رجليه فقال اختبرتهما فوجدتهما في سعي النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر أخي لا تعجل عليه ودعني انزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا اخي قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما ففضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فانتبهت من منامي متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام

لما رأوه مبعدا عن طاعتي
حكموا باني لا جود برحمتي
حلمي أجل ولن يضيق
على الورى
من ذا يحد أوامري
ومشيئتي

قال مالك يا حفظك هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا يغتر الانسان بهذه فالعاصون كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا

﴿ باب فى ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبازوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه ﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وروي محمد بن اسحق عن بعض العلماء ان سليمان أخبران في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي ما فيها فاصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده فى الظاهر على خفية منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت انى اذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان فدا بدلك الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين يصورون لى صورته في دارى التى انا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني ويسلبني عن بعض ما أجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى تنكروا منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدوا اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدون له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبرسني ورق عظمي ونقد عمري وقد حان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضي من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت على بخير في صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان في دارى قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعوه ويستغفره مما كان فى داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى

يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمعونته ورحمته وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه ومنه (وحكى عنه ايضا عفا الله تعالى عنه) انه قال سألني بعض اصحابي عن سبب توبتي فقلت له كنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية جميلة فاستولدتها فولدت لى بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فاحببتها وشغفت بها فلما كبرت وترعرعت ألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت آنية السكر تجاذبني عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فاكمدني الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت مملوأ بالخمر فلما نمت رايت كان اهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكأني قد حشرت معهم فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفي فالتفت نحوه فاذا بثعبان كأنه نخلة سحوق قد لحق بي وفتح فاه ليلقمني ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فرد على

السلام فقلت له اجرني واغثني من هذا الثعبان فقال الشيخ انى ضعيف وهذا اقوى مني ولكن اسرع فى الهرب فلعل الله تعالى يسخرلك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة واشرفت على طبقات النيران والثعبان فى طلبي فكدت ان اسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار ياعزيز ارجع لست من اهلها فاطمان قلبي لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له ياشيخ استغثت بك واستجرت فيك فأبيت أن تجيرني من هذا الثعبان فلم لم تجيرني قال فبكى وقال ياما لك ما بلغك انى ضعيف سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى ان يكون لك فيها وديعة تنصرك وتجيرك من عدوك وهو اقوى مني قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مخرمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادى ارفعوا الستور واشرفوا كلكم فلعل ان يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه قال مالك فرفعت

ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة او أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فاتى لى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهاهو جالس على سرير ملكه فعرف أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأى شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد فى داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بنى اسرائيل حكم عبد والله الشيطان فى تلك الاربعين يوما فقال آصف يامعشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه فى خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما انكرنا ففلنا أشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما فى الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم مر فى البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التى ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث فى داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتونى بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه ﴿وقال السدى﴾ فى سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتى حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاء به يوما من الايام وقالت له ان أخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخدع فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن

ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يعشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطىء البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فاتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فالقي فى البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما فقر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك واسير فى عملك واهل بيوتك بسيرك الى ان يتوب الله عليك و يردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعامله يسير بسيرته و يعمل بعمله اربعة عشر يوما الي أن رجع سليمان الى منزله تائبا الي الله تعالى و رد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن ياسليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالمه وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى انبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول اصح الاقوال واليق بانبياء الله تعالى واقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما اصاب بنت الملك صيدون اعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له انا كرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة اربعين صباحا فى خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما (وقال الشعبي) فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فلم سليمان ذلك فامر السحاب ان تأخذ ابنه وامر الريح فحملته وغدا ابنه فى السحاب فامن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقي على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسيه

الستور واشرفت اطفال
على بوجوه كالاقمار فصاح
بعضهم على بعض أشرفوا
كلكم فقد قرب منه الثعبان
وهو متحير فى امره قال مالك
فاشرفوا كلهم على فنظرت
فاذا ابنتى فيهم فلما رأتنى
بكت وقالت هذا ابى والله
ثم اشارت بيدها الي الثعبان
فولى هاربا ومدت يدها الى
فتعلقت بها فجذبتنى
وادخلتنى مكانا هي فيه
كل عنه الوصف فحمدت
الله تعالى على ذلك فقرات
ابنتى قوله تعالى الم يأن
للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله قال مالك
فبكيت عند ذلك وقلت لها
انتم تعرفون القرآن
فقالت نعم فقلت لها
اخبرني عن هذا الثعبان
الذى اراد ان يهلكني
فقالت يا ولدى هذا عملك
السوء قويته على نفسك
حتي كاد ان يلقيك في النار
فلولا انك لم تكن من اهلها
لوقعت فيها فقلت لها ومن
هذا الشيخ الضعيف الذى
استغثت به فلم يغثني فقالت
هذا عملك الصالح اضعفته
حتى لم يكن له قدرة على ان
يدفع عنك شيأ فقلت لها
وما تصنعون ههنا فقالت
نحن مقيمون ههنا حتى
تقوم الساعة ننتظر قدومكم
علينا فنشفع لكم قال مالك
فانتبهت من منامي فلما

جسدا ثم اناب والله تعالى اعلم

﴿باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء يطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث احب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون فى العمل فقال كيف انتم قالوا مالنا طاقة لما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف انتم فشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس اتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التى مات فيها وكان بدء امره فى ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا نبتت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لاى شيء انت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها فى مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شيء نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم غم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى قال فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقى لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا الصرح من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتانى من الملك ما ترون وما مر على يوم فى ملكى صاف من الكدر وقد احببت ان يكون لى يوم واحد يصفو لى الى الليل ولا اغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وأمر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيا يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى مملكته اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذنى وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصرى بغير اذنى فقال أنا الذى لا يحجبنى حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان

اصبحت كسرت اوانى الخمر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتى والحمد لله على ذلك والله اعلم (وحكى عن بعضهم رضي الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما انا فى الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبي على العهد مقيم قال فتطاير قلبى لسماع ذلك حتى اشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هى امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقلت لها اسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذى قلبك عليه مقيم فقالت يا هذا لولا انك اقسمت على بالجبار ما اطلعتك على الاسرار انظر الى هذا الصبي الذي بين يدي فنظرت فاذا بصبي يغط فى نومه ووجهه كالقمر فقالت خرجت من بلدى وانا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر فى سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ اخذنى الطلق فوضعت هذا الصبي

فمن اذن لك في دخوله فقال لهربي قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم اردت ان يصفولي ولا اسمع فيه ما يغمني فقال ياسليمان انك اردت يوما يصفولك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لامرد له قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخر فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منساته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (في رواية ابن مسعود) فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو انهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك اعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما اتاتها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته الآية (قال اهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها اربعون سنة وذلك انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابنه يقال له رجبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رجبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج عتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى القت اثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى ان ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به وخبر شعياء واردمياء ودنيال وعزير عليهم وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

﴿قصة شعياء عليه السلام﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من اهل السير والاخبار كان مما انزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل

فبينما هو في حجري اذ رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الي وحصل معي على ذلك اللوح فقال والله مازات اهواك واناني السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنني من نفسك والا رميتك في البحر فقلت ياهذا ويحك اما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رايت ذلك مرارا عديدة ونجوت واما الا بالي ثم الح علي فخفت منه وقلت له مهلا حتى ينام هذا الصبي فاخذه من حجري ورمي به في البحر فلما رايت جراءته وما فعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الفاسق فرعزته وجلاله ما فرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر خرجت رأسها واخطفته من على اللوح وغاصت به في الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدي على ذاك اللوح فزاد شوقي الى ولدي وقرة عيني وبكيت على فقده بكاء شديدا وانشدت شعرا

قرة العين حبيبي ولدي
ضاع عني لتنائي جلدي
ان يكن جسمي غريقا فلقد

من احداثهم وماهم فاعلون بيده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الي قوله حصيرا فكانت بنواسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان اول مانزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعي صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من امورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يامرهم ان يامروهم باحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ماتركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن امضياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال ابشر فانه ياتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يامالك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة الف راية واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقدها بهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يانبي الله هل اتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يات وحي فبيناهم كذلك اذ أوحي الله تعالى الي شعياء عليه السلام ان ائت ملك بني اسرائيل فامره ان يوصي بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فاتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد اوحي الى ان آمرك ان توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالي وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فاوحي الله تعالي الى شعياء وأمره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فاتى شعياء اليه واخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يالهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له اني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يامالك بني اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم بختنصر فجلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من

ظلت اشكوا باحتراق الكبد
يا الهي قد ترى ما حل بي
فافرغ الصبر علي يدي
فاجمع الشمل وكر لي راجعا
فرجائي فيك اقوى عددي

قالت ثم بقيت يومي الى الليل وحيدة فريدة فلما اصبح الله بالصباح اذا نا بقلع يلوح في البحر فمازالت الامواج تقذفه والرياح تسوقه حتى وصل الى فاذا هو بسفينة عظيمة فاخذوني من على ذلك اللوح ووضعوني بينهم فنظرت فاذا بولدي هذا بينهم فترامیت عليه وقلت لهم ياقوم من أين لكم هذا الصبي فقالوا بينما نحن سائرون اذ جئت السفينة بنا فنظرنا فاذا بدابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمص ابهاميه ثم حدثتهم بقصتي وشكرت ربي على ما انالني وعاهدته ان لا ابرح عن بيته ولا ولا الهو عن خدمته وما سالته بعد ذلك شيأ الا عطي اياه قال فمددت يدي اليها بنفقة فلم تقبلها وقالت اليك عني احدثك بافضاله وكرمه ونواله وآخذ الرفد من يد غيره فلم اقدر عليها ان تاخذ شيئا فتركتها وانصرفت عنها رحمها الله وتفضنا بها والمسلمين آمين

حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي فلو سمعت وعقلت ماغزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ومن معك اهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بني اسرائيل امر اميرجيشه فقذف في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما اردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاوحى الله الى شعياء ان قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكروا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحي الله اليه فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد وكان في امر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضي بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم في قومك يوح على لسانك فلما قام النبي اطلق الله لسانه بالوحي فقال ياسماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله اراد ان يقضي شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فاووى شاردها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاء هم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذارأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخرنوب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالتقوي والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم

وحكى عن عبد الله الموصلي رضي الله تعالى عنه انه قال) كان عندنا رجل ولهان يسمى قضيب البان وكان لا يقدر احد ان يكلمه من عظم هيبته وحرمته وكان كثير البكاء فجمعتني به المقادير في خلوة فقلت له ياأخي ما الذي اشغلك به عن سواه ما كان سبب تولهك وانفرادك عن الناس فنظر الي نظرة منكرة ثم بكى واصفر لونه وغشي عليه فلما افاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته عن ذلك وأقسمت عليه بالله ان يحدثني عن سبب ذلك فحدثني وهو يبكي فقال ياأخي كنت اخدم شيخا وكان من الابدال فخدمته اربعين سنة فكان مجتهدا في العبادة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام دعاني وقال لي ياعبد الله لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك ان تصغي لما اقول لك وتحفظ وصيتي فقلت نعم ياسيدي حبا وكرامة فقال ياولدي قد بقي من عمري ثلاثة ايام واموت على غير دين الاسلام فاذا انا مت فضعني في تابوت بثيابي واحمل التابوت في الليل الى ارض كذا وكذا من ظاهر البلد واسكت حتى تطلع الشمس

وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد ان يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلو بنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ابنهما وهم فى اجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عودا واحدا فلما قال لها ذلك اختلطا فصارا عوداً واحداً فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على ان أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا اقدر على الفتهم ان شئت ام كيف لااقدر على ان افقه قلوبهم وانا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلو بنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمل وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وانظر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين اذات يدي قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير انفق كيف اشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى ام يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شيء انما يترا حم المتراحمون بفضلى ام يقولون البخل يعترينى اولست اكرم الاكرمين وانا الفتاح بالخيرات الست اجود من اعطي واكرم من سئل ولو ان هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت فى قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا ان انفسهم هى اعدى العداة لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمي ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما اجزى عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاء وانما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد فانا استجيب قول المستضعف المسكين وان من علامه رضاى رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وانصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وادوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي ان اكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت اذاهم وكنت نور ابصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم واعمرت اركانهم وكنت قوة ايديهم وارجلهم وكنت السنتهم الانهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتآليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا ان لو يشاؤا ان يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اذا طلعوا وكلهم يستخفنى بالذي يقول ويسروهم يعلمون انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسي وجعلت له اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه وفي اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها اقضى فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى ادبر بها امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك فى الرعاء واجعل العز فى الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فانى باعث لذلك نبيا اميا لا أعمى من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزيا بالفحش ولا قوالا بالخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره

فاذا رايت جماعة قد اقبلوا ومعهم تابوت يضمونه الي جانب تابوتى فخذ التابوت الذى ياتون به وعد به الى الزاوية واخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك ان تفعله معى فقلت له يا سيدى كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك فى الكتاب مسطوراً هذا ما جرى فى اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد ثلاثة ايام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه واندار الي الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا ولحقني عليه من الحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى ثم انى تذكرت وصية الشيخ فوضعته في تابوت فلما جاء الليل حرجت به الى المكان الذى قال لى عليه فمكثت به حتي طلعت الشمس فاذا بجماعة قد اقبلوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم ان يحمل ذلك التابوت فمنعته عنه وقلت له لا سبيل لاخذه حتى تخبرنى بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يا اخى انا خادم هذا البيت الذى في هذا التابوت اربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام

والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدي امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخملة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد الفقر واجمع به بعد الفرقة وائلف به قلوبا مختلفة واهواء مشتتة وامما متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضوان الله الهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿ قصة ارمياء عليه السلام ﴾

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن اموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهو خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل يا ارمياء من قبل ان اخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نباتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا الهمك فقام ارمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في اخرها ان الله قال فاني أحلف بعزتي وجلالي ان لم ينتهوا لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه ووحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع ارمياء وبكاءه ناداه يا أرميا أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ملا اسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتمادوا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك اتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء انت زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله هلاكهم بعث الله الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا نبي الله اني أستفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيد اكرامي اياهم الا استخفافا فابى فافتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياما ثم

احضرني وقال يا ولدي لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك ان تحفظ وصيتي وتصغى لما اقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة ايام واموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت بثيابي ليلا واخرج بي الى المكان فلاني تجد تابوتا موضوعا فضم تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك ان تفعله معي ففعله مع صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة ايام تهلل وجه البترك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما امرني به واتيت الى ههنا وهذا حديثي يا اخي قال فحملت ذلك التابوت الذي جاؤا به واخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية واحضرت الفقراء وفتحت لهم التابوت فاذا فيه شيخ عليه نور ساطع فاخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته انا والفقراء وصلينا عليه ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثي يا اخي ثم خرجت بعد دفنه هائما على وجهي من

أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء اوما طهرت اخلاقهم لك بعد قال بانبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ماعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يانبي الله اين ماوعدك الله به قال انى بربى لواثق ثم اقبل الملك على ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر به الذي وعده فقعد بين يديه وقال له انا الذي اتيتك في شأن اهلي مرتين فقال له ارمياء عليه السلام الم يأن لهم ان ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يانبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال ارمياء عليه السلام على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك واتيتك لاخبرك وانى اسالك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارمياء يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم ارمياء تماما حتى ارسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه ووضع الرماد على راسه وقال يامالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذي اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فسار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وامرهم ان يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل و ذهب باوانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل و ذهب بالغلمان السبعين الفا وسائر السبايا حتى قسم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم و ذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعني بختنصر وجنوده * وكان بدء أمر بختنصر على ماروي حجاج عن بن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب ارنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فارى فى المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له اين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين يفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برىء

فكساه

خوف سوء الخاتمة وهذا
سبب توبتي فنسأل الله
تعالى حسن الخاتمة ونعوذ
به من مكره وغضبه
وعقابه

ياويح من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
فمن اتى حصنك آمنته
فركنه فى عزه لا يضام
كم صالح قد صف اقدامه
في الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى انه
اشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز فى عقباه اعلى مقام
من لم يكن للوصل اهلا فما
يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الاقدار لا تعتدي
فانتبهوا من نومكم يانيام
ياايها المذنب قم واعتذر
وتب من الذنب وكسب الاثام
الى متى انت ترى غاديا
ورائحا في اللهو طول الدوام
انب الى الله وتب واستقم
من قبل ان تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت
فلذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
افضل من حج ولبي وصام

فكساه واعطاه نفقة ثم اذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي مايبكيك فقال أبكى لانك فعلت معي مافعلت ولا اجد شيأ أجازيك به فقال جزائي شيء يسير قال وماهو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أن تعطيني ماأطلبه فجعل يتبسم ويقول له أتستهزىء بي ولا يمنعه ان يعطيه ماسأله الا انه يرى انه يستهزىء به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت مايمنعك ان تعطيني ماسألتك الا الله تعالى يريد ان ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضرباته فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا ارسلنا طليعة الى الشام قاوا ماضرك لوفعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة الف فخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر اهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم مامنعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها لغنم منها شيئا كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى ننتقد مجالس أهل الشام ونعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لودعاني الملك لاخبرته عن الخبر الذي اخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره بالخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر اهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء وانى لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فلربما وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ماقدروا عليه فقالوا ماضرك لوفعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي اخبرني بما اخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه اربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ماشاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي ومامعه فقسمه بين الناس فقالوا ماوجدنا احدا احق بالملك منه فهذه قصته الا ولى فملكوه على انفسهم (وقال السدى) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن ارملة من اهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت امه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني احب ان تكتب لي اماناً اذا انت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ماعليك أن تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ماعليك ان كان والا لم ينقصك شيئا فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له امانا واعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنى مجلسه ويستشيره في أموره ولا يقطع امرا دونه وان الملك هوي ان يتزوج بنت امرأته هذا قول السدي * وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان للملك ابنة أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل

صلى عليه الله ماأشرقت طلائع الصبح وولى الظلام

(وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه انه قال) كان لي اخ في الله تعالى يتفقدني في شدتي ورخائي وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعد ايام فقدته فسألت عنه فقيل لي انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الى ابنته وقالت ماتريد فقلت لها قولي لابيك فلان اخوك يريد ان يدخل اليك فدخلت وعادت لي وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وانا خائف منه ياأخي اكثر من قول لااله الا الله ففتح عينيه ونظر الي ثم غشي عليه فلما افاق قلت له ياأخي اكثر من قول لااله الا الله ففعل كما فعل اولا فقلت ثالثا اكثر من قول لااله الا الله وان لم تقلها لاغسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الي وقال ياأخي يامنصور كلمة حيل بيني وبينها فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت ياأخي فاين الصلاة

والعبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى وانما كنت افعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال عني واذكر به وكنت اذا خلوت بنفسي اغلقت الابواب وارخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاي بالمعاصي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابني مرض اشرفت منه على الموت فقلت لابنتي هذه ناولينى المصحف فاتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما في هذا المصحف من كلامك القديم أن تعافيني وتفرج عني وانا لا أعود الى معصيتك ابدا قال ففرج الله عني وعافاني فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وانساني الشيطان ذلك العهد الذي بيني وبين مولاي فصرت على ذلك الحال مدة من الزمان فوقعت في مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت اهلي ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه

يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال است أرضاها لك فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فصنعت حين جلس الملك على شرابه فالبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها والبستها من الحلى شيئا لا قيمة له من غايته والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذي تسأله ان تأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتعرض له فلما اخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فاتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهي تقول انها لا تحل لك فلما اصبح الملك واذا دم يحيى يغلي فامر بالتراب فالقي عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فالقي عليه ايضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي فبلغ نبوخذ نصر ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذي أرسلت تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلها فابعثني فيبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم اهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع اصحابه اراد والرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتي بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع بجندك قبل ان تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامي وجاع اصحابي فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني قالت ارأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطيني ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وناد وا يارب ادلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تسقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى ابن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته في تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خرب بختنصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال ائتني به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له ان لي ربا آتاني العلم والحكمة وأمرني أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني

فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل ان يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب رأى شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع مناديا ينادي اضرب جزعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رايت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت افضل الملوك واما الصدر الذي رايت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك واما البطن الذي رايت من نحاس فملك يكون بعد ابنك واما ما رايت من الفخذ الذى من حديد فتفترق فرقتان فى فارس تكونان اشد الملوك واما الفخار فاخر ملكهم يكون دون الحديد واما الحجر الذي رايت قد وقع من السماء وربا حتى ملاء ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويربو ملكه حتى يملاء ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التى رايت والطير الذي عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله اسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها واما ما رايت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل بن منبه اكان مؤمنا ام لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التى فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبته قالوا فلما سيردانيال لبختنصر رؤياه واخبره بها اكرمه واكرم اصحابه وجعل يقبل عليه ويستشير في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فشوا به وباصحابه وباصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يا كلون ذبيحتك فدعاهم وسالهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نا كل من ذبيحتكم فامر باخدود فخدلهم وألقوا فيه وهم سبعة وألقى معهم سبع ضار ليا كلهم ثم قال انطلقوا لنا كل ونشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترس ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار فى الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت ان بختنصر أمرنى فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرنى أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر

وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم الا ما عافيتنى وفرجت عنى وانا لا اعود الى معصية ابدا فاستجاب الله تعالى منى وفرج عنى فمدت الى ما كنت فيه حتى وقعت في هذا المرض فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لاقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرف واحد فعرفت ان الله سبحانه وتعالى غضب على غضبا شديدا فرفعت بصري الى السماء وقلت الهى بحرمة هذا المصحف الا ما فرجت عني وعافيتني وأنا لا أعود ياجبار السموات والارض فبينما انا كذلك اذ سمعت قائلا يقول ولا أري شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا بريتا
اذا ما الضر مسك أنت باك * وأخبث ما يكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بليتا
اما تخشى هجوم الموت ياذا * وانت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا عليك ولا خشيت

غيرما قال السدى وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وماهذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبرونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فاقتل من فيها أتخذها ملكا فانى قد فرغت من الارض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهو بعوضة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتي عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا انامت فشقوا رأسي وانظروا ما الذى قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وستذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان تجسها بالحوم الخنازير ويشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف يشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتاويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فانجز وجمع ففرق فقال اما قوله وزن فخف أى وزن عملك في الميزان فخف ووعد فانجز اى وعد ملكك بالخراب فانجز اليوم وجمع ففرق اى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الي يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى اهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بارض بابل الى ان مات بالسوس والله اعلم

﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال اهل الاخبار لما فتح الله السوس على يدابى موسى الاشعري فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ابوموسي ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم مافيها واخذ اموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ ما فيها حتي افضي الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال ابوموسى الاشعرى لاهل السوس ما فى هذه الخزانة فانى اراها مختومة بالرصاص فقالوا له ايها الامير ليس فيها شيء من حاجتك فقال لابد لى ان اعلم ما فيها فافتحوا بابها حتي انظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل ابوموسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب ابوموسي من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا انفه فاذا هو يزيد على شبر فقال ابوموسي لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان اهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب اهل العراق فارسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقى به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان ادركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فاقام ابوموسي الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره

ولا وعيتا وكم عاهدت ثم نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسيتا قال منصور ابن عمار فقمت من عنده وخرجت وعيني تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتي حتى قيل لى انه قد مات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها عند الموت بعد أن كانت صوامة قوامة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله (وحكى عن منصور بن عمار ايضا رضي الله تعالى عنه انه قال) رايت شابا فى بعض الايام يصلى صلاة الخائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا شاب الم تعلم ان فى جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما افاق قال زدنى يا منصور يرحمك الله فقلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون

بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب فى كتابه امر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على بن أبى طالب رضي الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلى عليه و يدفنه فى موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ ابو موسي كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفنوا نهرهم الى موضع آخر ثم امر بدانيال فكفن باكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم امر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه واجري عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الاستاذ) رضي الله تعالى عنه فهذا الذى ذكرت جميع امر بختنصر الذى جاء فى التفسير الا ان رواية من يروى ان بختنصر هو الذى غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيي غلط عند اهل السير والاخبار والعلماء بامور الماضين من اهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفى عهد ارمياء عليه السلام وهي الواقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى باس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيي بن ذكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى اخر عمر انه فى عهد كربن ابن حرسو بن شير بن أصهيل ببابل من قبل بهمن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمر انه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيي بن ذكريا ثلثمائه وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ماذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد خراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فمريقا يكذبون ومريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا و يحيي وعيسى عليه السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيي بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل فقال له انى قد حلفت بالهتهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنور ازادان دخل بيت المقدس فاقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسالهم عنه فقالوا هذا دم قربان بناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال ماصدقتمونى الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا لقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما راى بنور ازدان الدم لا يهدا قال لهم و يلكم يا بنى اسرائيل اصدقونى قبل ان افنيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم فى

الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون قال فخر الشاب ميتا رحمة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته ثم نمت فرايته فى المنام على سرير من ذهب وعلى راسه تاج من ذهب مكلل باللآلىء وهو في زينة عظيمة فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لى وأعطانى ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادنى على ذلك اضعافا فقلت له لم ذلك فقال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة العزيز الغفار رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان فى قديم الزمان رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق وكانا اخوين شقيقين فكان العابد يتمنى ان يري ابليس لعنه الله في محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يا فلان اسفا عليك ضيعت عمرك في اتعاب نفسك وهو از بعون سنة وقد بقي من عمرك مثل ما مضي فانطلق الى شهوات نفسك ولذاتها عشر بن سنة وتب بعد ذلك وعد الى

الارض تفعلون ماشئتم اصدقوني قبل ان لا اترك منكم نافخ نار لا انثي ولا ذكرا الا قتلته فلما راوا الجد وشدة القتل اصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله فلو اننا اطعناه فيها لكان ارشدلنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنورازادان ما كان اسمه قال يحيي بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما راى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جنس كردوس وابقى من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيي بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا من قومك فهدا دم يحيي بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وايقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله كردوس امرني ان اقتل منكم حتي تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست استطيع ان اعصيه فقالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتي سال الدم في العسكر وامر بنقل اللذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا ان ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الي عسكره ارسل لي بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افني بني اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله تعالى فيها قوله تعالي وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت الواقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسه وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم باطوس بن اسنايوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالي منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى امة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله اعلم

﴿باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها﴾

قال الله تعالى او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو ارمياء بن خلفياء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا ايضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدى هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابر اباذ وقيل هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق ابن يسار عن وهب بن منبه ان بختنصر لما وطيء الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار ارمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام وميت حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع الله

العبادة العشرين الاخرى فان الله تعالى غفور رحيم فقال العابد انى لا انزل الى أخي في أسفل الدار واوافقه على اللهو واللعب والشهوات واللذات عشرين سنة ثم اتوب بعد ذلك وأعبد الله تعالي العشرين الاخرى ولم يعرف ان ذلك مكيدة من بليس لعنه الله تعالى وقال اخوه المشرف على نفسه قد افنيت عمري فى المعاصي فاخي يدخل الجنة وانا أدخل النار والله لا فوقن ولاصعدن الى اخي واوافقه على الطاعة والعبادة باقي عمري لعل الله تعالي ان يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبه ونزل العابد على نية المعصية فرافت رجل العابد فوقع على اخيه فمات الاثنان فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة فانظر يا اخى كيف ختم للطائع وكيف ختم للعاصي كما قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونسأله الامان من زوال الايمان آمين (وحكى عن مالك بن دينار عفا الله تعالى عنه ونفعنا به انه ل): دخلت جبانة البصرة

السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وارضها حتى يعودا اعمر ما كانا فانتدب الملك الف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بختنصر بمعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا احد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميتا ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض نخور وسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يامرك ان تكتسي لحما وودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يامرك ان تحيا ففام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله اراميا فهو الذي يوجد في الفلوات (اخبرني) ابن فتحويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب اهل الكهف وحمار اراميا الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل اربعين الف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أباعزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى ارض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من اهل بيت داود فلما انجاعزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وذلك ان الله تعالى اماته ضحى وحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأي بقية الشمس فقال او بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى راسه وسائر جسده ميتا ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأي حماره قائما كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون اراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته وأولاده وأولاد اولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو اسود الرأس واللحية (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما احيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكر الناس وانكر منازله فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة له فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما اصابها الكبر اصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة احدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فانى انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فانى انا عزير كان الله قد اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اه مصححه

فاذا سعدون المجنون جالس بها فقلت له كيف انت وكيف حالك ياسعدون فقال كيف حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا همه ويقدم على ذلك الحاكم بين العباد ثم بكى فقلت له ياسعدون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي وابكاني والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولم ادر بعد ذلك اصيرالى الجنة ام الى النار قال مالك فسمعت منه كلام حكمة فقلت له ياسعدون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت يامالك بما اغترت به الناس يزعمون اني مجنون وما بي من جنون ولكن حب مولاي قد خالط قلبي واحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي والله من حبه هائم مشغول قال مالك فقلت له ياسعدون فلم لا تخالط الناس ولا تخاطبهم فانشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت
بيت تجدهم عقاربا

(قيل) وكان سعدون المجانون رضي الله تعالى عنه

الله تعالى ان يرد على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا به ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم اخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها ففامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت اشهد انك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في اقنيتهم يحاسبهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس واقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه الصلاة والسلام

(باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال قال كان عزير من اهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله ان يعملوا ثم اضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما راى الله تعالى انهم قد اضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد امر علماءهم ان يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل ان يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما اوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدي) وابن عباس في رواية عمار عنه قالت اليهود هذا لان العالمة ظهروا عليهم فقتلوهم واخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكي وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير ياهذه اتقي الله واصبري واحتسبي اما علمت ان الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكي عليهم وقد علمت ان الموت حق وان الله حي لا يموت فلما علم عزير انه قد خصم ولي مدبرا فقالت له يا عزير ارى لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما اعطاك فخذه منه فلما اصبح نبعت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامس فيها حتى تبلغ اهلك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد في علمه فرجع اليهم وهو من اعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل اصبع له قلما وكتب باصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما اعطى الله له هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير

ونفعنا به يدور في شوارع
البصرة ويقف عند كل باب
ويقول
يا أيها الناس اتقوا ربكم
ان زلزلة الساعة شيء عظيم
ثم يبكي وينشد عند ذلك
ويقول
فلو لم يكن فيها سوى
الموت والبلى
وتمزيق اعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم
بالبكا
على نائبات الدهر مع كل
مسعد
(قال) وكان سعدون
رضي الله تعالى عنه
اذا اشتد به الجوع ينشد
ويقول
الهي انت قد آليت حقا
بأنك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حقا
تؤدي ما ضمنت كما فعلتا
واني واثق بك يا الاهي
ولكن القلوب كما علمتا
الهي انت رزاق كريم
ومن لي بالعطاء اذا منعتا
(قال) وكان سعدون
رضي الله تعالى عنه عليه
جبة من صوف مكتوب
على كمها الايمن سطر وهو
عصيت مولاك اسعيد
ما هكذا تفعل العبيد
وعلى كمها الايسر سطران
وهما
تبالمل قوتة رغيف
يا أتى به السيد اللطيف
يعصي الها له جلال

اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره ولم يقتله ولم يدر انه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنوا اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فاتاهم عزير وقال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأملل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا واخرجوا الخابية والتوراة فيها فاخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿ مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور ﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام ابن محمد الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب ارض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا ان الله تعالى اوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزيا بيل بن سنبسل بن سنبسل هذا هو اول من اتخذ الطفيشل كان من ولد يهوذا بن يعقوب ان ائت بختنصر وامره ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا ابواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح اموالهم لكفرهم بي واتخاذهم الآلهة دوني وتكذيبهم انبيائي ورسلي وذلك بعد قتل اهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما اوحى الله تعالى اليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فاوحى الله تعالى الى يوحنا اني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربه لانتقم به منهم فعليك بمعد ابن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوي له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق واردفه خلفه فانتهيا الى ارض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم واحسن اليهم قال فانزل لهم بختنصر السواد على شاطىء الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادي مناد من جوف السماء يالثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فاسكنهم في الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد ابن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وحج الانبياء معه

وهو به راحم رؤف
ومن خلفه سطران وهما
كل يوم يمر يأخذ بعضي
يذهب الاطيبين مني
ويمضي
نفس كفي عن المعاصي
وتوبي
ما المعاصي على الانام
بفرض
ومن بين يديه سطران وهما
ايها الشيخ الذي لا يرام
نحن من طينة عليها السلام
انما هذه الحياة متاع
ثم موت به تساوى الانام
وعلى عكازه مكتوب
هذان السطران
اعمل وانت بذي الدنيا
على وجل
واعلم بانك بعد الموت
مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من
عمل
يحصي عليك وما خلفت
موروث
قال مالك فقلت له انت
حكيم ولست بمجنون
فقال سعدون أنا مجنون
الجوارح ولست بمجنون
القلب ثم ولى ولم اره رضي
الله تعالى عنه (وحكي عن
بشر الحافي رضي الله عنه
انه قال) كنت في لهو
وعندي ندمان يشربون
ويطربون فمر بي رجل
من الصالحين على باب
داري وطرق الباب
فخرجت اليه جارية من

﴿ مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد ابن اسحاق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناخور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنحويه باسناده عن سعيد ابن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخمشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فاني اعلم انه ان فعل بي اعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان اصاب فارجو ان ينجوا وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نقته الدنيا ولا تبقي له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفوا الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد اكلوا الثمرة واحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عندالله امينا فاسقني واياهم ماء جميعا ثم ارسلنا لنقذفه ففعل فجعلوا يتفايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتفايا ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فاول ما رؤي من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فاطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجمع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هونا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما فاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كرسيك وابار يقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على اي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف يستطيع

الجواري فلما رآها الرجل قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فأتت الى الجارية واخبرتني بذلك فذهبت الى الباب مسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فتبعته حتى لحقته ثم قلت له انت الذي وقفت بالباب فقال نعم فقلت له أعد علي ما قلته فاعاده علي قال بشر فمرغت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وجهي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس نعلين تقيانك من الحر والبرد فقلت ما صالحني مولاي الا حافيا قال فكان كذلك حتى مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به وببركاته ومد نا من مدده (وحكي) عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان ببغداد رجل من التجار كنت سمعه يقوم في حق السادة الصوفية بكلام قبيح ثم رايته بعد ذلك بمدة يسيرة قد صحبهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الآن تبغضهم قال نعم كان قلبي مهتما بذلك صليت الجمعة يوما من الايام بمسجد

ان تحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (اخبرنا) ابن فحويه باسناده
عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني
باطيب مضغتين ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني باخبث مضغتين منها فجاءه باللسان
والقلب فقال له امرتك ان تأتيني باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تاتيني
باخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما
اذا خبثا (واخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد ابن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال
كالصحة ولا نعيم كطيب نفس (واخبرنا) عبدالله باسناده عن ابى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس
مجتمعون عليه فقال له الست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ
بك ماارى قال صدق الحديث واداء الامانة وترك مالا يعنيني (أخبرنى) الحسين ابن محمد عن
أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد ولده كالماء للزرع وعن عبدالله بن دينار أن لقمان قدم من سفر
فتلقاه غلامه فى الطريق فقال له مافعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت امرى قال فما فعلت امرأتى
قال ماتت قال جدد فراشى قال مافعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتى قال مافعل أخى قال مات
قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى
لا يبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على الناقش (وروى)
المحاربى عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلتكن سفينتك
فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يابني كيف
لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر
فيها باخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن
الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتمارى به السفهاء او ترائى
به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يابني اختر المجالس على عينيك فان رايت قوما يذكرون
الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن مستأهلا يعلموك واعسى الله ان
يطلعهم برحمته فتعمك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفهم علمك
وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فاعسى الله يطلعهم بالعقوبة فتعمك معهم يابني لا تضع برك الا عند باعيه كما
ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل
السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يابنى كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا
للاشرار يابني كن امينا تكن غنيا ولا ترائ الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطفهم فى السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يابني لا تطلب من الامور
ما دبر اولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزرى بالعقل يابنى ان تاديت صغيرا انتفعت كبيرا يابنى اذا
سافرت فلا تامن على دابتك فان ذلك سريع فى ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون في محل
تكتنك فيه التعدو اذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر فى اول
الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك
وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به انت ومن معك وكن لاصحابك موافقا
ووافيا الا في معصية الله يابني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابني لا تامر الناس بالبر وتنسى نفسك
فتكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يابنى لا تحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا
تصير كبارا يابني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك

بغداد ثم خرجت فرأيت
بشرا الحافي رضي الله عنه
خارجا من المسجد مسرعا
فقلت فى نفسى انظر الى
هذا الرجل الموصوف
بالزهد والورع لم يستقر فى
المسجد ساعة فتبعته حتى
دخل السوق ووقف على
الخباز واشترى بدرهم
خبزا ثم تقدم الى الشوى
فاشترى منه بدرهم ثم اشترى
بدرهم حلواء فقلت فى
نفسى لا ابرح عنه حتى
انظر ما ذا يصنع بهذا فخرج
الى الصحراء فتبعته وانا
اقول يريد الماء والخضرة
فما زال يمشي وانا خلفه الى
قريب العصر حتى دخل
مسجدا خربا فيه مريض
فجلس عند راسه وصار
يطعمه لقمة بعد لقمة وانا
انظر اليه فقمت لانظر
ذلك المسجد وما حوله
فغبت ساعة ثم رجعت
الى المسجد فلم اجد بشرا
الحافى فسألت المريض
وقلت له اين الذى كان
يلقمك فقال بشر الحافى فقلت
نعم واين هو فقال توجه الي
بغداد فقلت كم بيني وبين
بغداد قال اربعون فرسخا
يعني مسيرة خمس مراحل
قال فقلت لا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم ما هذا
الذى فعلته بنفسي وليس
معى شيء اكتري به ما اركبه
ولم اقدر على المشي قال

و بهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا
يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس
عليها مجانب وألزم نفسك التودد في امورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك
فان من حسن خلقه واظهر بشره و بسطه حظي عند الابرار واحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق
نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك
وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان اردت ان يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في ايدى الناس فان مابلغ
الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في ايدى الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في اهله ولا تضعه في غير اهله فتخسره في الدنيا وتحرم
ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطيه تبذيرا يا بني الزم الحكمة
تكرم بها واعزها تعز بها وسيد اخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بني للحساد ثلاث علامات يغتاب
صاحبه ان غاب و يتملق اذا شهد و يشمت فيه بالمصيبة * ثم خبر لقمان الحكيم وما وصي لابنه انعم والله اعلم

﴿ مجلس في قصة بلوقيا ﴾

(اخبرنا) ابو بكر محمد ابن عبد الله الحزرقي باسناده عن عبد الله ابن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل
رجل يقال له اوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه
السلام وامته في التوراة فخباه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة ابيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد
سليمان فلما مات والده أوشيا و بقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا
من حديد مقفلا بقفل من حديد فسال الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه
صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه اوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته مختومة بالمسك فمحاها
وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل
فرده الى اهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره واحرقناه
بالنار فقال ياقوم لا تضيرا انما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته بالتوراة
قال وكانت ام بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع
بالشام فقال اسأل عن محمد وامته فامل الله تعالى ان يرزقني الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد
الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول
ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له ايها الخلق المخلوق من انت وما اسمك فقال
اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل
قال فقال لهم بلوقيا ايتها الحياة من انتن فقلن نحن من حياة جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال
بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود
اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب
من ابوابها ولا سرداق من سراداقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا ايتها الحياة هل في جهنم مثلكن او اكبر منكن فقلن ان
في جهنم حيات تدخل احدانا في انف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها العظمها قال فسلم بلوقيا عليهن
ومضى حتى اتى جزيرة اخرى فاذا هو بحيات كامثال الجذوع والسواري وعلى متن احداهن حية صفيرة
صفراء كلما مشت اجتمعت الحياة حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتني قالت
أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبر بني

فجلست عند المريض في
المسجد الى الجمعة الاخرى
حتى جاء يوم الجمعة ومعه
شيء يؤكله المريض فلما
فرغ من اطعامه قال له
المريض يا ابا نصر هذا
الرجل صحبك من بغداد
في الجمعة الماضية وهو مقيم
عندي قال فنظر الى بشر
كالمغضب وقال لم صحبتني
فقلت اخطأت ياسيدى
واستغفرت الله العظيم مما
كان مني فقال بشر الحافي
قم فامش فمشيت معه الى
قريب المغرب فدخل
بغداد قال اين محلك من
بغداد فقلت في المحل
الفلاني فقال اذهب ولا
تعد لمثل هذا فتبت الي الله
تعالى وصحبته رضي الله
تعالى عنه ونفعنا به في
الدارين آمين) وحكي عن
بعضهم رضي الله تعالى عنه
انه قال دخلت الخلوة في
ايام جزبني وعاهدت ربي
عز وجل ان لا آكل شيأ الا
بعد اربعين يوما فمكثت
في الخلوة عشرين يوما
فاشتد علي الجوع والفاقة
والضرورة فخرجت من
الخلوة فسرت ولم اشعر
بنفسي الا وانا في السوق
فبينما انا كذلك اذا بفقير
يتمنى على الله رطل خبز
ورطل شواء ورطل حلواء
فتعجبت من ذلك وهو يمر
علي ولا يكلمني فقلت في

ايتها الحية من انت قالت انا موكلة بالحياة واسمي تمليخا ولولا اني موكلة بهن لاكلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فاتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان امته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الخير يا بلوقيا ارني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت ان اصيدها رجوت ان انال معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى ان يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال انا اريك المكان فقام عفان واخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة في احدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية فافتتح باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فاغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذها ومرا جميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من ياخذني ويقطعني ويدقني ويعصرني ودهني ويطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك له طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يا بني آدم ما أجرأكم على ربكم ولن تصلوا الى ما تريدون قل فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كأنهما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا مقتدر ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكا في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا سكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما اجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شملة كانها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فما مرت النفخة بشيء الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطا ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أيام ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل

نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتغني هذه الشهوات العزيزة واما اطلب كسرة يابسة لم تحصل لي قال فلما كان بعد ساعة حصل له ما تمناه فجاءني بذلك واعطانيه وقال يا فلان اتدري من هو الثقيل الثقيل الذي يخرج من الخلوة لاجل الشهوات ويفقض العهد يطلب من الطيبات والنفائس ما يريد عليه القوة ثم قال ان الذي يطوي الاربعين يوما يطويها بالتدريج ثم قال لا تعد لمثلها أبدا ثم تركني ومضى فلم اره رضي الله تعالى عنه ونفعنا بهم اجمعين وجميع المسلمين آمين (وحكي عن الشيخ المسمى بجوهر الشكور المدفون بعدن رضي الله تعالى عنه) أنه كان مملوكا فعتق فكان يبيع ويشتري في الاسواق الا انه كان يحضر مجلس الفقراء ويعتقدهم اعتقادا شديدا وكان رجلا امينا فلما حضرت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريقة بعدن المدفون بها اجتمعت عليه الفقراء وقالوا يا سيدي من يكون شيخا بعدك فقال الذي يقع على راسه الطائر الاخضر في اليوم الثالث بعد موتي عند اجتماع

والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة ياخاطىء يا ابن الخاطيء لاتاخذ مني شيا فبقي متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبايديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لااله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذي أوقعك الينا فقال اني خرجت في طلب نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم واني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامه واستاموت الى يوم القيامه وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا ياصخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعه أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا في سمائه سماه جبليت وخلقا في أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق في صور أسد وتمليت في صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائه عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا واحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكنني أجلل فرسي وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ او أكثر قالا بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فحلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب ففالوا عجائب الله لا تنقضي ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لااله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحابيل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم

الناس والفقراء عند قبري فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ الى رحمة الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة ايام ينتظرون ما وعدهم الشيخ رضي الله تعالى عنه فبينما هم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع فصار كل من الفقراء يتمنى ان يكون هو الموعود به فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على راس جوهر ولم يكن يخطر له ذلك ولا لاحد من الفقراء فقام الفقراء يزفونه الى الزاوية وينزلونه منزله الشيخ فبكى جوهر وقال كيف أصلح لذلك وانا رجل سوقي ولم اكن اعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات وبيني وبين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا امر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوهر فامهلوني حتى امضي الي السوق وأبرأ من حقوق الناس فاجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفى كل ذي حق حقه ورجع الي الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا

بلوقيا ومضي فاذا هو بملك آخر قائم بيده اليمني في السماء و يده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثري وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك ممن أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال مخاييل قل لما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء قال احبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لرخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها و يدي اليمني في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهائجة ولو ارسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا وقضى فاذا هو باربعة من الملائكة احدهم راسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذي رأسه كراس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من اهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من انت قال انا بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك واين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست اري اثره ولا ادري باي بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال انا امين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده امرني ان امد الوتر واعقده واوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم امرني ان ارخي الوتر فافتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يخوف قوما امرني ان احرك عروق تلك الارض فمن اجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا ايها الملك ما وراء قاف قال وراء قاف اربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا اربعمائة الف باب في كل باب اربعمائة الف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الهموا ولذلك خلقوا وبه امروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم ايها الملك قال حجب ووراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا اخبرني ايها الملك على اي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور واسمه بهموت وهو ابيض راسه بالمشرق وذؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين الف سنة وهو واجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه ولويا ومضي حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان احدهما رأسه كراس الثور والآخر راسه كراس الكبش

كاسمه وله من الكرامات والفضائل ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذي العرش العظيم فصبر على العبادة حتى مات رضي الله تعالى عنه (وحكي ان الحجاج ابن يوسف الثقفي) بعث الى رجل من اهل الخير والصلاح والعبادة فلما حضر بين يديه لم يمهله دون ان قال لهما نه اذهبوا به الى السجن وقيدوه واكتبوا على قيده مخلد فلما سمع ذلك الرجل مقاله الحجاج تبسم وقال انك تحتاج الي مسمار كبير يكون وزنه قنطارا فقال الحجاج ما اصنع به فقال له الرجل تسمر به الفلك فلعل هذا من شؤم فعلك وقلة عقلك وتجارئك على مولاك وحلمه عليك قال فاغتاظ الحجاج عند ذلك وامر السجان ان يأخذه و يقيده و يسلسله و يبني له بيتا و يضمه فيه و يسد أبوابه حتى يموت فيه فمضى به السجان واحضر له حدادا ثم وضع القيد في رجله وامسك عليه بالرصاص فقال الرجل عند ذلك حسبي الله لا اله لا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال ثم وضعوه في البيت مقيدا مسلسلا فلما جاء الليل

وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لااله الاالله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا ايها الخلق المخلوق ممن انت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال لااله الاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ماعرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا لي الباب حتى اجوز فقالا لانحسن فتحه وانما ملك في السماء اسمه جبريل عسى ان يقدر على فتحه فدعا بلوقيا به قال فامر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عزب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بصفته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ماهذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ماء في الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضي بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وانه خرج بطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم أنه قال أيتها الحيتان اني جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما اجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا اكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قرصا ابيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه راى شابا يجري على الماء كانه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوؤه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كانه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت علي فوقف وقال لبلوقيا ماذا تستحلفني قال خشيت أن تفوتني كما صدر من اصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية في أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة اخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فماتا ههنا وانا عند قبرهما حتى اموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام

فقال

مضى السجان الى الرجل فسمه قائما يصلي ويقرأ ويدعوا الله عز وجل فعجب السجان من ذلك فلما طلع النهار أتى السجان الى الرجل فلم يجده ورأى البيت على حاله والحديد ملقى على الارض قال فخاف السجان على نفسه من ذلك فتوجه الى عياله واولاده وودعهم واخذ كفنا ومضى به الى الحجاج وهو مصفر اللون موقن بالموت فلما وقف بين يدي الحجاج قال ما بالك بهذه الحالة فقص عليه القصة فقال الحجاج على بالحداد فحضر بين يديه فقال ما صنعت بالرجل بالامس فقال صنعت به كذا وكذا فقال الحجاج ما كان يقول عند ذلك فقال السجان سمعته يقول عند وضع القيد في رجليه حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فقال الحجاج نعم ان الذي احلسب به هو الذي خلصه انه على كل شيء قدير (وحكى عن هرون الرشيد رضي الله تعالى عنه) أنه رأى رجلا من أهل الخير فسمعه يامر بمعروف وينهى عن منكر فشق ذلك على هرون الرشيد فاحضر الرجل بين يديه فلما حضر امر ان يجعل

فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما اهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا امين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فاكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على لوقيا وساله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي وأريد الرجوع الى أمي فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فانا أردك اليها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بي اليك قالت طيرا بيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فاثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام ﴾

قال الله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿ باب في نسبه ولقبه ﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا ابن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانه وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فامر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها البتة فتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خففت فقيل اسكندر وكني بذي القرنين * واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كانه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شرف من قبل ابيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿ باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه ﴾

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا وقال قوم كان فيلبش اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده لاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبوهلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو لاكندر يؤديها الى ملوك

له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك معه فلما كان بعد خمسة ايام قال بعض جلساء هرون الرشيد يا مولاي اني رايت الرجل الذي امرت بسد البيت عليه وهو يتبختر في بستانك الفلاني فقال الرشيد علي به فاحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من اخرجك من البيت قال الذي ادخلني البستان قال ومن ادخلك البستان قال الذي اخرجني من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل واي امر ربك ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وامر له بالاحسان واركبه فرسا من خواص خيله وامر مناديا ينادي بين يديه ويقول هذا عبد اعزه مولاه فأراد هرون اهانته فلم يقدر ثم زاد في احسانه واكرامه واحترامه وهذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين (وحكي عن الشيخ شاه ابن الشجاع الكرماني رضي الله تعالى عنه) انه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت بديعة الحسن والجمال فسمع بها ملك كرمان فاتى اباها ليخطبها منه فاستمهله

الشيخ ثلاثة ايام ثم اقبل والدها يطوف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلي ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهي جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجني بها يا سيدي فقال انا ازوجك بها فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقد له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرماني لا تفرح بفقري ولا ترضى ان أكون لها بملاقة لت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست اعجب منك وانما العجب من والدي حين قال لي قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الا مع ادخاره رغيفا قال فلما مع

الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فانس بذلك من نفسه القوة فاستصغى دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزي سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وأنه ينبغي لك أن تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتيني بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك أني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وأني محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادي واني نظرت الى السمسم الذي بعثته الي كنظري الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه في الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودي مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وأن الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلي الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فمرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعته فطعناه فارديا عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاخبر بشان دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال سلني عما بدا لك فاسعفك به فقال له دارا ان لي اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتي روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا اجزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿ باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق ﴾

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الموابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) في سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثنتي عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء في نبوته فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما

روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عباسا وكان عبدا صالحا فلما استحكم لمكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تاويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى بان أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أؤلفهم وليس عندى يا الهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملته وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شىء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شىء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شىء وأفتح لك بصرك فتنقد كل شىء وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شىء وأشد لك عضدك فلا يهولنك شىء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شىء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شىء وأشد لك يديك فتسطو على كل شىء وأشد لك وطأك فتهلك كل شىء وألبسك الهيبة فلا يروعنك شىء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك ويحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه سوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد فى كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا سبعمائة ألف ومن المساكين اربعون ألفا ثم انطلق يؤم الامة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأها يا أمير

الشاب كلامها قال انا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك اولى فقالت تصدق به على مستحقه فانى لا اقيم فى بيت فيه معلوم فاما ان تتصدق به واما ان اخرج انا من البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا الترزوج صدر من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد فى الدنيا وترك الملك ودخل فى طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت حكايته فى هذا المجموع رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة آمين (شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) انه قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات انى خرجت يوما من الايام الى موضع خالى ظاهر البلد التى كنت قاطنا بها فطاب لى المقام فيه ووجدت قلبى قريبا من الله عز وجل فحضرت الصلاة فاردت الوضوء وكانت عادتى فى صباى تجديد الوضوء لكل

المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معهما فارسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها مني وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق و المغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خنقوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمنى التي يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطىء اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أبيض هياسفنا من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس فوجدها تطلع على قوم ففعل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الامة التي يحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكمنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم أنهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا هنا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن امية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي على فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت

صلاة فاغتممت لفقد الماء غما شديدا واوصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ رأيت شيأ قائما يمشي على رجليه فتوهمت انه آدمي فلما قرب مني اذا هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد امسكها بيده فلما دنا مني وضع الجرة بين يدي فتعجبت في نفسي عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء قال فنطق الدب وسلم علي وقال ياسهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع اصحابنا في مسئلة اذ نودينا الا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوءه فقمت من عند اصحابي ووضعت هذه الجرة بين يدي وكانت فارغة واذا بملكين قريبين مني فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وانا اسمع خرير الماء في الجرة قال سهل رضي الله عنه فلما سمعت ذلك غشي علي فلما افقت اذا بالجرة موضوعة ولم ادر اين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة اردت ان اشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادي يقول ياسهل لم يؤذن لك في شرب هذا

الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربالهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

﴿ باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء باخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم في اطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم اشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح ما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على من ينمو من نمائهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع ان يطلع علينا ارلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا اى جعلا واجرا على ان تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما ما مكنني فيه ربي اى قواني عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة اجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا من اين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادلكم على معادنهما قالوا فباى قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو اشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذى قطع به سليمان اساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم اوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منهما زبرا مثل الصخور العظام ثم اذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير انه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما انشا في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوي بين الصدفين وهما الجبلان ثم امر بالنار فارسلت فيها قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تاكل الحطب و يسير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس المذاب فصار كانه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا له نقباطو يلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا (قال قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رايت سد ياجوج ومأجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته و يقال ان موضع السد وراء زخرد بغرب مشرق الارض بينه و بين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين الف درهم وورق سنة واعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب ارمينية وكان بنفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالي طالجند

الماء فتركتها فاذا هي تطرب وانا أنظر اليها متعجبا ولم ادر اين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين (وحكى عنه ايضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال توضأت في يوم جمعة ومضيت الى الجامع وكان ذلك في أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلا بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فاساءت الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول ثم جلست فاذا عن يميني شاب حسن المنظر كانه من الملوك وعليه أطمار من صوف فلما نظر الى قال كيف ترى حالك يا سهل فقلت بخير اصلحك الله فصرت متحيرا في معرفته لى ولم اعرفه فبينما أنا كذلك اذا خذني حرق بول فازعجني ذلك وصرت متحيرا في امري فان قمت تخطتب رقاب الناس ثانيا وان جلست لم اتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال يا سهل اخذك حرق بول قلت نعم يا سيدى قال فنزع رداءه عن منكبه وغطاني به وقال قم اقض حاجتك واسرع لتدرك الصلاة قال فنظرت فاذا بباب مفتوح وقائل

في بلاد شاه ملك الخزر فاقام عنده حتي اخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى ارض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيئا يشمونه من الرائحة الزكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أوشاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بوادعرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضهما الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتها فاذا باب له صراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمان هما في دورهما على قدر الدر بندو على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة اذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان اولئك لم يحدثوا في الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه باآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في احد الحصنين آلة البناء التي بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع نصف في عرض وشبر وسألنا هل هناك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحي خراسان فمدلنا اليها فوقعنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودنا الطعام ثم سرنا الى عبدالله بن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتي صرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم

﴿ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة ﴾

روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان

يقول لج الباب يرحمك الله فولجت الباب فرايت قصرا مشيد البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة واذا بجانبها مطهرة مملوأة ماء احلى من الشهد واذا بمنشفة معلقة وسواك لين من الحرير قال سهل فتعجبت من ذلك ثم حللت لباسي وارقت الماء واغتسلت وتنشفت ولبست ثوابي فسمعته يناديني ويقول ان كنت قضيت أربك فقل نعم ففعلت نعم فنزع الرداء عني فاذا انا جالس مكاني ولم يشعر بي احد فصرت متفكرا في نفسي متعجبا مما رايت وصرت اكذب نفسي تارة واصدقها تارة فقامت الصلاة فصليت مع الجماعة ولم يكن لي شغل والا ذلك الفتى لا عرفه فلما رغنا من الصلاة قام فتبعته وانا امشي خلفه حتى دخلت الى درب فالتفت الى وقال يا سهل كانك ما ايقنت بما رأيت فقلت كلا يا سيدي فقال لج الباب يرحمك الله فنظرت فاذا الباب بعينه ثم ولجت القصر فوجدت النخلة والمطهرة والسواك المنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله العظيم فقال يا سهل من اطاع الله اطاعه كل شيء اطلبه تجده قال سهل

القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا فى الارض تسمى عين الحياة فمن اغتسل منها من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث في السماء ان لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسالتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى اريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف ان ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن اسلكها فقالوا ايها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فساد الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من ان أسلكها فقالت العلماء شانك بها فقال ذو القرنين أى الدواب بالليل ابصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل ابصر قالوا لاناث قال وأى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس انثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد رايه للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى الفين وبقى ذو القرنين في اربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا اصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فارجع اليها اهل الضلال اين صاحت قال فسار الخضر بين يدى ذى القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر ان العين فى الوادى والقي فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم اجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا هو أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فاخطا الوادى فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم أنهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما ورائى حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض

فتفرغرت عيناي بالدموع
فمسحتهما وفتحتهما فلم ار
الشاب ولا القصر فصرت
متحيرا على ما فاتني منه
رضى الله تعالى عنه ونفعنا
به وبعلومه واعاد علينا من
بركاته آمين (وحكى عنه
أيضا عفى الله عنه) انه قيل
لبعض اصحاب سهل
كيف كان حال سهل فقال
خدمته ثلاثين سنة فما
رأيته وضع جنبه على
فراشه ليلا ولا نهارا وكان
يصلى الصبح بوضوء
العشاء وهرب من الناس
الى جزيرة بين عبادان
والبصرة وما فر من الناس
الا من رجل حج سنة
من السنين فلما رجع قال
لاخ له رأيت سهل بن عبد
الله في الموقف بعرفة فقال
له اخوه نحن كنا عنده فى
ذلك اليوم وهو جالس
بيننا فحلف بالطلاق
الثلاث انه رآه في ذلك
اليوم بعرفة فقال له اخوه
سر بنا اليه حتى نسأله عن
حكم ذلك اليمين وعما
جري بيننا فى الاختلاف
فى ذلك فقاما اليه
وسلما عليه فرد عليهما
السلام فسالاه عما جرى
بينهما من هذا الحديث
فقال سهل ما لكم في هذا
الحديث حاجة اشتغلوا
بالله تعالى ثم التفت الي
الحالف وقال له امسك

عليك زوجتك ولا تخبر بذلك أحد بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين (وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت اسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهي فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك انك تنامين نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دابها حتى ماتت رحمه الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة احضرتني ثم قالت يا فلانة اذا أنا مت فلا تعلمي بي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وكانت جبتها من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون النائمين قالت فكفنتها فيها وفي خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها في المنام وعليها حلة خضراء من استبرق وخمار من سندس أخضر فقلت لها يا رابية ما فعل الله بالجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عني وأبدلت هذا الذي

الطائر ثم انفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فعاد الطائر لانخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربي يامرني أن أنفخ في الصور ثم أن صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذه فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فاخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بامر الطائر وما قاله وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبروني ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا الف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا اعلم علمه فاخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم اخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدي الكفتين واخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم اخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوي فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه الف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام ايها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وامره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت فاخبرني ما هذا الحجر فقال الخضر ايها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم يعط احدا من خلقه واوطاك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثي عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لاجرم لاطلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطىء الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذي تحتنا ايها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من اخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من اخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا واكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه

اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندرو بعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام امورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل فريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور ابن سلوم بن سهفاساط بن أبيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقيل بن أحريف بن بؤام بن عزاز بابن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض ابن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين احداهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائر يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبسا عليه مفرغا لعبادة الله وخدمته فتقبل مني الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وأن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما ولدت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أريته وطويت اكفاني
وختم عليها ورفعت في
عليين ليكون لي ثوابها
يوم القيامة قالت فقلت
لمثل هذا فليعمل العاملون
فقالت وما هذا عند الله من
اكرامه لأوليائه بشيء
فقلت لها مريني بأمر
اتقرب به الى الله عز وجل
فقالت عليك بذكر الله
تعالى فانه يوشك ان تغبطي
بذلك في قبرك رضي الله
تعالى عنها (وحكي عن
أحمد بن أبي الحواري عفا
الله عنه) انه قال كانت
لرابعة العدوية احوال
شتى فكانت مرة يغلب
عليها الحب ومرة يغلب
عليها الانس ومرة يغلب
عليها الخوف فكانت
تنشد في الحب هذا الشعر
حبيبي لا يعادله حبيب
وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري
وشخصي
ولكن عن فؤادي لا
يغيب
وسمعتها في حال الانس
تقول هذا الكلام
ولقد جعلتك في الفؤاد
محدثي
وأبحت جسمي من اراد
جلوسي
فالجسم مني للجليس
مؤانس
وحبيب قلبي في الفؤاد
أنيسي

حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها أي أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبدالله بن حامد باسناده وأخبرنا أبوسهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (واخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء قال وذكروا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة اى فتقبل الله النذيرة اي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وانبتها ربها في غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم اخذتها امها حنة فلفتها في خرقه وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما بلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقربهم اليها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم اى سهامهم وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت اقلامهم ورست في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت اقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال يا بني اسرائيل تعلمون والله أني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبدالله ابن حامد باسناده عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت

وسمعتها في حال الخوف تقول

وزادي قليل ما أراه مبلغي
الى الزاد ابكي أم لطول مسافتي
احرقني بالنار يا غاية المنى
فاين رجائي فيك اين مخافتي

قال زوجها فقلت لها ليلة من الليالي وقد قامت من أول الليل يا رابعة ما رأيت من يقوم اول الليل غيرك فقالت سبحان الله امثلك من يتكلم على ذلك انما اقوم والله اذا نوديت للقيام (قال) زوجها وجلست يوما من الايام آكل وهي جالسة بجانبي فقعدت تذكر اهوال يوم القيامه فقلت لها دعينا نتهنأ بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن ينقص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لي والله لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا قالت كله يا سيدي فانا طبخ الا بالتسبيح ثم قالت لي اذهب فتزوج فتزوجت بثلاثة نساء فكانت تطعمني اللحم وتقول لي اذهب بقوتك الى اهلك وكنت تأتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها

أحد منهن شيا فاتى فاطمة رضى الله عنها فقال يابنية هل عندك شيء آكل فانى جائع فقالت لا والله بابى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارية لها برغيفين و بضعة لحم فاخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لاوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابى أنت وأمى يارسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فاتى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يابنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فاتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا و بقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضي الله عنها فأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا وكان أصل الجفنة رغيفين و بضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿ باب في مولد يحيي بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك اى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي اي اعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا راضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان و يفتح باب المذبح فلا يدخل احد حتى ياذن له بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون ان ياذن لهم بالدخول اذا برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يازكريا ان الله يبشرك بيحيى * واختلفوا لم سمي يحى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا به عقر امه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله فاخبرنى به الحسن بن فنجويه باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة او عملها الا يحى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحى ابن زكريا قتلته امراة قال وسمعت ابا منصور الخمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسى اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل ليسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصيتى اسمه حى فهبى له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد و يحي اول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان امه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحى يامريم احامل أنت فقالت لها اذا تقولين هذا قالت انى ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحى أكبر من عيسى بستة اشهر وذلك مولد يحى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل

الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروي) عن عمرة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يا راجل قد ذهب الليل و بين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم اجمعين (وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به) تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخترت ثم تاتي وتقول لى الك من حاجة يا سيدى فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضي وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلى الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقتها رضي الله تعالى عنها (وحكى عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه) قال لما مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته فى المنام وهو يمشي و يتبختر فى مشيته فقلت له يا اخي اى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى والبسني نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله

يحى قبل ان يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم قال سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذى لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذى لا باءة له ودليل هذا التأويل ما اخبرنى به ابن نحويه باسناده عن ابى صالح عن ابى هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد اذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاه وقال المدنى الحصور الذي لا يدخل فى اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب اى ياسيدى قاله لجبريل هذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يارب لله لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم انكر زكريا ذلك وسال الآية بعد ما بشرته الملائكة اكان شكا فى وحيه ام انكار القدرته وهذا لا يجوزان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ماقاله عكرمة والسدى ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفية كما نادیته خفية وكما يوحى اليك فى سائر الامور فعال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي ولد اى كيف يكون لى ولد أتجعلنى وامرأتى شابين ام نرزقه كذا على كبرنا ام ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك متخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتى وطاعتى لا انه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالي واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا اى اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيي بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار أنه لما ولد يحيي رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

﴿ باب في صفته وحليته عليه السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان يحيي بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس فى عبادة الله وطاعته

﴿ فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده ﴾ * قال الله تعالي يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيي قال له أترابه من الصبيان يا يحيي اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون أنه نبيء صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم

منزل غير مخلوق ثم قيل لى يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثورى رضى الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى اخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يراد به العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال بخ بخ ومن مثل بشر ابن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخى فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول لملائكته من هذا فقالوا يارب أنت اعلم فقال هذا معروف الكرخى سكران بحبي فلا يفيق الا بلقائى (وقال) الربيع ابن سليمان رايت الامام الشافعى رضى الله عنه فقلت يا اباعبد الله ما فعل الله بك فقال اجلسنى على كرسي من ذهب ونثر على

أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الي عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فمال ان مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فاذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشتري منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعطي في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاقبل عليهم عدوهم فدخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وامرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (واما سيرته) فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان من زهد يحيي انه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى امه فقال يا أماه ائتيني لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتي اتى الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له امه حتي يأتي نبي الله زكريا عليه السلام فاؤامره في ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيي فقال له زكريا يا بني ما يدعوك الى هذا وانما انت صبي صغير فقال له يا ابت اما رأيت من هو اصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال لامه ائتيني لنا مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فاوحي الله تعالى اليه يا يحيي أتبكي على ما قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المدوح فبكى يحيي حتي أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين اضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه واقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر بك عيني قال أنت امرتني بذلك يا ابت قال ومتى قال الست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت اتاذن لي يا بني ان اتخذ لك قطعتين من لبد يواريان اضراسك وينشفان دموعك فقال لها شانك فاتخذت له قطعتي لبد يواريان اضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم اخذهما فصرهما فتحدرت الدموع من بين اصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع راسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وكان زكريا اذا اراد ان يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل واقبل يحيي قد لف راسه بعباءة وجلس في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشا يقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل ان في جهنم جبلا يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار واغلال من نار فرفع يحيي راسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا ام يحيي قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت ان لا اراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا ام يحيي اين تريدين قالت اطلب ولدي يحيي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت ام يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت يا راعي هل رايت شابا من صفته كذا وكذا قال اما لك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا وكذا قد مضى في الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا ادوق بارد الشراب اللؤلؤ الرطب وأباح لي الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضي الله عنهم (وحكي عن بعضهم رضي الله عنه) انه قال كنت في مركب سنة من السنين وكان في المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا في غسله وتجهيزه واردنا القاءه في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق وتزلت السفينة الي ارض فخرجنا منها ونظرنا فاذا بقبر رخم وليس فيه احد فدفناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فتعجبنا من ذلك وسرنا رحمة الله عليه (وحكي عن الشيخ ابي سعيد الخدري رضي الله عنه) أنه قال كنت بمكة سنة من السنين فمررت بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الشباب وهو ملقي على الارض ميتا فنظرت في وجهه فرايته يضحك فتعجبت من ذلك فقال لي يا ابا سعيد أتعجب من موتي وانت تعرف ان الاحياء احياء فهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال ابو سعيد فدهشت من ذلك ثم اخذت في غسله وتجهيزه ودفنه وانا متحير في امري متفكر فيما رايته

حتى انظر الي منزلي منك فاقبلت امه فلما رأته وثبت منه فاخذت براسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله ان ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه اليق ففعل ثم انها طبخت له عدسا فاكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يايحي اردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب اقل عثرتي وعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناولني مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستوردانى المهالك فتقدمت اليه امه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها كريا يا ام يحيي دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيي فلبس مدرعته ووضع البرانس على راسه ثم اتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من امره ما كان والله اعلم

﴿ باب في مقتله عليه السلام ﴾

اختلف العلماء في سبب قتله فقال كان يحيي عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امراة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيي يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم انتن من الجيف فامرت بيحيي فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيي فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجعلت بنت لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لما فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلى ما شئت فقالت البنت استوهبت منك اهل الحبس اصنع بهم ما شئت فظن ابوها انها ترحمهم تستوهبهم فقال ابوها قد فعلت فامرت امها باهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيي امرت به فذبح واخذت راسه في طشت ثم حملت الطشت الى ابيها بامر أمها وقالت ايها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من اعظم ما وجدته ولو كان مثله الف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيي بن زكريا فقال هلكت واهلكت أبويك فغير ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان للملك بنت اخ تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها انه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتي فقولي حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتك ان تذبح يحيي بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما اسالك الى هذا فلما ابت عليه دعا يحيي بن زكريا ودعا بطشت وذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فسألته على ذلك الدم فالقي الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين الفا منهم على سن واحد ليسكن ففتلهم فسكن (وقال السدى) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويدنى مجلسه ويستشيره في امره ولا يقطع امرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امراة له فسأل عن ذلك يحيي فنهاه عنه وقال لست ارضه هالك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها من الحلى والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تستقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا اعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تستقيه وتتعرض له فلما اخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا افعل حتى تعطيني ما اسألك قال وما تسالين قالت ان تبعث الى رأس يحيي بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما اسالك الا هذا فلما ابت عليه بعث اليه فاتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو

رضي الله تعالى عنه (وحكى عن ابي يعقوب السوسي نفعنا الله ببركاته) انه قال جاءني بعض المريدين بمكة وسلم علي وقال يا استاذي غدا عند الظهر اموت فخذ هذا الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبرا بنصفه ثم امض من عندي فلما كان الغد عند الظهر جاء فطاف سبعا ثم امتد نحو القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت في وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو يضحك فقلت له يا أخي أنت ميت ام حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم اخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه (وحكي عن الشيخ أبي علي الروزباري رضي الله عنه) انه قال ورد على جماعة من الفقراء فمرض منهم رجل ومكث في مرضه اياما كثيرة فمل اصحابه من خدمته واشكوا الى ذلك فخالفت نفسي وحلفت ان لا يتولى خدمته احد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فبينما انا عند

يقول لا تحل لك فلما اصبح اراده يغلى فامر بتراب فلقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمنا ذكره في اخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذى قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هردويا كانت امرأة اخ له يقال له فليقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه انها لا تحل له فسالت المرأة هيردوس ان ياتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط فى يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من اجمل الناس وجها واحسنهم في زمانه فاحبته امراة الملك الذى كان فى زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك احق ان يطا فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى ان اقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وباهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ ذكر مقتل زكريا عليه السلام ﴾

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فناداه شجرة يا نبي الله الى هنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى اخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى اطراف أرديتهم لا يدرون لما امروا بذلك واخذ الملك واهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان اريتكم علامة تصدقونى بها قالوا فاريناها فاراهم طرف ردائه فاخذوا المنشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط عليهم اخبث اهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيي وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب فى قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف بمريم زكريا وقال ما احبلها احد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم واشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها واخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رايت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلفتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى ان الشمس بكت على يحيي اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء ويروي ان يحيى اخبر سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم

﴿ مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضي من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة ايام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام اضجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم اقسم وقال يا لى لانصرنك بجاهى يوم القيامة كما نصرتنى وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه اقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن في قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشف عليهم الشيخ فلما ناموا سلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا فى الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا ان الشيخ علم بحالهم فبينما هم كذلك اذا الشيخ قد اقبل وقال لهم انتم استوجبتم البلل ثم أخذ باذن الاسد وقال له اما قلت لك لا تتعرض لضيفانى فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم اتوا الى الشيخ يعتذرون له

وكان اطول يوم في السنة واشده حرا نقد ماؤها فقالت الا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء اكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فاخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مؤمنا مطيعا قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب امرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت الحكماء انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ما ذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأي الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها الآن أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء ويقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من امر الله وانه لا يسعه ان يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها ذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد افصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه

السلام

ويقبلون يديه ويستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ انتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضي الله تعالى عنه ورضي عنا وعن جميع المسلمين ببركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) اشارة لطيفة قال لما ذهب ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ لعنه الله يدعوه الى عبادة الله عز وجل عظم عليه ذلك وجمع اهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ما تشيرون علي به في امر هذا الرجل الذي تجاهر علينا وكسر الاصنام وعطل ديننا بين الانام فقولوا ما بدا لكم فاني راجع الى اقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادي النمروذ في اقطار مملكته الا من اطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من اقطار البلاد فاقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى ان

السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة ايام عرج به الى السماء فلا ينقطع ابد الدهر منها وانه ينزل فيها والله اعلم

﴿ باب في ذكر ميلاده عليه السلام ﴾

قالوا لما اتملت مريم ودنا نفاسها اوحي الله تعالى اليها ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تاوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها اخت امها ام يحيى فلما دخلت عليها قامت ام يحيى واستقبلتها فالزمتها فقالت امراة زكريا يا مريم اشعرت اني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت اني حبلى قالت امراة زكريا اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها اوحى الله اليها انك ان ولدت بين اظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعنى من عندهم اى فاخرجى * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من ارض مصر في منقطع بلاد قومها ادركه مريم النفاس فالجاها الى اصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غير عيسى وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا اى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته امه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجات الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها اى محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اى جيفة ملقاة فنوديت ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن امه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفار اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها واورقت واثمرت وارطبت وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة اى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع ابن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما ادري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به اولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد اضر بها البرد ثم اشعل لها نارا التصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فاطعمها اياها فمن اجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام اصبحت الاصنام كلها بكل ارض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل ما وأذلك الحقير بالاخشاب فقال قوم نكبله وندعه في النار ونضرمها عليه واختلفوا في ذلك فاتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا راى لهيبها وعاينها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أتى فضعوه في كفته وارموه في ذلك فانه يصعد به المنجنيق في الهواء ويوقعه في النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا متسعا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما اوقدوا النيران كاد أن يضيء لها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى ان اطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار في الجو حرقه لهب النيران ثم اتى بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى الكافرين وقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك فعل بخليلك ما ترى

فائذن لنا أن نخسف به الارض وننجي خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله يا ملائكتي كل ذلك بعين قدرتي وانا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالى ياجبريل ادرك خليلي ابراهيم وسله ما يريد فانا اقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعا وهو صاعد في الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك يا ابراهيم فقال وعليك السلام ياجبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالي يغني عن سؤالي فقال الله تبارك وتعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فصارت تلك النار جنة نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودي بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم وكان من أمره ما كان (فلما) آن ظهور اشراق بهجة المصطفى سيد الامم طه المكرم صلى الله عليه وسلم واينعت اغصان الاسلام وأثمرت وبزغت في ليل الشرك شمس الايمان وظهرت وولد سيد البشر وشاع

بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فرح من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم اشتاتا فسألهم فاخبروه أنه حدث في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يدخلون في اجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما اصابها هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نزدد عما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبحرها وخافقين والجو والاعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا علمت ولا وضعته الا وانا حاضرها واني لارجو ان يضل به أكثر ممن يهتدي به وما كان نبي أشد علي وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج في تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان اهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد اهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من امره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام واراد وا ان يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد قتله فانصرفوا في طريق آخر وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع والله اعلم

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك انهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن اكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فادخلهما فيه اربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فاتت مريم تحمله بعد اربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا امه اني في عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل

بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فظيعا عظيما يا اخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من اتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وقد كروا انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بني اسرائيل واظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت امك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الاية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصاري والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة واراد وا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار واخبره بما اراد هردوس وأمره ان يهرب بالغلام وأمه الى مصر واوحى الله الي مريم ان الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فانما مات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر ابو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي اقرب الارض الي السماء وقال ابو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال ابو العالية هي ايلياء وقال الفزاز الارض المستوية والمعين الماء الظاهر فاقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد ابن علي الباقر رضي الله عنه انه قال لما ولد عيسى كان بن يوم كانه ابن شهر فلما كان تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل ابجد فرفع عيسى عليه السلام راسه فقال له هل تدري ما ابجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني حتى افسر لك فقال له المؤدب فسره لي فقال عيسى الالف لالاء الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هو زالها هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لاهل النار والراي زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع صاع والجراء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لامه أيها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المعمر باسناده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته امه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما ادري ذكره وانتشر بلغ اشده واستوى اتاه المطوق بالنور الامين جبريل عليه السلام من الملك وقال له يا محمد اجب الملك الجليل قد اتيتك بالبراق لتعلو السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق وها انا في ركابك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الاقصي واثاث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى ان سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بالك تركتني فقال له جبريل يا اكرم الخلق على الله تقدم على ربك وذرني فهذا مكاني متى تقدمت قدر ذرة احرقتني انوار الهيبة وشعاع العظمة وما منا الا له مقام معلوم فلما هم المصطفى صلى الله عليه وسلم بان يتقدم وينزل جبريل عليه السلام قال له يا امين الوحي الك من حاجة الى الله تعالى في هذا المقام كما تقدم منك لابي ابراهيم

قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم ومايدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء فى البحر وكان اشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله اعلم

(باب فى ذكر الايات والمعجزات التى ظهرت لعيسي عليه السلام في صباه الى ان نبيء)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة فى دار دهقان من ارض مصر انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك لدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أمه اتحبين ان ادله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولى له يجمع المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد والى رجلين منهم احدهما اعمى والاخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمي وقال له قم به فقال الاعمى انا اضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوي المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لان الاعمي استعان بقوة المقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه فى خزانته وقال يامريم خذي نصفه فقالت انى لم اخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو اعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان اعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه اهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام ولم علم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما راي عيسي اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى يده على افواهها وهو يمشى فكلما امر يده على جرة امتلأت شرابا حتي اتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنى عشرة سنة (آية اخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم و يقول للغلام انطق فقدا كل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله فيمكى عليهم حتي يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسي يطلبهم فقالوا له ليس ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية اخرى) قال السدي لما خرج عيسى وامه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ ترك بني اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مغتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشأن زوجك اراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت اخبريني لعل الله يفرج كربه على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه و يسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم بشيء فانه قد احسن الينا وانى آمر ابنى ان يدعوله فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسي فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه احسن الينا واكرمنا قال عيسي

فقولى

فقال نعم ياسيد البشر فقال وماهى فقال تسأل الله لى عزوجل الامن من مكره وسخطه وعفا به قال فتقدم صلى الله عليه وسلم الى مكان لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فابتدأه بالتحية والسلام ذوالجلال والاكرام ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى فاوحى الي عبده ماأوحى فقال صلى الله عليه وسلم يارب امتى فقال الله عز وجل يامحمد انى قد منعت على امتك بثمانية اشياء لم امن بها على احد من الامم السابقة (الاول) انى لم اخلق خلقا فى السماء ولا فى الارض اكرم على من امتك (الثانى) ان مائة الف واربعة وعشرين الفا من الانبياء مشتاقون اليك والى امتك (الثالث) انى لم اعط امتك الكثير من الاموال مثل ماسبق من الامم لئلا يطول عليهم الحساب يوم القيامة رحمة لهم وشفقة عليهم (الرابع) انى لم اعط امتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا نعمتي (الخامس) انى لم اطول اعمارهم فتجتمع عليهم الذنوب من كتقدم من غيرهم

فقولي له اذا قرب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سئل من اين هذا الخمر قال له من ارض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من ارض اخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال اخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندى غلام ما سأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسي وكلمه في ذلك فقال له عيسي لاتفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لابالى بعد ان اراه قال عيسى ان أحييته تتركوني انا وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنى موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه (آية اخرى) قال وهب بينما عيسي يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فالقاه بين يدى عيسي وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لاادرى من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسي عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ماتريد منه قال اريد أن اسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واتو به الى مقتل الغلام فاقبل عيسي على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذى قتله فقال بنوا اسرائيل من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يابنى الم انهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسي بعد ما اخرجته من الكتاب الى اعمال شتى فكان اخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسه ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الي عشرة ايام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فاحب ان تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما اريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال ياعيسى ما فعلت قال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التي اراد ها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسي عليه السلام فامن به هو واصحابه وهم الحواريون والله عز وجل اعلم

(باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هروس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويامرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخيل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصاري وكان عيسي يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمني والعميان والمجانين ويقمع

(السادس) انى لم اعاقب امتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة

(السابع) انى اخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لايطول مكثهم فى التراب

(الثامن) انى لم افش سرهم كما أفشيت سر الامم واخبارهم اليك والى امتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله ببركتك يامحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ان عبدك جبريل سألني ان اسالك ان تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا فى امره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يامحمد قد امنته مكرى فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور واخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال ياأحمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

(وروي عن ابى بكر الصديق رضي الله عنه) انه اتى يوما من الايام الى المسجد للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقعد

الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه فعمل ما ره به فاحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وبرء بما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشي اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعا بشرط الايمان * ودعاؤه الذى كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت الهمن في السماء والهمن في الارض لااله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لاجبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لاملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لاحكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير

﴿ باب فى قصة الحواريين عليهم السلام ﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الي الحواريين أي الهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيي أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذى يدعي تداوس وشمعون القنانى ويهوذا الاسخريوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسي فقال لهم ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتي نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعوا الي الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسي بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربى فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا ملاحين وقال ابن ارطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها (أخبرنا) ابن فنحويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسي على قصعة فكانت القصعة لاتنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة * قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى ابن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

حرينا في اخر المسجد لما فاتته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل ان يخلق السموات والارض بالفى عام فكنت اسبحه واقدسه فبينما انا على تلك الحالة اذا قبة من نور بيضاء تضيء فجعلت تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول احد احد فرد صمد فقلت يارب من هذا اخلق خلقته قبلى ام خلق تخلقه بعدى فقال الله عز وجل هذا خلق اخلقه فى اخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد وامته خير الامم فقلت يارب اسالك بحقه عليك ان تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما انا كذلك اذا بقبة اخرى تليها وهي تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من امة هذا النبي يكون اول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد اقام ابو بكر

﴿ ذكر خصائص عيسي عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه ﴾

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة واذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس * واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسي عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيدة ابن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه كمال الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا واسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخالق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى والابرص الذى به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يرض واقط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسي الطب فاتاهم المعجزة من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم مادعاكم الي هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا ماترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والاقاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذنى وأحيا منهم أمواتا منهم العازر وكان صديقا له فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العازر يموت فاته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الي قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسي اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرهم أنى أحيي الموتى باذنك فاحى العازر فقام العازر وخرج من قبره وبقى وولد له (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه ان عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسي مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتي دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم ياأهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسي أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسي أما أنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال انا عيسي فاضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيامر بضربك واخراجك فمضى

ينتظرك قبل امتك بار بعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك ان تصبر له ساعة حتى يصلى معك وينال من بركتك ثم مضي جبريل عليه السلام فقام النبي صلى الله عليه وسلم واخذ بيد ابى بكر وعاهده انه لم يكن ليصلى فرضا الا ان يكون خلفه رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة اجمعين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس بالمسجد واذا برجل اعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام واجلسناه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقضيني حاجة في حب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه ماحاجتك ياشيخ فقال ان لى اهلا ولم يكن عندي ماانفقات به وارید من يدفع لنا شيأ نقتات به في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنهض ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال نعم انا اعطيك مايقوم بك في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هلى من

الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا زوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك احدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وما حكمك فحكم بالذي سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى اني آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى انا أيضا ادعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فاخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذي قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له (ومنها) ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أحيها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصنع لهم سفينة نوح لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احي باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف راسه فقال اقد قامت القيامة قال لا ولكني دعوت باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا احرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صنايق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا ان يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فاخبروه فقالوا لهم انا وفيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في اكفانه والارض لا تاكل اجساد الانبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احي يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه اعينهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يعني عيسى فقال أشهد انه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بياحي ياقيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الكلبي لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص واحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل في غدائه وبما يأكل في عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروي انه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الخمشاوي باسناده عن معاذ

حاجة اخرى فقال نعم ان لي ابنة اريد من يتزوج بها في حياتي حبا في محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انا أتزوج بها في حياتك حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من حاجة اخرى فقال نعم اريد ان اضع يدي في شيبة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حبا في محمد صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الاعمى وقال امسك لحيتي في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى بلحية ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يارب اسألك بحرمة شيبة ابي بكر الا ما رددت على بصري قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزتي وجلالي لو اقسم على كل اعمى بحرمة شيبة أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض اعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين

ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لسكتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا قالوا يارسول الله قد بلغنا ان عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يارسول الله ما كنا نرى ان الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شانا من ان يبلغ أحد شانه

﴿ ذكر حديث جامع في هذا الباب ﴾

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى انه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته وجد طعامهما فقال لصاحبه اين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاء الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو انا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم اصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان انا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي اراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومر فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عنه عيسى فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا اري جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى منه بعضا واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمر بصاحب بقر فنادى عيسى ياصاحب البقر اجزرلنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضرب به بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى ياصاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من انت قال أنا عيسي بن مريم قال عيسي السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي احيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في اسفلها واليهودي في اعلاها فاخذ اليهودي عصا عيسى وقال انا الآن ابرىء المرضى واحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى اتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال ادخلوني عليه فانا ابرئه وان رايتموه قد مات فانا احييه فقيل له ان وجع الملك قد اعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلابه فقال ادخلوني عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصاة وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم ولو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودي من الخشبة فقال ياعيسي انت اعظم الناس علي منة والله لا افارقك ابدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي احيا الظبي والعجل بعد ما اكلناهما واحياهذا بعد ما مات وانزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس

(ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث ابو موسى الفضل عن ابيه قال سمعت زينب بنت سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدي وكان عادتها اذا كنت عندها انها تجلس في عتبة باب بيت من بيوت القصر واجلس بازائها في الصدر في مجلس كان المهدي يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصدنا في كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جواري الخيزران اللاتي يحجبنها فقالت اعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهي على غاية من سوء الحال تستاذن في الدخول عليك وقد سالتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرني قالت زينب فاشارت الخيزران الى وقالت ماترين فقلت ما يضرنا دخولها فلا بد من فائدة او ثواب فدخلت المرأة فاذا هي أجمل ما يكون من النساء وكملهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت انا مرنة بنت مروان بن عبد الملك

فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسي هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي اكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسي انا صاحب الرغيف الثالث اكلته وانت تصلي فقال عيسي هي لك كلها فانطلق عيسي وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودي تتطاع الى المال ويكره أن يعصي عيسي ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فتواعليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فائتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال احدهما للآخر هل لك ان نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه أنا اجعل في الطعام سما فاذا اكلا مات ويصير المال كله لي ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم اكلا الطعام الذي جاء به اليهما فماتا وان عيسي عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسي أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطاعت نفس اليهودي صاحب عيسي الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسي عليه السلام ﴿ ومنها نزول المائدة ﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسي بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروي قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك انهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم سالم تخبؤا او تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضي يومهم حتى خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله اطعمنا طعاما وان صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وروي عطاء بن السائب وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب انزل الله قرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسي عليه السلام فقال اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم بعد نزولها عليكم كما سألتم فمن اكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان افضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة ارغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسي ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فانزل الله خمسة ارغفة وسمكتين نصنع بها ما صنع في المرة الاولى

ابن محمد الاموي قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقلت مرنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سلمك ولا سلم عليك والحمد لله الذي ازال النعمة عنك وهتك سترك واهانك بين الناس اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك نساء بني العباس يسالنك بالله ان تكلمي اباك في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن اخشن الكلام واغلظ القول وخرجن على الحالة التي علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامي ضحكت فوالله ما انني حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت اي بنية عمي اي شيء اعجبك مما صنع الله بي حتى اردت ان تسيئي بي والله لقد صنعت بنساء اهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى ان تكلميني ذليلة جائعة عريانة افكان هذا شكرك لله على ما اولاك ثم قالت زينب فالتفت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران يا مرنة دخلت باذني فلا تخرجي الا باذني وصاحت بحجابها ردوها فرجعت وقالت ما لقيت الا الضر والجهد وسوء الحال قال فنهضت الخيزران ويا مت

فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الي كفره فسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوى ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على انفه مرتين شيأ قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون ان ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نا كل وانت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يره مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى مالكم تسألون اشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال لها أخوفني عليكم ان تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها عيسى اهل العاهة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله واكم الهناء ولغيركم البلاء فاكلوا منها بصدد عنها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير زمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برىء ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى فلم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا اترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا للعذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم

فعانقتها فقال مالك في اوضع شيء من الحال الذي انا فيه فقالت الخيزران لجواريها عليكن بالحمام لي سرعة فدخلوا بها الحمام وامرت بعض الجواري بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها واجلستها في المجلس الذي يجلس فيه امير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهي تلقمها الى ان اكتفت غسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك احد ينتظرك فقالت مالي احد فقالت الخيزران فقومي فاختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت اوسعها وانزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر واورثها الفقر مالا نقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة الف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب واعلمته بجميع

باسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا (ومنها) ماروي ان عيسي عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال ياعبدالله اراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال افتحب ان أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضا عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كانه جزع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله انا رجل في عذاب منذ اربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فاجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من اليم العذاب ما ان ردني الله الى الدنيا أعطيته عهدا ان لا أعصيه ابدا فادع الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غاظت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امراتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بهما ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت راس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي جاريتي فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت انا جارية هذا ولا اعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل اماته الله كافرا ثم بعثه فامن وهل رايتم امرأة اماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الي السماء اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (وروى) الكلبي عن أبي صالح عن بن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آنهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب امي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وامه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يامعاشر اليهود ان الله يغضب فغضبوا من مقالته غضبا شديدا واثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواروه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فامر رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له فلطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من رد على ما أصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي الا ليكون لكم بي أسوة وانكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم واما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وارادوا

ماجرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا انك حرمة لاحلفن ان لا أكلمك ابدا فقالت ياامير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها وفعلت معها الخبزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة الف درهم وقال للخادم ان على رأسه بانها مني السلام وقل لها اني ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضي الخادم بالرسالة جاءت الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على امير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال امير المؤمنين لا والله بل اعز من ولدي قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى امير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم اخلاقهم خيرا (ولما حج امير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) عرض عليه جوهر نفيس له قيمة

ان يجتهدوا ازال الله عليهم النوم حتي لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري مالنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجحد وقال ما انا من اصحابه فتركوه ثم آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى واحزنه ذلك فلما أصبح أتى احد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون انت كنت تحيي الموتى وتبرىء الاكمه والابرص افلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلطمون عليه الشوك ثم أنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى والقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها وابراها من الجنون يبكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله رفعني فلم يصبني الا خيرا وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فرفعه الى السماء والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى اشيوع بن قنديرا والله اعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام)

(قال وهب) وغيره من اهل الكتب لما رفع الله عيسي عليه السلام لبث فى السماء سبعة ايام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود اعجلوك عن العهد الى اصحابك فانزل عليهم واوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها فانزل عليها واخبرها انها اول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم فى الارض دعاة الى الله تعالى * وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل فى قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلا وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفى الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد اعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى اهبط فيها هي الليلة التى تزخرفها النصارى. قالوا

عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الاموال بين غيره ولا بد لي منه ثم التفت الي حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس فى المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج احد حتي تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فأتني به فلما كان الغد اغلق الربيع الابواب وفعل ما امر به المنصور وكان محمد ابن هشام فى المسجد فعرف انه المطلوب وايقن انه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحاله اذ اقبل محمد ابن زيد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل ولك امان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال محمد بن زيد بن على بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وايقن بالموت وقال لا تجزع فانك لست اتل ابى ولا جدى وليس

فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي باكل أهلها الناس وتوما وليا الى ارض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وأفريقية ويحيي الي افسوس قربة أصحاب الكهف واليعقوبيين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتوماوس الي الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى ارض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من امره فوالله لو علمت لحليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والحشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها ولم يسهما منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا ثم هناك كانت اصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى بيت لحم من ارض ايلياء لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين واوحي الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام ﴾

(قال) وهب أراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فامر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار والآخر يحيي أن يلتزما امه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الي الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه امر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقتهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها واقبل ماروت ملك الروم واصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا انه امر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فاسلم كما ذكرنا والله اعلم

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانى أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين مهرودتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهلك من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل

لي عليك ثار وانا اجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما انا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه الى قريب من الربيع فقال يا بالفضل ان هذا الخبيث جمال من اهل الكوفة اكراني جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني واكرى جماله لبعض اهل خراسان ولي عليه شهود وارى بدمنك ان توصله معي الى القاضي ونمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقد استتر به وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما ينفعك الفجور فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الي الحق واعترفت لك فقال محمد للرسولين انصرفا عنه فقد اعترف بالحق فتركاه وانصرفا عنه فلما بعدا عنه قال محمد اذهب الى سبيلك فقبل محمد بن هشام يد وراسه وقال الله اعلم حيث يجعل رسالتك ثم اخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا ابن بنت

موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

﴿ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف ﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ ارسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وزوماض وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول اكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرىء المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفي الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وقد جئتانا قالا جئناك ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا الهة سوى الهتنا قالا نعم قال من قال من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى بهذين الرسولين الى أنطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فامر بهما فجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضرب ابعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأي الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمني باذن الله قال فامر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا ببندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني بقبول هذا فقال له اذهب بمتاعك فنحن اهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضي الله تعالى عنهم (وقيل للاحنف ابن قيس) ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه يحدث قومه فبينما هو كذلك اذ اتى برجلين احدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن اخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا اغتاظ ثم التفت الي ابن اخيه وقال يا ابن اخي اثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن اخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى امك مائة ناقة دية ولدها فانها غريبة منا (وروي عنه ايضا) (انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء حار فسقط السفود منها فوقع على الولد فمات من وقته فدهشت الجارية وتغير لونها فقال لا باس عليك انت حرة لوجه الله تعالى وهذا من

الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين أن الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء الميت قالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة أيام مشركا فادخلت في سبعة أودية من النار وأنا وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قومه وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا اذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفا ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذي فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الخمشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿ قصة يونس بن متى عليه السلام ﴾

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ

كارم الاخلاق رضي الله تعالى عنه (ولما حج معاوية ابن ابى سفيان رضي الله تعالى عنه) لم يترك شيأ الا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قسم على اهلها اكثر من اهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بالف درهم وعشرة اثواب وكان الرجل الانصارى من اهل بدر فاتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال اما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري اردده عليه فقال الرسول لا اقدر على ذلك فدعا الانصارى ابناله وقال يا بني اسألك بحقي عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه فاخذها ابن الانصارى واتى الى معاوية فعرف معاوية الشر في وجهه فقال ما تريد فقال ان ابى يقرئك السلام ويقول امثلى ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى ابيك فقال فلان فقال قاتله الله انما هذا العطاء لغير ابيك وعطاء ابيك دفعه الى رجل غيره ثم قال يا غلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصايه

الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثني عشر سبطا فيهم النبوة والملك فاوحى الله تعالى الى شعياء النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقى الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فامه قوي أمين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال عهدا غيري أنبياء أقوياء أمناء فالحياء عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك واقومه فاتى بحر الروم وكان من أمره ما كان * قال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتاهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله بلا سها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي ان آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال اتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا فقال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من امره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد ان نبذه الحوت ودليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ثم قال آخر ون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه ان كشف عنهم العذاب بعد ما اوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما اوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا ارجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف ارجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه كان قد خرج من بين اظهرهم لنزول العذاب قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان احدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة ايام ان لم تؤمنوا قال لهم ان آية ذلك ان تتغير الوانكم فلما اصبحوا تغيرت الوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان ليلة الاربعين ورأى يونس تغير الوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب اغيمت السماء غيما اسود هائلا ثم ادخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم والبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة لله واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب

ووضعية مسرعا فحضر الجميع وقال يا ابن اخي خذ الجميع وعد الى ابيك واعتذر لي من ابيك وعرفه خطأ الرسول فقال يا امير المؤمنين ان للوالد حقا وله امر مطاع وقد امرني ان افعل شيأ قال معاوية ما هو يا ابن اخي قال انه دفع الي الثياب وقال بحقي عليك الا ضربت بها وجهه فقال معاوية يا ابن اخي اطع والدك وارفق بعمك فتقدم الغلام ورمى بها وجهه برفق وتوجه الغلام الى ابيه واخبره بذلك وهو من حسن اخلاقهم (وقيل نزل بعض اللصوص الى دار خلف بن ايوب وهو قائم يصلي بالليل فجمع اللص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وحمله على راسه وخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج اللص من البيت الى الحائط يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له خلف يا ابن اخي خذ المفتاح وافتح الباب واخرج فلعلك محتاج الى ذلك فقال ارمثلك والله لن يؤذي ثم ترك ما كان اخذه وتاب الى الله تعالى (وحكى بعضهم) قال كان لعبد الله بن الزبير ارض مجاورة لارض معاوية بن ابي

والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة اهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المرى عن عمران الجونى عن ابى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا انت ففالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت اى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفى لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت الياس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين اظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق مغاضبا ربه مغاضبا قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي ان لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقدر يهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول اكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (قال ابن زيد) هو استفهام معناه افظن ان لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن ان يعجز به فلا يقدر عليه قال وبلغني ان يونس لما اصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فلما اتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال انا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه واوحى الله تعالى الى الحوت انى لم اجعل لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت اخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطي دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس ابن متى خاصة ام لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها الم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء اى بوجه الارض وهو سقيم اي عليل ضعيف

سفيان وكان له في كل ارض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في ارض عبد الله ابن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله بن الزبير الى معاوية اما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا ارضي فامرهم بان ينكفوا عنها والا كان لي ولكم شان فلما وقف معاوية على كتابه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال ما ترى يا يزيد قال ارى ان تبعث له جيشا اوله عنده واخره عندنا يأتيك برأسه فيريحك منه فقال معاوية عندي خير من ذلك يا ابتي قال ما هو يا ابت فقال على بداوة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءني والله ماساءه والدنيا وما فيها هينة في حبك ورضاك وقد كتبت على نفسي مسطور اشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذي فيها لملكك فضمها الى ارضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله ابن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب امير المؤمنين

كالفراخ

كالفرخ الممعط (واختلفوا) فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبي اربعين يوما فلما اخرجه الله من بطن الحوت انبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به رعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وانبتنا عليه اى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من اين انت ياغلام قال انا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام فمرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة فارسلوا معى احد يشهد فارسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال انشدكم بالله هل اشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان منى قال فاقام لهم امرهم ذلك الغلام اربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وامنوا به فاقام لهم امرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضي من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه ياينونس مر صاحب هذا الفخار ان يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدى أعيش فيه وأنتفع بثمنه أنا وعيالى تامرنى بكسره فبكى يونس فاوحي الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وانت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة الف او يزيدون من عبادى فمضي يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان اردتم يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسالوه ان يدخل معهم المدينة فقال لاحاجة لى فى مدينتكم فبكوا والحوا عليه فاجابهم الى الدخول فاتى بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فمكث مع اهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس فى زمان ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ اصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فاوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى اجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر اصحابه فعمل فى بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرايت على من الاكرام ان لا انقصه شيأ مما استاجرت به اصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم اتعطي هذا مثل ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له ياعبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك اجرته فوضعت حقه في جانب من

الاعدمنى الله بقاءه ولا اعدمه هذا الراي الذى احله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يابنى اذا بليت بشيء من هذا هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا لهذوم لم نر فى الحلم الا خيرا رضى الله عنه (وحكى ان المهلب ابن ابى صفرة) مر بحى من اهل همدان فرآه شاب من اهل الحى فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا اعور فسمعه المهلب فلما كان الليل اخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم واتى الى الحى فارتعب الشاب حين رآه فاتى اليه وقال له افتح حجرك ففتح الشاب حجره فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة عمك المهلب والله يا ابن اخى لو قاومتنى بخمسة آلاف دينار لاتيتك بها فسمع شيخ من اهل الحى فقال والله ما اخطأ فيك من جعلك سيدا (وقال احمد ابن ابى داود) ماريت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا

والسيف مسلولا ولم
يكترث لذلك ولا عدل
عما اراد الاتميم ابن جميل
وقد كان خرج على المعتصم
ولقد رايته وقد جيء به
أسيرا مكتوفا وقد
اجتمع الناس من الآفاق
والنواحي ينظرون كيف
يقتله المعتصم وكان المعتصم
قد جلس له مجلسا منكرا
وامر الناس بالدخول
ودخل تميم وحضر السياف
وفرش النطع وكان تميم
جميل الوجه تام الخلقة
عذب المنطق فرآه المعتصم
غير دهش ولا مكترث لما
نزل به فاحب المعتصم ان
يستنطقه ليعلم أين عقله في
ذلك الوقت فقال له المعتصم
ن كان لك عذر يا تميم فائت
به فقال اما انت يا امير
المؤمنين فالحمد لله الذي جبر
بك الدين ولم بك شعث
المسلمين وانار بك استار
الحق واخمد بك شهاب
الباطل وان الذنوب يا امير
المؤمنين لتخرس الالسن
الفصيحة وتصدع الافئدة
الصحيحة ووالله لقد كبر
الذنب وعظمت الجريمة
وانقطعت الحجة وساء
الظن ولم يبق الا عفوك او
انتقامك وانت الى العفو
اقرب وهو بك اشبه
واليق وانشد يقول
ارى الموت بين السيف
والنطع كامنا

البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فنميته فبلغت ماشاء الله فمر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا اعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك ابغي وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حتى فقلت والله ما اسخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك واغيثي عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ما شانك فقالت اني اخاف الله رب العالمين ففعلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي ابوان كبيران وكان لي غنم فكنت اطعم ابوي واسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فحبسني حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محالبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى ابوي فوجدتهما قد ناما فشق علي ان اوقظهما وشق علي ان أترك غنمي فما برحت جالسا ومحلبي في يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكاني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم وادبين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر اصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال اهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر اصحاب الكهف في ايام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (واما قصتهم) فيقال لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة اتاه قوم من احبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن اقفال السموات ما هي واخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو واخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس واخبرنا عن خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول القنبر في صفيره قال فنكس عمر راسه في الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وان يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد ان محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا ابا الحسن اغث الاسلام فقال وما ذاك فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا ابا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعي فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني الف باب من العلم فتشعب لي من كل باب الف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شريطة اذا اخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن اقفال

السموات

السموات ماهى قال اقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض يقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فاخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلون قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنين الي الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في اعين الشيطان قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول القنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذهب الحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة اسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرني عن قوم في اول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم احياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء اصحاب الكهف وقد انزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما اكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرني باسمائهم واسماء آبائهم واسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى علي كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم انه كان بارض رومية مدينة يقال لها افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتى دخل افسوس فاتخذها دار ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فصف لي ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه اربعة آلاف اسطوانة من الذهب والف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقي المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني م كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة اركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من ابناء البطارقة فمنطقهم بمناطق من الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم وودملجهم وخلخلهم واعطاهم عمد الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من اولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع امرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت صادقا فاخبرني ما كانت اسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وساد نيوس وكان يستشيرهم في جميع اموره وكان اذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك

يلاحظني من حيث لا
التفت
واكثر ظني انك اليوم
قاتلي
واي امرىء مما قضي الله
يفلت
ومن ذا الذي ياتي بعذر
وحجة
وسيف المنايا بين عينيه
يصلت
وما جزعي من ان اتى
الموت انني
لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد
تركتهم
واكبادهم من حسرة
تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم
وقد اخمشوا تلك الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين
بغبطة
او ود الردي عنهم وان مت
موتوا

(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا تميم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن ذلك ثم امر بقناة فقعد له على موضعه الذى كان خرج عنه ووصله بشيء كثير (وحكي عن بعضهم) قال قدم الى معن ابن زائدة اسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل

منهم وقال انها الامير نحن اسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رايت ان تطعمنا فعلى كل كبد حراء اجر فامر باطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل اخر وقال ايها الامير كنا اسراك وقد صرنا اضيافك فانظر ماذا يصنع مثلك باضيافه فخلى سبيلهم وانعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج اسرى فامر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لا جزاك الله عن السنة خيرا يا حجاج فانا وان كنا قد اسأنا فى الذنب فوالله ما احسنت في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قوله في الكفار فكيف فى المسلمين وقال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نكفهم
اذا اثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج تبا لهؤلاء الجيف والله لو قالوا مثل

وفى يد الثانى جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع فى جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من اجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا فى ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ انى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا لها كما يزعم للحزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتى وقع فى قلبى شىء منعنى عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال اطلت فكرى فى هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم اطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسى لئلا تميد بهم ثم اطلت فكري في نفسى فقلت من اخرجتي جنينا من بطن أمي ومن غذاني وربانى ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع فى قلوبنا ما وقع فى قلبك فاشر علينا فقال يا اخوتى ما اجدلى ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها فى ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة اميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على ارجلكم لعل الله يجعل لكم من امركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشى على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شربة ماء اولبن فقال عندى ما تحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك وما اظنكم الا هاربا فاخبرونى بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا فى دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعى على ارجلهم يقبلها ويقول قد وقع فى قلبى ما وقع فى قلوبكم فقفوا لى ههنا حتى أرد الاغنام الى اربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها واقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودى قائما وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى ما كان لون الكلب واسمه فقال يا اخا اليهود حدثني حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان ابلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء فى لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان أحمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا فى اسمه أيضا فروى عن على كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن على وقال شعيب الجبائى كان اسمه حمرا وقال الاوزاعى نتوى وقال مجاهد قطور يا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تفني (وأخبرنى ابن فتحويه) باسناده عن ابى حنيفة رضي الله تعالى عنه أن كلبهم كان قطمورا وقيل قطفيرا أخبرنى أبو على الزهرى باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس وداونوس

وكشطوس

وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القيطي ودون الكركي وقال محمد ابن اسحق القاطي الكلب الصغير وقال ماتي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه ابو عمر والجبري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف ان يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق ياقوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال ياعلي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة ثلاثا كل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال * فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين الف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم باكثر مما عوقبوا به أنفسهم فائتوني بالبنائين فاتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا الاههم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحلى وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا أخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول اراني نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله اقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان امري عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال ياعلي ان كنت عالما فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال ياأخا اليهود اخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز ياهذا انك قد اصبت كنزا فاعطني بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما اصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة ايام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال لا ترضى ان اصبت كنزا ان تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعي

ماقال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا سبيلهم (ولما) ولي الحجاج العراق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها انت بالامس في وقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب اموالي فقالت المرأة نعم قد كان ذلك فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ماترون فيها قالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال لها على من تضحكين قالت من وزرائك فان وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحجاج الى وزرائه فرآهم خجلوا فقال لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا ارجئه واخاه حين استشارهم في قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك في قتلي قال فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها ولم يشوش عليها (وحضر الهرمزان الفارسي) بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه عمر الى الاسلام فابى فامر بقتله فقال ياأمير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني شربة ماء ولا تقتلني ظمآن قامر بقدح من ماء فلما صار القدح بيده

الريوية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم امسكه واجتمع الناس ثم انهم اتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا اصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام امرنا ان لا ناخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الي خمس هذا الكنز وامض سالما فقال ايها الملك تثبت في امري ما اصبت كنزا وانما انا من اهل هذه المدينة فقال له انت من اهلها قال نعم قال افتعرف فيها احدا قال نعم قال نسم لنا فسمى له نحوا من الف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما تعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أربع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام بزعم ان هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ اعد على فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهي ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل باصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صار واقريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون ان دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا ففقوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن اهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريدان تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع ايدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت ارواحنا ولم يطلع علينا أحدا فامر الله ملك الموت فقبض ارواحهم وطمس الله باب الكهف واقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة ايام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وان احوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا وانا ابنى على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا ابنى على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم * ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي اوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا ابا الحسن لانه هي يهودي انا فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأنك اعلم هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان احدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في انفسهم من غير ان يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره من غير ان يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا

لبعضهم

بن يدي الهرمزان قال انا امن حتي أشرب هذا القدح يا امير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فالقى الاناء من يده فأراقه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر في امره فلما وضع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال عني اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بها ما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع يده فربطت لتقطع فانشد يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها
بعفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا
في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال وكانت ام الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا امير المؤمنين ولدي وواحدي

لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم امره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فقبلا وهما مستبشران الى اصحابهما فقالا قد اتفقنا على امر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيي لكم من امركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثعلبي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان اصحاب الكهف سيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة اصحاب الكهف فاراد ان يدخلها فقيل له ان على ابوابها صنما لا يدخلها احد الا سجد له فكره ان يدخلها فاتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ورد عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى اتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فاتا جميعا الى الحمام فاتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في اصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد ان يدخله فقال قائل اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أن راعيا ادركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر ولم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين اصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن اقام على دين المسيح وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة اصحاب الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع اهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتتبعون أهل الايمان في اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من اقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس

ناشدتك الله الا رحمت قلبي
وارات روعتي بالعفو عمن
استحق العقوبة فقال
المأمون هذا احد من حدود
الله تعالى فقالت يا امير
المؤمنين اجعل عفوك عن
ولدي ذنبا من الذنوب التي
تستغفر الله منها قال فرق
المأمون لها وعفا عن ولدها
واطلق سبيله عفا الله عنه
(وعن عبد الملك بن
مروان) انه اتى برجل
من بني مخزوم وكان من
اصحاب ابن الزبير فلما
حضر بين يدي عبد الملك
قال اليس قد درك الله الى
بئس المرد ورجع بك الى
سوء المرجع فقال له الرجل
يا أمير المؤمنين ان الله
ردني الى بئس مرد ورجع
بي الى سوء مرجع فانت
اخير بنفسك فقال عبد
الملك اطلقوه وامر له
بجائزة وانعم عليه رضي
الله عنه (وقيل) كان
يزيد بن المهلب واليا على
خراسان وكان حسن
الوجه جميل الصورة فمكث
مدة وانصرف عنها وتولى
مكانه قتيبة بن مسلم فقال
فيه بعض الشعراء

كانت خراسان ارضا اذ
يزيد بها
وكل باب من الخيرات
مفتوح
فبدلت بعده قردا يطوف
بها

والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ ادركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبدها في الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس وأما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان اكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة ان ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذي له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من انفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال اصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك امر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فاني ساؤخركم واتفرغ لكم فانجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغي ان اعجل لكم ذلك لاني اراكم شبابا حديثة اسنانكم فلا احب أن اهلككم حتى اجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فهربوا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم فقالوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي فاني أحب أحباب الله فناموا حتى احرسكم (رجعنا الى حديث ابن اسحق) فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلهم واجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فامر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما اخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على انفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فاصابهم ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض

كأنما وجهه بالخل منضوح
فبلغ ذلك قتيبة فطلبه فهرب الشاعر منه ومضى الى أم قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية به وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال يا ولدي باي وجه تلقاني قال بالوجه الذي القى به ربي فان احسانه لي اكثر من احسانك لي ومخالفتي له اكثر من مخالفتي لك قال فضحك قتيبة وترك سبيله وعفا عنه

(واشرف المامون يوما من قصره) فرأى رجلا قائما ومعه فحمة يكتب بها على حائط القصر فقال لاحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وامسك يده واقرأ ما كتبه فقرأه فاذا هو هذا الشعر

يا قصر جمع فيك اللؤم والشؤم
متى يعشش في اركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحي
اكون اول من يرعاك مرغوم

فقال له اجب امير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله يا غلام لا تذهب بي اليه فقال له الغلام انه راك من القصر فاخذه وارقفه بين يدي امير المؤمنين وقال وجدته كتب كذا وكذا فقال المامون ويلك

قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون اني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فاني لا اغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له انا نحن فلم نعصك ولم نقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فالقي الله في نفسه ان يأمر بالكهف فيسد عليهم واراد الله تعالى ان يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستحلف بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال قال ثم ان رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا ان يكتبا شأن الفتية وأنسابهم واسماؤهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأي اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد واما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الي من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا ائمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا ان يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأي الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول اى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد اراد ان يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شانهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وانه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي اعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيا وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقي الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اوليانس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستاجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فبزعموا ان اشجع من يريد ان ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتي يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كانما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبشارهم ولا الوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا تمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذي قال الناس في شانا عشية أمس عند هذا

ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لم يخف عنك ما حواه قصرك من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والامتعة والفرش والجوارى والخدم فمررت عليه وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا قائدة لي فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم منه رخامة أو خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرىء
نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير انه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المامون يا غلام اعطه الف دينار ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصر زاعامرا (وانشد في المعنى)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا
فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة
وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(وروي عن موسى بن

الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم انهم قد ناموا كاطول ما كانوا ينامون
في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا
قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد اعمادكم اذا
دعاكم غدا ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ
لنا طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان
يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورق من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع
دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب
الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها
فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة
سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب
وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من ابوابها فنظر
فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتي كان عرفها ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكونوا قبل
ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه
وبين نفسه ويقول ليت شعري اما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما
اليوم فانها ظاهرة لعلي حالم ثم يري انه لم ينم فاخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين
اظهر اهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا وراى انه حيران فقام مسندا
ظهره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض احد
يذكر عيسى الا قليل واما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخشى ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة
أعرفها فاني أسمع كلام اهلها ولا اعرف واحدا منهم والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران
لا يتوجه وجها ثم انه لقي فتى من اهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه لعل
بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان ابادر الخروج منها قبل ان يصيبني شر فاهلك هذا ما يحدث به
تمليخا اصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم افاق وقال لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفطن بي لكان
اكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم اخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله
بعني بهذه طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه
فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم
لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا
شديدا فجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوه الى ملكهم دقيانوس
قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد اخذتم ورقي
فامسكتموها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز
الاولين فانت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل
نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم
قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع ان تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سنخفي عليك فتحير في نفسه وليس
يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في
عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه

(همران صلوات الله عليه)
انه خرج يوما نحو الطور
واذا هو برجل واقف على
الطريق فقال الى اين يا نبي
الله قال الى المناجاة فقال لي
اليك حاجة قال فما هي قال
قل له يكرمني بقدر حبة
من محبته فلما وقف موسي
عليه السلام للمناجاة
نسي الرسالة من حلاوة
المناجاة فناداه ربه
يا موسى نسيت حاجة
عبدي قال يا رب انت
اعلم بما قال عبدك قال نعم
ولكن الرسالة حقها ان
تؤدي ومن لم يؤد الرسالة
فقد خان وانا لا أحب
الخائنين يا موسى قد
وهبت له جميع ما اراد
فرجع موسي فلم يجده في
مكانه فقال الهي وسيدي
اين ذهب الرجل صاحب
الحاجة فقال يا موسى
هرب منك قال لم قال من
احببنا لا يلتفت الي غيرنا
قال اردت ان تراه يا مومي
فادخل هذه الغيضة قال
فدخل ونظر فاذا اسد
يأكله فقال الهي ما هذا
فقال هذا صنعي باحبائي
في دار الفناء انظر يا موسي
الى دار البقاء فنظر فاذا
بقبة من ياقوتة حمراء مثل
الدنيا ثلاث مرات فقال
يا موسى هذه له واناله
(وقيل في هذا المعنى شعر)
طال اشتياقي فهل لي

أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدرى ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان اباه واخوته في المدينة وان حسبه في اهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن انه في عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومديريها وهما رجلان صالحان اسم احدهما ارموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض افرغ علي اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة ثم ابدا ياليت شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي ام لا * هذا ما حدث به تمليخا اصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم تمليخا انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن ما به فاخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال احدهما اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شأني وما ادرى ما اقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن ابوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام احدهما ونظر اليه نظرا شديدا وقال له انظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لاعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا انبئوني عن شيء اسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيأ قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا أليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتهينا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع ارموس ما يقول تمليخا قال قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى صلاتهم وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا فان أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى دقيانوس ينتظر متى يأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على

فيكو طمع
كيف اصطباري
والاحشاء تقتطع
كيف القرار الى من لا فرار
له
موله القلب للاحباب
منقطع يبكى الديار بدمع
هامل هطل
له من الجزع احباب وما
رجعوا

(وقال ابراهيم بن ادهم نفعنا الله به) نزلت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لى القيم قم واخرج حتى اغلق الباب فقلت انى غريب ابيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر وقد حلفت ان لا يبيت فيه احد ولو كان ابراهيم بن ادهم فقلت انا ابراهيم ابن ادهم فقال كفى ما انت فيه حتى تكذب ثم قال اخرج وجعل يجرنى من رجلى على وجهي حتى رماني خارج المسجد بازاء حمام فرأيت شابا حسن الوجه يوقد النار في تنور ذلك الحمام فسلمت عليه فلم يرد على السلام حتى فرغ فقال يا هذا انى اجير وخفت ان اشتغلت بالسلام عليك ان اكون خائنا في عملى قلت بكم تعمل كل يوم قال بدرهم

باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم أنهم سألوه عن شانه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكريوس وبطيرنس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأكتبنا شانهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنباهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان ارموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل الي فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتني برحمتك فلم تطفىء النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما نبا به أهل المدينة ركبوا اليه وسار وامعه حتى اتوا الكهف فلما راي الفتية تندوسيس الملك ومن معه فروا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام ونحفظك الله ونحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد ان يدخل عليهم وامر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل انهم لما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني ادخل على أصحابي فابشرهم فدخل وقبض الله ارواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فهذا خبر اصحاب الكهف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يراهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك واجلس على طرف من اطرافه أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها ان تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما امره به (١) فحملهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلموا منه حجرا فقام الكلب حين ابصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه واوما برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فناموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا باجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد

(١) قوله فحملتهم الريح الخ هذا معارض لقوله تعالى (رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) فليتنبه

صلى

ودانق اتقوت بالدانق
أنفق الدرهم على اولاد
خ لي في الله مات وتركهم
قلت له هل سألت الله في
حاجة قط قال نعم منذ
عشرين سنة وما قضيت
قلت له وما هي قال بلغني
ان فتى تميز على الزاهدين
وفاق على العابدين يقال
له ابراهيم بن ادهم فتمنيت
على الله رؤيته واموت
فقلت له ابشر يا اخي فقد
قضيت حاجتك ومارضي
لي بان آتيك الا سحابا على
وجهي فوثب من مكانه
وعانقني وسمعته يقول
قضيت حاجتي فاقبضني
فوقع ميتا (شعر)
أبدى شواهده في قلب
شاهده
واني لشاهده فيما يحاكيه
الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من معانيه
(وقال عطاء السلمي رضي
الله عنه) بعثنا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في
غزاة وكنا اربعة الاف
فحاصرنا قلعة على جبل
لا تصل اسلحتنا اليه وفيها
مجوس واميرهم امرأة
حسناء قال فطلعت على
السور فنظرت الى عسكر
الصحابة رضي الله تعالى
عنهم فرأت شابا مليح
من العرب وكان جميلا
فارسا شجاعا يضرب
بالسيف ويطعن بالرمح
قالت ياه ياه فقالت

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم فيحييهم الله تعالى له انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى اجابوكم فقالوا يارسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام اجمعهم وبلغناهم رسالتك فاجابوا وآمنا بوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما اكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين اصهارى واحبائى واغفر لمن احبني واحب أهل بيتي واحب امتي واحب اصحابي

﴿ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليمانى قال كان فى الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له اهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من اهل فلسطين قد ادرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يامن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل معه مال يريد ان يهديه اليه لئلا يحجل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وامر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد ارقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقي الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى اراد ان يهديه له فقسمه في اهل مملكته حتى لم يبق منه شيء وكره ان يجاهده بالمال واحب ان يلي ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وان لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك يضرك وينفعك واذا قال لشيء كن يكون وانك انما عمدت الي خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيئا من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له ان سأله عن حاله وامره من هو ومن اين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباده وافقرهم اليه من التراب خلقت واليه اصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما يرؤى أثرى على من حولى ومن هو في طاعتى فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اتعذل افلون الاصم الابكم الذى لا يغني عنك شيئا برب العالمين الذى قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوفليا وما نال بولايته فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى انبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس وما نال بولايته فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله بارييل وما نالت بولايته فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع اوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى انظر اليهما فانى انكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى واما الرجلان فلن تراهما ولم يرياك الا ان تعمل بعملها فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد اعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بامور عجزت عنها ولم تات بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين

لها جاريتها ما بالك قالت ان حصننا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت ستر بن بعد ساعة ثم ارسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط ان تسلمى الحصن الظاهر الينا والباطن لله فقالت اما الظاهر فاعرفه واما الباطن فما هو قال قلبك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فارسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت انى امرأة كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها اموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت هل ههنا اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا اسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير انى اخشى ان اقع بعد الاسلام في المعصية فاسأل ربك الذى ارسلك ان لا اعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر

السجود لا فلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها امشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه وتضح عليه في خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما راى الملك ان ذلك لم يقتله امر باستة مسامير من حديد فاحميت حتي جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما راي ذلك انه لم يقتله امر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتي اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه واطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس اما تجد الم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان ربى الذي اخبرتك به حمل العذاب عني وصبرني لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن فيشغله عن كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم اوتده في يديه ورجليه اربعة اوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما ادركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما ايده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاء به الوحي فقطع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه واطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان في القتلة الرابعة نقلت روحك واوفيتك اجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من اخرجك من السجن فقال اخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملىء غيظا ودعا باصناف العذاب حتى لم يخل منها شيئا فلما راها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعا ثم اقبل على نفسه يعاتبها باعلى صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابها قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق راسه فنشروه حتي سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة اسود ضارية كانت لها في جب وكانت صنفا من صنوف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها امرها الله عز وجل فخضعت برؤسها واعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ميتا وكانت اول موتة ماتها فلما ادركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتي سواه ثم رد الله اليه روحه وارسل الله له ملكا فاخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما اصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال لبيك قال له اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده وممت موت الصابرين فلم يشعر الملك واصحابه الا آخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكوف على عيدلهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما مضوا نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما اشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو أنا فبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فاحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي أراكم ما اراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر اعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسرعيني فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم برون فقال لهم الملك هل تقدر ان تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر اى دابة تطلب أمسخه لك كلبا فقال لساحر ادع لى بقدح من

وماتت من ساعتها قال عمر رضي الله عنه طوبى لمن مات وجوارحه مستريحة من المعاصي رضي الله عنهم ورضى عنابهم (وقال ذوالنون المصرى رضي الله عنه) رايت في البادية ظلا يلوح مرة ويغيب اخرى والشخص مستور عني فقلت بالله عليك ياصاحب الظل الا ما اظهرت نفسك لكى اراك قال فظهر فاذا هي امرأة فقالت ياذا النون ما اكثر فضولك ما تصنع بى فقلت انى احب الصالحين فقالت لقد احببت سواه فقلت انى احبكم تقربا الى الله تعالى فقالت واى فرق بينك وبين عبدة الاصنام اذ قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فتعجبت من كلامها فبينما نحن في الحديث اذ قالوا جاءت الخيل لنهب القافلة فبكى الناس وهي تضحك فقلت لها الناس يبكون وانت تضحكين فقالت ما ضحكى الا من مخافتهم من مخلوق فقلت قد وجب عليك ان تسالى الله لنا فقالت نعم ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت يارافع السماء بلا عماد يامن هو على فكرة العباد بحق ما تعلم من

ماء فلما أتى بالمدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشرب فشرب جرجيس حتى اتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فطاب الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له اعلم ايها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو في اشد ما فيه من البلاء فقالت له يا جرجيس انا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت احرث عليهما فانا فجئتك لترحمني وتدعو الله ان يحيي لي ثوري فلما سمع كلامها رفت عيناه ثم دعا الله ان يحي لها ثوريها ثم اعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام وقد مزقتهما السباع بيني وبينهما ايام فما لهما ولم تجدي منهما الا شيأ يسيرا وقرعتيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان اول شيء بدا لها من ثوريها ذقن احدهما وشعر اذني الآخر فجمعت احدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان اعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم امر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدر أعن نفسه الموت او حيا ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبأ اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد اني بريء مما تعتقدون فقام اليه الملك واصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد الملك اليهم فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فيحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بحيرتك فقال جرجيس ما خلى بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك امرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك ينشيء هذه الكراسي والاواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها انبوبته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سالت امرا عزيزا علي وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاواني كلها وساخت عروقها وتلبست باللحم وتشعبت واورقت وأزهرت واثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذي تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم أنه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا اسود فيه رعد وبرق وصواعق وارسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وارسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الغمة واسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفليا لا ندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب ام ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادعه يحي لنا موتانا التي في هذه القبور فان فيها اموانا منهم من تعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على

ودادي الا كفيتهم مؤنة الاعادي قال فاتم كلامها حتى اذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردي ثم غابت عني فلم ارها رضي الله تعالى عنها (رقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصي فاخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو في خربة على باب البلد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام يا موسى ان وليا من اوليائي قد حضره الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وقل لمن كان معك ان يصلي عليه فنادي موسى في بني اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذي اخرجناه فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه الخربة نظر يمينا وشمالا فلم ير احدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسره فرفع بصره الى وقال الهي وسيدي ومولاي عبد من عبيدك غريب في بلادك فلو علمت ان عذابي يزيد في ملكك

الدعاء فما برحوا من مكانهم حتي نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس ياشيخ ما اسمك فقال ياجرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الي ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبوه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الي بيت عجوز تبيع فيرة كان لها ابن اعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام او شراب فقالت لا والذي يحلف به اعهدنا الطعام منذ كذا وكذا وساخرج لتمس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم أنها انطلقت تطلب له شيأ وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فاقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل او تعرف حتي كان مما أنبتت اللوبية والليمون وهو مثل البردى يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من فوقه فاقبلت العجوز وهو يماشاها يا كل رغدا فلما رأت الذى حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني فقال لها ادنيه مني فادنته فبصق في عينيه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له اطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال اني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت بذلك الساحر الذى أردت ان تعذبه بالجوع فهو فيما شاء ياكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وامر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فاوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بار بعين ثورا فانهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتي عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتي سمعوا صوتا من السماء يا جرجان الله يامرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته من البحر ثم جمعته حتي صار الرماد صيرة واحدة كهيئته قبل ان يذري فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذي سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك ياجرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن أسجد لاقلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم اني أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلني على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم عليك ان تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتي تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك على فاخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتي اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها تو بخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها

لم اسالك المغفرة
وليس لي رجاء الا انت
وقد سمعت فيما انزلت
تقول اني انا الغفور الرحيم
اكان يحسن ان اردّه
يا موسى وقد توسل
بي وتضرع الى وعزتي
وجلالي لو سالني
في المذنبين من اهل
الارض لوهبتهم له وانا
الغفور الرحيم (وروي)
انه كان في بني اسرائيل
ملك جبار وكان يكره
الفقراء والصدقة ونادي
في المدينة كل من تصدق
بشيء قطعت يده وكان
في المدينة امرأة صالحة
مات زوجها ومعها
ولدان فكانت تغزل
وتشتري كل يوم دقيقا
وتعمل منه ثلاثة اقراص
لها وللولدين فبينما هي
على تلك الحالة اذ مر سائل
ببابها فاعطته قرصها
صدقة وقالت له انا كل
عند احد خوفا
عليه من الملك فاخذه
ومضي فلما كان في بعض
الطريق اخرج القرص
ليأكله فلقيه بعض اعوان
الملك وقال له من اين اتاك
هذا الرغيف فقال اعطتنيه
امرأة فقبض عليه
ورجع به الى الملك واخبره
بقصته فقال امضوا به
الى موضعها وائتوني
بها والفقير يحسب

ان جرجيس يسألك و يعزم عليك بالذي خلقك الا ما اجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك اقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها و بمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس اخبرني ايها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذي يحملك على ان تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما اشرقت عليه الشمس و بين ما اظلم عليه الليل و بين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق الم تعلم يا جرجيس ان الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فكيف تفتك و يلك بآلهة لم تمنع نفسها مني وانما انت مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والبراهين التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الادعوة فيخسف بكم الارض كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم فقال لها الملك و يحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا اقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر مني بشيء فقالت له اما رأيت الله كيف يظفره بك و يسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان عالق عليها وجعلت عليها الامشاط التي جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون به خروج روحي فلما خرجت وجهزيناها بذلك التاج ثم صعد بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم وأسألك أن لا يدعوا بعدي داع في بلاء وكرب فيذكرني و ينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الواحدة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين الفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب في قصة شمسون النبي عليه السلام ﴾

قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من الف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقي باسناده عن ابن أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه

انه يريد ان يعطيها شيأ عوض صدقتها فاحضروها عند الملك فقال لها اما سمعت النداء ثم امر بقطع يدها فقطعت وعلقت في عنقها فجاءت الى منزلها واقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى ان افطرت ونامت وهي شاكرة لله تعالى فلما اصبح الصبح مر فقير وقال يا من يتصدق بصدقة تنفعه فاعطته قرصا من اقراص اولادها فذهب وهو يقول جزى الله عني هذه المرأة خيرا كما انها تصدقت على فسمعه احد خدام الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فامر باحضارها فحضرت بين يديه فامر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا بسائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذي طاف هذه المدينة فلم يعطه احد من اهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته اخرجت اليه قرصا فاخذه ومضى فاذا برجل من اعوان الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فاخبره بالمرأة فقال هي لم تنته وامر بقطع رجلها واقامت تلك الليلة واذا

قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لفيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروي وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجهدهم في الله الف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذب يديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت اخبرتني ان لا يغلبني شيء ابدا ولا يوقظني الا شعرى فلما نام اوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا واخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه واوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فامر أن ياخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة عمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب في قصة أصحاب الاخدود ﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطيء عند الراهب ويأتي المعلم فيضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما بطاك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب واخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال انك لشأنا وقد بلغ من امرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائده وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله ان يرد علي بصري فقال له الغلام ارأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارد د عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك اخبرني من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه

بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذي له مدة وهو مسافر وليس له قوت الا نبات الارض فزحفت واعطته قرصا فرآه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فامر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى ان افطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضا وكان قريبا من بابها فاستيقظ اولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف احدهما في فمه فلما راته امه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهي صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الاخر صار يحبو الى البحر حتى انقلب فيه ولم تدركه امه فقالت اللهم اني استودعتكهما يا من لا تخيب عنده الودائع يا ارحم الراحمين قال فما اتمت دعاءها حتى فتحت ابواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا امة الله امرني رب العالمين ان ارد يديك ورجليك وولديك ببركة

حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا اشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال يا ملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو واصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وانت على سريرك فتصلبني على جزع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك واغلق ابواب المدينة واخذ افواه السكك وخدا خدودا وملاه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن برجع القاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد اسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا القيتك انت واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقي في النار ثم اخذ الاوسط. وقال ارجعي عن دينك فابت فالقي ايضا في النار ثم اخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار وامه على اثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب انهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر وارووه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوس الرومي احرق قوما من المؤمنين واما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما اخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن روي قال لما هزم المسلمون اهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم لبسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال ايها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا انزل

الصدقة ثم اخذ يديها ورجليها والصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى ورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والبحر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين ثديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي تصدقت من اجله رد على يدي ورجلي واولادي فقام على قدميه وقال امنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمراة في يوم واحد ووضعا في قبة من الجنة وارتفعت بهم الى السماء حتى خفيت عن الابصار نفعنا الله بهما وببركاتهما في الدنيا والاخرة امين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومي وكان له زوجة واولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فاقام الفتى وعياله ثلاثة ايام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت

علينا فى كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت ابسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فقال لها ان الناس قد ابوا قالت فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا قالت فخدلهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن ابى فاقذفه فى النار فخد الاخدود واوقد فيه النيران وعرض اهل مملكته على ذلك فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق واما الذى فى اليمن فهو يوسف ذونواس ابن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذونواس بين النار واليهودية فابوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبى كان اصحاب الاخدود سبعين الفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر زراعا ونجا ذونواس فسلط الله عليهم ارياط الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معديكرب

أتوعدنى كانك نور عيني * بأنعم عيشة اوذونواس
وقدما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
فقدتم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي
فامسي اهله بادوا وامسى * ينقل في اناس من اناس

﴿ باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من حديث اصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود وصنف لهم اصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى في النار الا رجلا من اهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له بركض حتى اعجزهم فى الرمل فاتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى اكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يامره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سبايا ها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما امره النجاشى فقال ذوجدن الحميرى فيما اصاب اهل اليمن

دعيني لا ابالك لم تطيقى * لحاك الله قد انزفت ريقى
بذا عزف الغيان اذا انتشينا * اذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقى
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب فى أسطوان * يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه ممسكا فى رأس نيق
لمتهمه وأسفله حروث * وجر الموجل اللثق الزليق
مصابيح الصليط يلحن فيه * اذا يمسى كرمضان البروق

بنت عمه يا ابن عمى انا وانت نصبر على الجوع فكيف الحيلة فى هؤلاء الاطفال فقال لها تعرفين شغلا افعله قالت نعم اعمد الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فاخذ فاسا وزنبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد فى طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال وعزتك وجلالك لا عملت اليوم الا لك وكان بوضوء صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرأ في ذلك اليوم في صلاته سورة الاخلاص احد عشر الف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال فى نفسه كيف امضي الى اهلى وماذا اقول لهم ان قالوا ماذا عملت وعزتك وجلالك لا برحت حتى اصلى العشاء الأخيرة ولم يزل راكعا وساجدا حتى صلى العشاء الاخيرة ومضى الى منزله

فاصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
وخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
واسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي ان اثبت بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان ابرهة بن الصباح ساخطه في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع ابرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الي ارياط انك لا تصنع شيئا فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد انصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حذر حليما وكان ذادين في النصرانية وكان خلف ابرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فلذلك سمي ابرهة الاشرم فلما رأي عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع ابرهة حتى يجز ناصيته ويطا بلاده ثم انه كتب الى ابرهة انك عدوت على اميري فقتلته بغير امري وكان ابرهة رجلا مارد فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب ارضه وكتب الى النجاشي ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في امرك وكنت أعلم بامر الحبشة وأسوس لها وكنت أردت ان يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت راسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب ارضي وبعثته اليك ليطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه واقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بمن معك من الجند ثم ان ابرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم ير الملك مثلها قط ولست منتهيا حتي اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الي القليس فدخلها ليلا فقذر فيها ثم اوتي بها وتغضبا للكعبة فبلغ ذلك ابرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من اهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي قلت فصنع هذا فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة واخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده مقاتلا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر عن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه واخذ ذو نفر اسيرا فقال له ابرهة فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجل حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا اسيرا فقال له ايها الملك اني دليلك بارض العرب فلا تقتلني وهاانا ادلي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال من ثقيف وقال له ايها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيننا هذا الذي تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات ابو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود ابن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه اموالا واصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة سفيرا فقال سل عن شريفها ثم ابلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لا خبرك أنه لم يأت لقتال الا ان يقاتلوه انما اتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت

فسمع ضحكا عظيما فظن في نفسه شرا وقال انا لله وانا اليه راجعون غبت عن المرأة ومعها الاطفال وهم في شدة عظيمة من الجوع فليت شعري ما جرى عليهم ثم بكى بكاء شديدا وقرع الباب فخرجت اليه زوجته مسرعة وقالت له اهلا وسهلا وهي فرحة مسرورة ثم قالت ما كان يومك الا مباركا اشبع الله بطنك كما اشبعت بطوننا فدخل المنزل فرأى فيه نورا عظيما فالتفت فاذا بمائدتين عظيمتين على كل مائدة منديل حسن فقال ما هاتان المائدتان قالت يا ابن عمي انا جالسة في وقت الغروب وقد اجهدني الجوع والاطفال يتجرعون الموت واذا بطارق يطرق الباب فنهضت الي الباب ففتحته فاذا بغلام شاب وعليه حلتان خضراوتان ومعه اثنان معهما مائدتان فقال يا ايتها الشابة هذا

خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتي قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل اسير لا يامن من ان يقتل بكرة اوعشية ولكني سابعث لك الى انيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير و يعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عيرمكة يعطي ويطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفقه عنده فافعله فانه صديق لي وانى أحب مايصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على ابرهة هو وعبد المطلب فقال لها يها الملك هذا سيد قريش وصاحب عيرمكة الذى يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءنا غيرناصب لك حربا ولا مخالف عليك يستاذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فأعظمه وأجله ممه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن يرد على مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني فقال له انت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى ابرهة بعمرو ابن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب و يتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

﴿ وقال أيضا ﴾

لاهم ان المرء يم * نع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلي * ب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكع * بتنا فامر ما بدا لك *

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فاذا لله تعالى ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة و يقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وحد على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى و يقال نسبهم الى الفيل الاعظم قال فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى ان يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فابى فوجهوه

منزل ابن الروى قلت نعم قال هذه صرة فيها الف دينار اردفيها الملك وقولى له مولاك يقرئك السلام و يقول لك زدفي العمل ازدك في الاجرة وهذا عشاؤه قالت فاخذت ذلك منه وانصرف ثم دخلت وكشفت المائدتين فوجدت عليهما طعاما طيبا وخبزا كثيرا ونعمه عظيمة مارايت مثلها قط فبالله يا ابن عمي عند من عملت اليوم قلت لها عند ملك كريم مارايت قط اسخى منه ولا اكرم عملت عنده شيأ يسيرا فاعطاني هذا الخير الكثير فقالت يا ابن عمي اكلت اما والاولاد فكل انت ونم فقال ان علي صلاة فاذا اديت صلاتي نمت ثم اقبل الى المحراب ولم يزل راكما ساجدا حتي مضي من الليل اكثره فغلبه النوم فنام فرأى في النوم كانه واقف بين يدى الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومى كيف رايت معاملتنا قلت خير

١ (قوله وانما وحد الخ) المراد ان الافراد في الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى

راجعا الى اليمن فقام بهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الي الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر كامثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجاره أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا ابابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم ترقبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها انياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها منا قير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

﴿ وقال أيضا فى ذلك ﴾

ألا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت امرى * ولم تأس على ما فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الابابيل كانوا اقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال واكبرها كالابل البزل مارمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت أنملة أتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما بقي من اصحابه فمات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جر حديث اصحاب الفيل هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتي دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقافها بيعة للنصاري تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسر خسان فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي فى يوم صائف فهبت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فاخبروه فاسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الي مائة من الابل فاجعلها هدي لله تعالى وقلدها نعلا واثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم فقعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك

(٢) (قوله أى سنك كل) لفظ فارسي معرب سجيل

المعاملة فقال يا ابن الرومى قد رفعت لك عشرة الاف درجة وكتبت لك عشرة الاف حسنة ومحوت عنك مائة الف سيئة فهل انت عني راض قلت نعم يارب فقال يا ابن الرومى اسالي اعطك قلت يارب اسألك ان تقبلني على ما انا فيه وعليه من قبل ان تقبضني اليك فقال الله تعالى انى مقدر الاجال لا ازيد فيها ولا انقص وقد بقي من عمرك تسعة ايام قلت الهى احفظني حتي تتوفانى مسلما فقال حفظتك قلت وعزتك لا ازيدن فى العمل فقال الله وعزتى وجلالى لاعطينك براءة من النار ولاسكننك جواري فى دار القرار قال فانتبهت من نومى فحدثت زوجتى بما رايت فحزنت حزنا شديدا ثم انى اشتريت لها ولاولادها منزلا ياوون فيه وخادما يخدمهم وودع اخوانه واهله يوم التاسع ومضي الى محرابه وصلى

اليمن بصحراء هذا البيت يريد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيا فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا له فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ماهي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها تطير بارضنا غير مؤنسة قال ماقدرها قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الجذف قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فشيارية فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فاسا وحفر حتى اعمق فى الارض فملأ من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك واخيرك فاختر فان شئت اخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهمالك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع في حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادي عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (وقال الواقدى) باسانيده غزا النجاشى ارياط في أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكره الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأي الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبني لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمي حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاءه بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لأنقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويساله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيله لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال اقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيأ الا هشمته وبعث الله سيلا اتى اليهم فذهب بهم الى البحر فالقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا واما الفيلة الأخر فتشاغلت فخصبت وهلكت وهو اول رقت رؤي عليه الجدرى والحصبة وقال أمية ابن أبى الصلت في ذلك

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيان * مصاليب في الحروب صقور

فيه ماشاء الله ثم جعل وجهه الى الكعبة وقضى نحبه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) ان اسدا دخل فى قرية فى بني اسرائيل فاخذ منها صبيا فالقاه على ظهره واتى به الى مكانه ليأكله فعلمت امه بذلك فتبعته صائحة مستغيثة فبينما هى كذلك اذ ظهر فارس وعليه ثوب ابيض وعمامة بيضاء وبيده رمح فقال للاسد يا ابا الحرث ضع الولد وامض بسلام فلما سمع الاسد ذلك منه القي الولد عن ظهره ودخل مكانه ولم يتعرض له بسوء فقالت امه للفارس من انت الذي احييت ولدي فقال الملك الموكل بالرحمة ارسلني الله عز وجل الى هذا الاسد لاخلص ولدك منه كما رحمت يوم كذا وكذا مسكينا وتصدقت عليه بقرص من الخبز فلقمة بلقمة ففرحت المراة بذلك

غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا ابرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فارى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدى) كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا في تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بار بعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكناني ياغياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي امي على روث الفيل ويدل عليه ايضا ما روى ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

واخذت ولدها وانصرفت (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتدفع البلاء المبرم النازل من السماء (وروت عائشة رضي الله عنها) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السخاء شجرة اصلها في الجنة واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة اصلها في النار واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار اجارنا الله منها ومن عذابها ومن كل عمل يقربنا اليها آمين

الحمد لله الذي قص علينا في كتابه الحكيم من اخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذي قلب سليم ليستيقظ الغافلون ويعلم الجاهلون والصلاة والسلام على من اطلعه على ما كان وما يكون وآله ذوي العلوم اللدنية واصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهية

(وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعرائس الحاوى من الاخبار نفائس النفائس للعلامه الفاضل واللوذعي الكامل أبي اسحاق احمد بن محمد الثعلبي رحمه الله وأثابه رضاه

وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب روض الرياحين في مناقب الصالحين للامام اليافعي رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وذلك بمطبعة العلوم الادبيه في سنة ١٣٤٤ من هجرة بدر التمام عليه وعلى آله واصحابه افضل صلاة وازكى سلام آمين

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY